ليلى تكلا

التراث المسيحي الإسلامي

تقديم

د. أحمد كمال أبو المجد



التـــراث
المسيحي الإسلامي

الطبعة الأولى ٢٠١٠

رقـم الإيـــداع ١٤٠٦٢/٢٠١٠
ISBN 978-977-09-2887-7

٨ شـارع سيبويـه المصـري
مدينة نصر - القاهرة - مصر
تليفون: ٢٤٠٢٣٣٩٩
فاكـس: ٢٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)+
email: dar@shorouk.com
www.shorouk.com

ليلى تكلا

التراث المسيحي الإسلامي

دار الشروق

المحتويات

الجزء الأول
في مسألة السلام والصِّدام

الجزء الثاني

التراث المسيحي الإسلامي المشترك

ملاحق الكتاب

قصة هذا الكتاب

إنها قصة بدأت أيام الدراسة. لم أكن تجاوزت اثني عشر عامًا عندما وجدت في مكتبة أبي كتابًا «للأب إبراهيم لوقا» بعنوان «المسيحية في الإسلام». وجد الكتاب صدًى كبيرًا في نفسي واعتبرته دعوة رائعة للمحبة والسلام رغم أني لم أستوعب النواحي اللاهوتية التي جاءت به. والقمص «الإيغومانس» إبراهيم لوقا رجل دين قبطي يعتبر من أعمدة الكنيسة. ينحدر من أسرة صعيدية عريقة ثرية في أرمنت. كان يمكنه أن يختار أي مهنة يريدها وأن يسافر للتعليم في أكسفورد أو هارفارد، أو أن يبدأ شركة جديدة أو مشروعًا مربحًا، لكنه اختار سلك الكهنوت وكرس نفسه لخدمة العقيدة التي اختارها والوطن الذي يحبه. آمن بالمسيحية وتعاليمها السامية واحترم في نفس الوقت العقائد الدينية كلها. كان يعبّر عن إيمانه بالعمل من أجل كل إنسان مريض أو محتاج أو يمر بأزمة ما، بغض النظر عن انتمائه الديني.. ولم يكن ذلك مستغربًا في ذلك الحين أو استثناءً، بل كان أسلوبَ التعايش القائمَ على المحبة والاحترام المتبادل.

* * *

مرت السنوات وفكرة التراث المشترك تطفو بين الحين والحين من مخزون الفكر إلى العقل لتذكرني بهذا الكتاب. ثم وقعت أحداث لبنان «الطائفية» وتمنيت لو أنهم تمكنوا من غرس قيم ما جاء بالكتاب من أجل التعايش والسلام. بحثت عنه وعلمت أنه غير متاح. اتصلت بأسرته، وعلمت أنهم قاموا بطبعه في سويسرا وحصلت على نسخة منه.

سنة ١٩٩٤دعيت لإسبانيا في مؤتمر بجامعة «ألاكالا» حول «الأديان الثلاثة».

اهتمت حكومة إسبانيا بالمؤتمر اهتمامًا بالغًا، كان المشاركون على مستوى علمي وشخصي مرتفع واختتم أعمال المؤتمر مِلِكُ إسبانيا وقرينته. تحدثت في ذلك الاجتماع عن الإسلام، كمسيحية تحترم المعتقدات الدينية وتؤمن بالتعايش على أساس الاحترام المتبادل من أجل السلام والتنمية للبشرية بلا تفرقة. أشرت إلى ما بين الإسلام والمسيحية من تقارب في المبادئ وفي بعض الأحداث، لأؤكد أن نظرة الغرب إلى الإسلام غير صحيحة وغير منصفة. بعد حديثي وجدت شيخًا وقورًا يأتي يهنئني شاكرًا.. كان ذلك هو الدكتور علي جمعة الذي أصبح مفتي الديار المصرية، وكان موفقًا عندئذ في ذلك المؤتمر.

ثم جاءت كتابات «برنارد لويس»، و«هنتنجتون» الذي نُشر مقاله المشهور ثم كتابه سنة ١٩٩٦ حول صراع الحضارات وصدام الأديان. اخترقت هذه الأفكار العقل الغربي وأصبحت وكأنها من المُسلَّمات الحتمية. أثارت هذه المقولات اهتمام عدد كبير من كُتاب الشرق والغرب وعقدت حولها الاجتماعات والندوات. بدأت أبحث وأكتب في تفنيد ورفض مسألة صراع الأديان وما يطلق عليه الحروب الدينية.

* * *

في ٢٠٠٥ وقع لي حادث أصابني بكسور في ساقي، ووجدت نفسي في المستشفى أشهرًا طوالًا، في القاهرة، ثم في ألمانيا. ويبدو أن المرض يجعل الإنسان أكثر حساسية وأكثر إنسانية. لمست كيف أن التعاليم الدينية ومبادئها تمد الإنسان بالصبر والإيمان والتفاؤل، وأبَيْت أن يـدّعي البعض أن العقائد الدينية مصدر العنف والصراع.

رأيت بوضوح أنها رسائل سامية تدعو للتعايش والسلام ولا يمكن أن تكون سببًا للصدام. كان المرضى يذهبون للصلاة ـ كلٌ بطريقته ـ متوجهين معًا إلى الله الواحد الذي نعبده جميعًا.

استعاد الذهن كتاب الأب لوقا الذي ظل كامنًا في الوجدان واللاشعور فوجدت نفسي أمسك القلم لأخط أول سطور هذا الكتاب. وبدأت من فراش المرض بنشر سلسلة من المقالات حول هذه القضية والدعوة للتصدي لمقولات الصراع المرتقب عن طريق دراسة الواقع وتحليل الأحداث، وقبل كل شيء عن طريق بيان ما بين

العقيدتين من تقارب يجمع بينهما، وهو تقارب يدحض مقولات تؤكد صدامًا دينيًّا وشيكًا ويفسر الأحداث على أساس ديني.

كان الزمن قد وصل بنا إلى سنة ٢٠٠٦ وعندما تماثلت للشفاء، لدرجة ما، دعيت لإلقاء محاضرة في اجتماع مؤسسة سوزان مبارك للسلام مع مجموعة «جامعة هارفارد» حول حقوق الإنسان والسلام. اخترت موضوعًا للحديث: حق الإنسان في ممارسة عقيدته وواجب احترام عقائد غيره، ذلك الحق الذي يقوم على احترام متبادل يعتبر ركيزة أساسية للسلام وينفي مقولات الصراع بينهما.

لاقت الكلمة قبولًا لم أتوقع مداه ـ صفقوا طويلًا ـ ووقف المشاركون يعبرون عن سعادتهم باستثمار الأديان للتعايش والسلام بحماس جعل الدموع تندفع إلى عيني، خاصة بعد أن لاحظت دموعًا في بعض العيون. هذا الترحيب لم يغب عن فطنة الدكتور إسماعيل سراج الدين الذي اقترح نشر الكلمة في كتيب، وبالفعل تم إعدادها للنشر وأصبحتْ من مطبوعات مكتبة الإسكندرية بعنوان «تراثنا المسيحي الإسلامي المشترك». لاقى الكتيب قبولًا واسعًا وطلبته شخصيات وقيادات ومؤسسات متعددة في أكثر من دولة وتم توزيعه في بعض المؤتمرات.

استمرت مؤتمرات «حوار الأديان»، ومؤسسة سوزان مبارك للسلام تقدم لي فرص الحديث حول هذه القضية لما تتضمنه من تأكيد لضرورة السلام والدعوة إليه، والتصدي لأسباب الصراع. تحدثت عنها في العديد من المناسبات في مكتبة الإسكندرية، أو مع الوفود الأجنبية التي تزور مصر أو مع مجموعات الشباب وغيرها.. ولاقت قبولًا واستحسانًا.

هذا القبول لمحاولة التصدي لمقولات حتمية صدام الأديان التي تعطي تفسيرًا دينيًا للصراعات المتفاقمة.. وتؤكد ما بين المسيحية والإسلام من تقارب، ساهم في تأكيد الحاجة إلى إمداد المكتبة العربية بكتاب مماثل.

* * *

اقترح عليّ أكثر من شخص من رجال الدين ـ الإسلامي والمسيحي ـ ورموز الفكر والسياسة الوطنيين، أن أجمع أفكاري وما طرحت حول هذه القضية في كتاب باللغة

العربية.. وهذا ما أحاول أن أقدمه إسهامًا في تنوير العقل ومحو ظلام سوء الفهم والتعصب من أجل مجتمع يقوم على ما في معتقداتنا من قيم نبيلة سامية وما بينها من تفاهم واتساق مع قبول ما يوجد بينها من اختلاف لا نجعله خلافًا. هؤلاء جميعًا أدين لهم بالشكر الجزيل لما قدموا من دعم وتأييد، ومن نصائح وتصحيح، سواء كانوا من رجال الدين أو من المفكرين المستنيرين. وسوف أذكر لهم دائمًا مساهمتهم المعنوية والعلمية وتشجيعهم الذي كان له أكبر الأثر في نفسي.

* * *

كلمة أخيرة واجبة: لقد كان كل ما قرأت نورًا يستنير به العقل ويُطمئن القلب.. كلما استزدت من البحث والقراءة زاد الإقبال عليها.

كنت كلما أمسكت بالإنجيل أو القرآن، أجد روائع من القيم النبيلة فأستمر في البحث والقراءة ومحاولة الفهم.

طال الزمن، والقراءة لا تنقطع والكتابة تستمر ويتأخر النشر. لذلك أسجل الشكر لاثنين كان لهما الفضل في ظهور هذا الكتاب: أشكر الدكتور كمال أبو المجد الذي تفضل بكتابة المقدمة وحفزني على الاكتفاء بما كتبت مؤكدًا أن الرسالة واضحة.

كما أشكر الدكتور عبد الكريم درويش الذي أكد لي أن البحث لا ينقطع والدراسة لا تنتهي والعلم والمعرفة لا حدود لهما. كلما تعلمت، سوف أسعى للاستزادة وأن التوقف عن الكتابة يتطلب عزيمة لا تقل عما هو مطلوب للإقدام على الكتابة.

وبفضلهما أصبح مقدرًا لهذا الكتاب أن يخرج إلى النور... لعله يضيء شيئًا مما حولنا من ضباب وغيوم.

المقدمة

هذا الكتاب ليس للخاصة، وليس للصفوة من الباحثين والدارسين في شئون الأديان إنه للجموع التي قد لا تسمح لها ظروف حياتها بالبحث والتمحيص والتروي عند تحديد المواقف واتخاذ القرارات، لذلك جاء أسلوبه سهلًا مبسطًا وغير معقد.

إنه للأغلبية التي لم تتمحص ولم تدرس، ولذلك تتقبل ـ بنقاء النفس وصفاء الروح ـ كل ما يقال لها، بغض النظر عن الواقع.. وتصدق أقوال من أعطوا أنفسهم حق التفسير والتأويل والإرشاد والمحاكمة والتكفير بدلًا من تقديم الرسالة الحقيقية للمعتقدات السماوية؛ وهي السلام والتعايش والمحبة. هؤلاء هبت أقوالهم مثل رياح عصفت بالعقول وأثارت مناخًا من الغيوم تعمق الاختلافات لتجعل منها خلافًا وصدامًا.. عواصف تستغل بساطة الجماهير عن هوى أو لأسباب وأطماع سياسية، أو تقوم على تعصب أعمى لا يريد الخير للبشرية.. تقوم على جهل بالأديان وتتجاهل ما بين المسيحية والإسلام من جذور مشتركة في المبادئ والأهداف، بل وفي بعض نواحي العقيدة.

أصابت تلك الرياح بعض العقول بالتخبط والبلبلة وسوء الفهم، وما يتبعه من رفض وتعصب أعمى، زرعت بذور العداوة والبغضاء بدلًا من أن تنشر رسالة التعايش والسلام.

ونحن نرى أن ما بين المسيحية والإسـلام من اختلافات لا يبرر الكراهية والصِّدَام.

إن الصفحات القادمة محاولة تقدم بأسلوب سهل ميسر ما نرى فيه الخير والأمان، من أجل توضيح الحقيقة.. وقد التزمنا بالتوضيح حسب ما نراه دون التفسير، وقد اقتضى ذلك أحيانًا التكرار أو الإسهاب.

جاء التكرار رغبة في التأكد من وصول الرسالة والمعنى والقصد النبيل... إن الكلمات كالبذور يمكن أن تنمو، ويمكن أيضًا أن تتطاير وتندثر. يحدث هذا أو ذاك حسب التربة التي نزلت عليها، وتربة الفهم والقبول تتفاوت وتختلف من شخص لآخر بالنسبة لما تمتص وتستوعب، وبالنسبة لما يصل إلى وجدانها ويقنعها.. من هنا جاء التعبير عن الفكرة بأكثر من أسلوب أو عبارة حتى يتأكد الفهم، وحتى لا يساء الفهم ممن يبحثون عن النقد، ويجيء التكرار أحيانًا لارتباط الأحداث بأكثر من مجال ولأهمية استكمال الصورة بالعودة إلى الإشارة.

* * *

إنه حديث يقوم على تقبل واحترام المعتقدات الدينية وليس على نقد أي منها أو تحليله، ويهدف إلى التقارب وقبول التنوع الذي هو مصدر ثراء الإنسان وتكامل البشرية.

نعم.. نحن في حاجة إلى تصحيح نظرة الغرب المسيحي إلى الإسلام، وتصحيح صورته، هذا صحيح، ونحن أيضًا بنفس القدر في حاجة إلى تصحيح نظرة العالم الإسلامي إلى المسيحية.. والأمران على نفس القدر من الأهمية، فلا يكفي أحدهما دون الآخر، لإشاعة روح التعايش والقبول المتبادل.

إنها محاولة للتصحيح وتحقيق التقارب من أجل الفهم والاحترام المتبادل والتعايش في محبة وسلام. إن ذلك العالم الكبير يتسع للتنوع والاختلاف، والعقل البشري الذي هو من معجزات الخالق، عليه مسئولية التروي والبحث والتساؤل لاختيار أفضل البدائل التي تسهم في الحفاظ على تعاليم الخالق وسلامة المخلوقات، والبديل الذي علينا اختياره هو الفهم الصحيح والاحترام المتبادل من أجل تحقيق السلام الذي جاءت الرسالات السماوية كلها تدعو إليه.. وهذا هو القصد والهدف.

حقيقتان:

ما كان من الممكن تقديم هذا الكتاب دون الإشارة إلى حقيقتين هما من الدعائم التي يقوم عليها فكر ما كتبنا:

الحقيقة الأولى هي أن الأصل في قضية المعتقدات الدينية والوضع الأمثل لمسألة تعدد الأديان هو ألا تكون قضية مثارة.. لا تصبح محل جدل أو حوار أو محاولات شرح وفهم وتقريب.. إنها قضية خاصة لها خصائص فريدة تختلف بها عن سائر العلاقات.



إنها قضية خاصة.. خاصة جدًا، فهي بين الإنسان وخالقه، ليس لأحد أن يتدخل فيها أو يدلي برأي حولها، أو يقحم نفسه في تقييمها. إنها بين طرفين لا ثالث لهما.. الخالق بعظمته وقدرته وجلاله وهيبته، والمخلوق بضميره ووجدانه وإيمانه وسلوكه.. الله وحده هو الذي يحاسبه وهو الذي يجازيه، يكافئه أو يدينه ويعاقبه. ذلك كله لله وحده ليس لأي مخلوق أن يدّعيه حقًا لنفسه وإلا كان ذلك تعديًا على الخالق قبل أن يكون على المخلوق. والعقيدة الدينية - التي هي هذه العلاقة - لا يجوز أن تكون عاملًا في تعامل الإنسان مع الإنسان أو في تحديد مكانة الفرد للآخر.

والأديان تتعدد لكن الله وحده لا يتعدد، قد تتعدد وسائل الوصول إليه، وقد تتعدد صور قدرته وأشكال عطائه، وقد تتعدد رسائله ورسله لكنه دائمًا واحد لا سواه، مهما أطلقت عليه من أسماء أو أوصاف. تلك هي الحقيقة الواضحة الثابتة التي تفرض علينا ألا نقحم أنفسنا في قضية المعتقدات الدينية بالتأييد أو الرفض، ولا يجوز أن تكون محل جدل أو حوار، وتركها لكل فرد يصدر فيها قراره لأنه وحده الذي سوف يحاسَب على ذلك القرار.

في ذلك يكتب فضيلة الشيخ العالم الجليل د. أحمد الطيب شيخ الأزهر فيدعو إلى ضرورة إقصاء العقائد الدينية: يهودية كانت أو مسيحية أو إسلامية، إقصاء كليًا، من مجال الحوار أو المصالحة أو الإصلاح .حيث يقول «وأعني بالعقائد الدينية تلك التي يختلف بها هذا الدين عن ذاك، وتجعل من المؤمنين بها إما: يهودا أو مسيحيين

أو مسلمين. هذه العقائد هي دوائر مغلقة على أصحابها المؤمنين بها، ويجب أن تكون محل احترام متبادل بين الجميع، وهي لن تكون أبدًا محل إيمان أو اعتراف متبادل بين أتباع الأديان، أو تعديل لمصالحة طرف لآخر.. وأي حوار في عقيدة بين مؤمن بها يثبتها، ومنكر عليه ينفيها، لا بد أن ينقلب في النهاية إلى جدل وصراع ومواجهة بين نقائض لا تثبت لدى مؤمن إلا بقدر ما تنتفي لدى الآخر. والأمر الوحيد المقبول في الحوار ها هنا هو وجوب أن يحترم كل طرف عقيدة الآخر، ويسلمها له، وإن لم يؤمن بها الطرف المقابل».

ذلك هو الوضع الأمثل وتلك هي الحقيقة الأولى التي تنبع من خصوصية هذه العلاقة.

* * *

السؤال إذن هو: إذا كان الأمر كذلك لماذا ذلك الكم من الكتابات التي تحاول البحث عما يهدأ النفوس ويقرب القلوب ويجمع بين أصحاب الأديان المختلفة؟ لماذا يقحم بعض الكُتاب أو المفكرين ـ ونحن منهم ـ أنفسهم في هذه القضية؟ سألت نفسي لماذا أسعى للحديث في قضية أؤكد في نفس الوقت أنها لا يجوز أن تكون محل نقاش وتظل علاقة شخصية خاصة جدًا بين الإنسان وخالقه ليس لأحد التدخل فيها؟ أليس في ذلك تناقض؟!

ظهرت الحاجة إلى حوار وتوضيح لأن الواقع يختلف تمامًا عن ذلك الوضع الأمثل، فقد أصبحت العقيدة الدينية عاملًا في العلاقات بين الأفراد وفي تقييم الفرد لغيره وفي أسلوب التعامل معه، بل في تحديد مكانته وحقوقه. صارت قضية قابلة للنقاش والنقد. واختلق البعض «هيراريكية» أي هرمًا من الطوائف والفئات والطبقات أعطت نفسها حق تلك المحاسبة التي هي لله وحده، فأصبح التعامل مع الفرد يتوقف على عقيدته.. تفشى وانتشر ذلك التميز في المعاملة رغم أن تعاليم الأديان ترفضه، ثم ازداد الأمر سوءًا عندما بدأت العقيدة الدينية تُتخذ ذريعة للتفرقة بين البشر... إلى أن وصل الأمر إلى استغلالها لإشعال الصراع بينهم.

ذلك الواقع هو الذي جعل القضية محل جدل إنساني بعد أن كانت أمرًا روحيًا سماويًا إلهيًا، وأصبحت هناك حاجة لتأكيد ماهية الأديان ورسالتها وجذورها

المشتركة، ومحاولة إيجاد التقارب منعًا للتضارب والصراع وتهدئة للنفوس حتى تعود العقيدة الدينية إلى مكانها الصحيح.. علاقة بين الخالق والمخلوق ليس لثالث أن يتدخل فيها، فلا تصبح محل جدل أو نقاش أو كتابات.

* * *

إن ما نحاول أن نفعله، وما حاوله غيري من قبل، وما سوف يحاوله آخرون من بعد، يأتي نتيجة للحقيقة التي نعيشها والتي تؤكد أنه رغم الإيمان بخصوصية العلاقة بين الخالق والمخلوق ورغم تلك الصورة المثالية المفروضة، إلا أن الواقع يقول غير ذلك. إنه واقع يتطلب محاولات قد تساهم في عبور الهوة بين ما هو مطلوب وما هو موجود. إنها محاولات تصحيح واقع خرج بالمعتقدات الدينية عن خصوصيتها وجلالها وهيبتها إلى عالم الجدل والتنافس، بل وإلى استغلال الأديان من أجل أهداف دنيوية أو مطامع سياسية أو مكاسب شخصية. وأصبح التصحيح واجبًا من أجل الوصول بالمعتقدات الدينية إلى مكانها الصحيح ومكانتها اللائقة. تأكيدًا لذلك الواقع ومع موقف شيخ الأزهر الجليل حول الوضع الأمثل الذي يدعو إلى عدم «الجدل» حول المعتقدات فإن الهيئات الدينية تنادي في دعوتها للسلام إلى التواصل والتفاهم من أجل وضوح تعاليم العقائد وتوطيد التفاهم والاحترام المتبادل بينها... فأصبح ذلك الحوار من سمات العصر، وفي موقف موضوعي مشرف ومشرق يشير فضيلة شيخ الأزهر إلى مبادرة الأزهر[1] إلى تكوين هيئتين، أو هيئة واحدة ذات شعبتين: **إحداهما**: تعمل على تنقية الشعور الديني من الضغائن والأحقاد، وذلك بتوجيه أنشطة المؤسسات الدينية المختلفة صوب هذا الهدف النبيل، بدلا من توجيهه صوب الصراع بين الأديان والمتدينين، وطريق ذلك جمع المعاني الإنسانية السامية ـ العامة ـ في كل دين.

والثانية: مهمتها تقوية الشعور الديني لدى الطبقات المستنيرة، حتى يمكن تدعيم مراكز التدين أمام البحث العلمي والتفكير الحر، تدعيما يتأيد بمقابلة الدليل، والبعد عن استعمال السلطة الدينية المستبدة حتى لا تتكرر الأخطاء الماضية التي دفعت الإنسانية ثمنها باهظًا ومرهقًا .ويعجب الشيخ من قدرة أصحاب المذاهب الاجتماعية

---

(١) أحمد الطيب: «الأزهر.. وحوار الأديان (٢-٢)»؛ مقال بجريدة الأهرام ٨/ ٥/ ٢٠١٠م.

والفلسفية ودعاة الفكر المادي على توجيه التشريعات المحلية والعالمية نحو تأييد مبادئهم وقواعد أنظارهم، وعجز رجال الدين وعلمائه عن توجيه هذه التشريعات نحو الأصول العامة المشتركة في الأديان .. ويدعو هؤلاء إلى تحمل مسئولياتهم في هذا التوجيه حتى يمكن محاصرة الأمراض والأوبئة الخلقية الحديثة، وغيرها مما جاءت الأديان لاستئصال شرورهم وتطهير الإنسانية من أدناسهم.

* * *

الحقيقة الثانية التي ترتبط بخصوصية العلاقة الدينية هي أن العلاقات بصفة عامة تحدد أساس التواصل بين البشر، وبين البشر والطبيعة وكل ما حولهم، وهي بذلك ـ على أنواع مختلفة وأشكال متعددة ـ تختلف حسب الأطراف والظروف والملابسات مما يجعل لكل منها مكانة بذاتها، وهي تختلف حسب أطرافها فيما يتعلق بنوع التواصل ومداه وأصوله والأسس والمبادئ الواجب مراعاتها، وكذلك القيم والآداب التي تحدد أحكامها.

والعقيدة الدينية علاقة بين إله جلَّ جلاله خالق الكل؛ ما يُرى وما لا يُرى، الله الأحد الصمد الذي ليس له كُفُوًا أحد، وبين الإنسان الذي هو من مخلوقاته بكل ما هو عليه من حدود وقصور.. إنها علاقة ليس بين طرفيها أي تكافؤ أو شبه مساواة، أحدهما له الأمر والإرادة والحساب، والآخر عليه الطاعة والالتزام. علاقة لا ندية فيها ولا مجال بينهما لجدل أو نقاش أو حوار كالذي يجري بين أطراف متساوية أو متشابهة.

هذا عن العلاقة بين الله والإنسان التي هي مجال الشئون الدينية، وهي بذلك تختلف تمامًا عن العلاقة بين الإنسان والإنسان، بين الإنسان والحاكم التي هي مجال الشئون الدنيوية والسياسية، فالعلاقة بين الحاكم والمحكوم فيها يكون الشعب مصدر السلطات، هو الذي فوض سلطاته للحكومة والحاكم لتمارس إدارة الدولة ما هو في صالح الشعب. له ـ بل عليه ـ أن يحاسبها وأن ينهي ذلك العقد الاجتماعي بينهما إذا ما قصر الحاكم في تأدية واجبه. علاقة تخضع للنقاش والاعتراض والحوار والاختلاف بين طرفيها. هذه العلاقة هي مجال شئون الدنيا والحكم والسياسة.

لذلك فإن الزجَّ بتلك العلاقة بين الخالق والمخلوق في شئون الدنيا والسياسة

حيث يسود الجدل والنقاش والخلاف والاعتراض أمر لا يتفق مع ما للعقيدة الدينية من هيبة وجلال واقع يحتم الفصل بينهما؛ أي بين الدين والسياسة.. ويدعو إلى الالتزام بالدولة المدنية، ورفع الدين إلى مكانته السماوية الروحية يستلهم منها البشر الأخلاق والمبادئ السامية، لكن لا يجعلوا منها شأنًا دنيويًا سياسيا قابلًا للجدل والرفض والانتقاء، بل تُحترم جميعها، والله وحده هو الذي يُسائل ويحاسِب وله الدَّينونية فيما يفعل البشر.

تقديم

بقلم:

د. أحمد كمال أبو المجد

أرسلت إليّ الأخت والصديقة العزيزة الدكتورة/ ليلى تكلا، أصول هذا الكتاب لقراءتها وإدارة حوار معها حول مضمون الرسالة التي يتوجه بها هذا الكتاب إلى مسلمي مصر ومسيحييها، وإلى شركائهم في الدين في كل مكان، سعيًا إلى أن يتعرفوا معًا ومن جديد على «عناصر اللقاء والاتفاق» بين مبادئ المسيحية ومنظومتها القيمة التي حملها ومثلها المسيح عليه السلام، والتي لا يزال ملايين من البشر يتدينون بها على اختلاف مدارسهم الفكرية ومناهجهم العلمية وأصولهم العنصرية.. وبين جوهر الرسالة التي حملها خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم، وما اشتملت عليه من عقائد وشرائع وقيم ودعوة إلى إقامة العدل، والتخلق بالرحمة، وإفشاء السلام ونشره في ربوع الدنيا كلها.

وحين تلقيت أصول هذا الكتاب لم يكن في تقديري أن تنتهي هذه القراءة بأن أكتب له مقدمة أقدمه بها لقُراء العربية في كل مكان.. ولكن الذي حفزني على كتابة هذه المقدمة أني وجدت المنطلق المحوري للكتاب، والروح التي يصدر عنها، روح سعي مخلص لتحقيق تعايش ودي، وتعاون أخوي، بين المسلمين والمسيحيين في مصر أولًا، وعلى امتداد الدنيا كلها بعد ذلك.. ووجدت ذلك كله معبرًا عن رغبة مماثلة عندي، وعند جيل ينمو مسرعًا بين كثير من المفكرين وأهل الثقافة الإيمانية من المسلمين والمسيحيين في بلاد الله الواسعة. ولقد كانت لي خلال الثلاثين سنة الأخيرة تجارب عديدة مع هذا التيار المتصاعد في حوارات لم تنقطع دار بعضها في

بلاد عربية ودار بعضها الآخر في بلاد أوربية وآسيوية وأمريكية تحت مظلات أكثرها جاد ومخلص، بعضها رسمي وبعضها شعبي، وإن كان أكثرها نخبويًا تعبر عنه منظمات بحثية وأخرى ذات طابع دعوي واجتماعي وثقافي، وفي مقدمة هذه الهيئات جميعًا هيئة الأمم المتحدة التي أوصت جمعيتها العامة باعتبار عام ٢٠٠١ عامًا للحوار بين الثقافات، ونظمت تنفيذًا لهذا التوجيه لقاءات طويلة بين عشرين باحثًا متخصصًا من دول العالم المختلفة ـ شرفني أن كنت واحدًا منهم ـ قام باختيارهم بمشورة علماء متخصصين ـ الأمين العام للأمم المتحدة حينذاك/ كوفي أنان ـ وكانت مهمتهم أن يديروا بينهم حوارًا حول العلاقة بين الثقافات المعاصرة، وعهد بإدارة ذلك الحوار إلى خبير إيطالي دولي له اهتمام خاص بهذا النوع من الحوار هو الأستاذ «Picco»، الذي كان مساعدًا للأمين العام للأمم المتحدة، وانتهت الحوارات الطويلة بهذه التجربة إلى تأليف كتاب عنوانه «Crossing The Divide» أو «عبور خط التقسيم».. سجل حصيلة الدراسات التي أعدها أعضاء تلك اللجنة، والتوصيات التي انتهى إليها ذلك الحوار، ومن المفارقات التي أكدت أهمية ذلك الحوار والحاجة إلى مواصلته أن مأساة الحادي عشر من سبتمبر قد وقعت بعد أسابيع قليلة من جمع فصول ذلك الكتاب وقبل نشره وتوزيعه.

ومع تواصل حلقات هذا السعي الإنساني النبيل، قامت هيئة الحوار العالمي المسماة «International Council» بجهد مماثل حين عهدت إلى عالِم الفلسفة واللاهوت السويسري الذي يعيش في ألمانيا «الأستاذ. هانز كونج» بدعوة عدد من الخبراء المنتمين إلى الأديان الإبراهيمية الثلاثة، وإلى البوذية والهندوسية، بإعداد أوراق بحثية خلال العامين ٢٠٠٧، ٢٠٠٨ حول ظاهرة المد الديني المتصاعد التي يشهدها العالم اليوم في إطار تلك الأديان والفلسفات، وكان من نصيبي أن أعد بحثًا عن دور الإسلام في النظام الدولي المعاصر وأثـره على مستقبـل العلاقات داخل هذا النظام (من منظور سني).. فضلًا عن أثره على حقوق الإنسان وحرياته، كما عهد إلى أساتذة من العلماء والخبراء بإعداد أبحاث مماثلة جرى رفعها إلى اجتماع عقد في فيينا وشارك فيه عدد من الرؤساء السابقين لدول العالم، وكذلك رؤساء الحكومات السابقين في عدد منها، ومن جانبي اتخذت للبحث الذي قدمته لهذا التجمع عنوان «إعادة تقديم الإسلام للعالم» (Reintroducing Islam to the World).

وكانت المفاجأة السارة أننا حين اجتمعنا في مدينة توبنجن الألمانية، واستعرضنا الأبحاث وأوراق العمل التي قُدمت، وجدنا بينها روحًا واحدة تجمعها، هي روح إبراز مظاهر الاشتراك في عدد من المبادئ التي تصدر عنها وتدعو إليها تلك العقائد والفلسفات، وأن الاعتراف بأوجه الاختلاف القائمة بينها ـ وهي قائمة فعلًا ـ ليس من شأنه ـ ولا يجوز أن يكون من شأنه ـ حجب فرص التعاون الواجب بين ممثلي هذه الأديان وأتباعها، وذلك كله في مواجهة أخطار مشتركة تواجه المجتمع الإنساني كله، أفرادًا وشعوبًا ودولًا. وهي أخطار لا تفرق بين الناس باختلاف عقائدهم وأصولهم العِرقية وألوانهم، ونصيبهم من القوة العسكرية أو الوفرة الاقتصادية أو النفوذ السياسي.. ومرة أخرى تُوج هذا الجهد الجماعي بجمع هذه الأوراق البحثية في كتاب صدر عام ٢٠٠٨ بعنوان «تجسير الفجوة» (Bridging the Gap)، وهذه هي عين الروح التي يجدها القارئ في صفحات هذا الكتاب الذي أودعَت فيه الدكتورة ليلى أملها الكبير في أن ترى نسيج المجتمع المصري بمسلميه ومسيحييه نسيجًا مترابطًا متكاملًا يشد بعضه بعضًا.

ومن وجهة نظر إسلامية، فإنني وجدت أن روح الإسلام الخالصة تتسع ـ تمامًا ـ لهذا الجهد الإنساني النبيل.. وأن هناك ـ مع الأسف الشديد ـ مفارقة كبيرة بين ما تقضي به وتدعو إليه تعاليم الأديان السماوية كما أوحى بها الخالق سبحانه إلى أنبيائه ورسله على امتداد التاريخ، وبين «حالة وسلوك وفهم» كثير من أتباع هذه الأديان لأديانهم.. فهم بشر يصيبون ويخطئون، ويتأثرون في صوابهم وخطئهم بما يتأثر به جميع البشر من أوضاع جغرافية واقتصادية وسياسية وثقافية.

وإذا كان تاريخ البشرية لم يَخْلُ من مواجهات وصراعات وحروب رُفعت خلالها شعارات دينية، واتخذ بعضها خطوط التقسيم الديني أو المذهبي، فثمة حالات عديدة تعاون فيها أتباع الديانات المختلفة على إقامة العدل، والوقوف في وجه الظلم وإشاعة السلام، ووضع اليد في اليد دفعًا لمفاسد وأخطار مشتركة، وارتفاعًا فوق كل أسباب الفرقة والاختلاف، إيمانًا بأن «دفع الضرر مقدم على جلب المنفعة» وأنه «لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث».. وأن «العاقبة للمتقين»؛ جميع

المتقين، وأن الزَّبد الذي لا نفع فيه لأحدٍ إنما «يذهب جفاء»، ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ (سورة الرعد، آية ١٧).

والمذهب الذي ذهبنا إليه في هذه المقدمة، انطلاقًا من انتماء إسلامي وروح إنسانية، هو عين المذهب الذي ذهبت إليه الدكتورة. ليلى في كتابها الذي أقدم له، وهو مذهب يقوم على أعمدة ثلاثة:

١ ـ الإيمان بأن جوهر الرسالات السماوية إلى أهل الأرض جوهر واحد.. مبناه التسليم لله واتباع رسله والإيمان بيوم يقوم فيه جميع الناس لرب العالمين ليقدموا حسابًا عن أعمالهم ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ «سورة الزلزلة آية ٧، ٨»، والسعي «بنور العقل وسلطان الإرادة» لتعمير الكون، ونشر الأخوة بين البشر جميعًا ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ (سورة الأنفال، آية ٣٩)، وهذا المعنى مؤكد في عبارات لا تحتمل التأويل في آيات القرآن الكريم، وأحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وأفعاله وتقريراته ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ (سورة الشورى، آية ١٣).. ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾ (سورة الممتحنة، آية ٨، ٩).. ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ (سورة المائدة، آية ٤٨).. وفي شرح معنى «مهيمنًا» يقول لسان العرب: «المهيمن: الشاهد»؛ أي أن هذا الكتاب ـ القرآن الكريم ـ جاء شاهدًا على الرسالات والنبوات والكتب السابقة.

ومعنى هذا كله أن الاختلاف القائم بين ما اشتملت عليه الرسالات السماوية السابقة، لا يشكل في ذاته تناقضًا أساسيًا يَحُول دون تعاون أتباع هذه الرسالات، وإنما هو أحد مظاهر التعددية التي أرادها الخالق سبحانه لتتنوع الرؤى وتختلف

زوايا النظر ثم يحدث من تكاملها ما يغني التجربة الإنسانية وينفع الناس.. ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ (سورة المائدة، آية ٤٨)، ولهذا نحتاج؛ نحن أتباع الأديان السماوية المختلفة، إلى أن نوظف التنوع والتعدد القائم بيننا توظيفًا إيجابيًا نافعًا.

وهو معنى يؤكده قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (سورة المائدة، آية ٤٨).

٢ ـ أن العقائد الدينية جميعًا لا بد أن تقوم على الاقتناع الحر، والإيمان الطوعي البعيد عن كل صور الإكراه.. وفي الإسلام الذي أؤمن به وأنتمي إليه ما يؤكد هذا المعنى بما لا يجدي معه تأويل أو استثناء، يقول تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ ويقول لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾.. ويقول له: «فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾.. ويحدد مهمته بأنها تبليغ رسالة الله إلى عباد الله ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾.

حتى إننا وجدنا في الفقه الإسلامي أن المسلم إذا تزوج من كتابية (مسيحية أو يهودية) فليس له أن يلح ويلحف عليها بطلب الدخول في الإسلام؛ تقديرًا لحريتها، واحترامًا لعقيدتها.

٣ ـ أن التعددية نعمة من نعم الله على الإنسان، وأن تفاعل الرؤى والاعتقادات المختلفة من شأنه أن يمنع الفساد وأن يهدي إلى الرشد: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ (سورة البقرة، آية ٢٥١)، ولما كان هذا التفاعل يحتاج إلى آليات تحققه وتعين عليه، وكان من مبادئ العمل الاجتماعي في كل ساحاته أن «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»، فإن علينا اليوم أن نعقد اللقاءات، ونبني المؤسسات القادرة على حمل أمانة التواصل عن طريق الحوار والمشاركة المجتمعية، حتى تتحقق على أيدينا جميعًا حكمة الله في خلق عباده شعوبًا وقبائل ليتعارفوا «التعارف الذي يفضي بهم إلى التعاون والتساند».

ويبقى في نهاية هذه المقدمة أن ننتبه جميعًا إلى حقيقتين:

١ ـ أن مجتمعنا في مصر على كثرة ما يواجهه هذه الأيام من مشاكل وتحديات، فإن أخطرها جميعًا انتشار ظاهرة الاشتباك بين فئات المجتمع وطبقاته وتنظيماته المختلفة، وهو اشتباك يوشك أن يصير بالمجتمع كله إلى حالة تفكك، تتبدد في ظلها قدرته على حل مشكلاته الداخلية، ومواجهة التحديات الخارجية، ولعل أخطر مظاهر هذا الاشتباك دبيب الفتور الذي يعقبه توتر ظاهر لا يمكن إنكاره في العلاقة بين المسلمين من أبناء مصر والمسيحيين منهم، وهو ما يمثل أخطر عثرات الوحدة الوطنية التي عاشت مصر في ظلها قرونًا طويلة، كما يمثل خطرًا متزايدًا لوقوع أفعال مستفزة من جانب فريق تستدعي ردود أفعال أكثر حدة وأشد استدعاء لمزيد من التوتر والنفور والانقسام.

وإذا كانت هذه الظواهر المقلقة جديرة بأن تنبه العقلاء والحكماء من الأفراد والمؤسسات الدينية على جانبي الاختلاف إلى ضرورة مراجعة أسلوب عملها، وإعادة صياغة خطابها الديني، حتى يظل محكومًا بروح الاعتدال والسماحة والود، ضاربًا بذلك مثلًا واضحًا لكل مستقبل هذا الخطاب، فإن هذه الظواهر المقلقة جديرة كذلك بأن تنبه أجهزة الدولة ومؤسساتها التعليمية والإعلامية والتربوية إلى أن لها جميعًا دورًا هامًا في تجنيب المجتمع المصري عواقب هذا الانقسام الذي يمثل كارثة وطنية وقومية ودينية لا يعلم إلا الله كيف تنتهي بنا.

ومن هنا يأتي كتاب الدكتورة ليلى تكلا ـ في وقته ـ نصيحة مخلصة تجعل من فصوله المتكاملة جزءًا مشكورًا من جهود حل المشكلة، وليست إضافة إلى المشكلة نفسها على النحو الذي يقع فيه ـ مع الأسف الشديد ـ بعض الذين يشاركون في استدامة هذه الأزمة كلامًا أو كتابة أو سلوكًا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا.

٢ ـ أننا نحن جميع العرب وجميع المسلمين، نتعرض لحملة تشهير وإساءة إلينا، وإلى ثقافتنا المصرية والعربية الإسلامية، اتهامًا لها بإهدار حرية العقيدة وحرية التعبير ومبادئ المساواة التي يتحدث عنها الدعاة السياسيون والدينيون، التي تأتي بها نصوص الدساتير في مصر والعالمين العربي والإسلامي.. وكان من نتائج

هذه الحملة الظالمة أن صار كل العرب والمسلمين، مسئولين وحدهم في وجدان كثير من غير العرب وغير المسلمين عن موجة العنف والإرهاب والقسوة التي امتد لهيبها إلى العالم كله.. وبسبب هذا الاتهام الظالم الذي تشارك فيه دوائر عديدة في الغرب صار كثير من العرب والمسلمين الذين يعيشون كأقليات في دول غير عربية ووسط شعوب غير مسلمة معرضين للاعتداء والحرمان من كثير من الحقوق والحريات، متهمين ـ ابتداءً ـ بالمشاركة أو التعاطف مع الإرهابيين وممارسي العنف والعدوان.. ولا شك أننا جميعًا ـ أفرادًا ومؤسسات دينية وسياسية وحكومية ـ قد قصرنا ولا نزال مقصرين في مواجهة هذه الحملة الظالمة مواجهة علمية جادة ونشيطة، يلتقي تحت مظلتها جميع المصريين وسائر العرب والمسلمين.. حتى تنقشع موجة الكراهية لنا في دوائر عديدة صار أفرادها ضحايا للمعلومات الناقصة، والتعميم الذي لا يجوز، والنية السيئة الهادفة إلى تهميش دورنا، وإقصائنا عن «المشاركة الفعالة» في جهود إقرار السلام والعدل، وتوفير المعيشة الكريمة، وممارسة الحركة على طريق النمو والتقدم والنهضة.

ومن هذه الزاوية ـ كذلك ـ يأتي هذا الكتاب الوجيز إسهامًا مشكورًا على طريق هذه المواجهة.. عسى أن تتجمع قطرات الماء النقي العذب الذي يقطر من ألسنة المصريين وسائر العرب والمسلمين ومن أسنة أقلامهم لتشكل تيارًا جديدًا يبدأ عندنا في مصر، ليمتد يومًا بعد يوم، وليجد فيه العقلاء والمبصرون المؤمنون بالله وبالإنسان ينبوعًا عذبًا سائغًا لكل الشاربين.

٨/ ١١/ ٢٠٠٩

عزيزي القارئ،

سواء كنتَ مسيحيًّا أو مسلمًا، وسواء كنتِ مسلمة أو مسيحية، فلا تجعل في القلب والفكر والسلوك مكانًا للتعصب والكراهية والرفض.. إن الفروق بين المسيحية والإسلام أقل مما نظن، والاختلاف بينهما لا يبرر العداوة والقتل والتكفير. لقد أوصى الإسلام بأهل الكتاب، والسيد المسيح أوصانا بالصلاة حتى من أجل الذين يسيئون إلينا. والإسلام لا يسيء إلى المسيحية بل يكرمها حتى وإن رأى البعض ممن يدّعون الإسلام غير ذلك، واعتبروا أن الإساءة إلى المسيحيين حلالًا فأطلقوا عليهم صفات غير كريمة.

والسيد المسيح قال: «من ليس علينا فهو معنا». والمسلم الذي يعرف حقيقة عقيدته ليس معاديًا للمسيحية أو المسيحيين حتى ولو ظن بعض المسيحيين ذلك. إن تكفير المسيحيين أو تحليل سفك دمائهم ليس في الإسلام. ونشر العقيدة بالعنف لا مكان له في المسيحية. إن أمورًا كثيرة ومبادئ عدة تجمع بين العقيدتين. إن ما يجمع بينهما أكثر مما يفرق، والتقارب الذي يمكن أن يسود بينهما لا يدركه كثيرون من الطرفين. هؤلاء الذين لا يعرفونه اتخذوا مواقف معادية أو تصادمية، تفاقمت نتائجها وجاءت بأضرار بالغة وخسائر لا تفرق بين الضحايا من الجانبين.

لقد أصبح علينا اليوم أن نعبر تلك الفجوة من سوء الفهم حتى لا يسقط الكثيرون صرعى وتتسع مسافة الخلاف والاختلاف، بينما يؤكد الواقع أن كِلا العقيدتين بريئة من كثير مما يلصق بهما من اتهامات. إن كلًّا منهما ديانة توحيد خالصة تؤمن بإله واحد وتؤمن بروحه التي ألقاها إلى مريم، وتؤمن بأن ميلاد المسيح جاء بمعجزة غير مسبوقة لم تكتب لغيره من الأنبياء والرسل، لقد عرف الإسلام قدر المسيح يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيًا.

والطرفان وإن اختلفا أحيانًا في تفسير بعض الوقائع فإن ما يجمعهما كثير، أكثر مما يجمع بين أي عقائد أخرى، لكننا أهملنا هذا التقارب وانشغلنا بالفروق والاختلافات التي لِكلا الطرفين حق التمسك بها لكن دون معاداة الآخر.

* * *

هذا الكتاب يحمل رسالة صادقة مخلصة لا تسعى لشيء سوى التفاهم والتعايش والسلام. إنه ليس مناظرة بين جانبين، إنه ببساطة دعوة للفهم المشترك والاحترام المتبادل.

هو رسالة موجهة لمن لا يعرفون الإسلام حق المعرفة، فيرفضونه لمجرد أنهم لا ينتمون إليه، دون أي إلمام به، رفضًا لا يقوم على عدم الموافقة إنما على الجهل بما يرفضون. وهي موجهة أيضًا إلى من يدَّعون أنهم يؤمنون به، لكنهم لا يفهمون جوهره فيسلكون مسلكًا لا يتفق مع تعاليمه ويأتون ما ينهى عنه، مع أنهم ينتمون إليه. إنها موجهة بنفس القدر إلى من لا يعرفون المسيحية فيرفضونها لمجرد عدم المعرفة، وإلى أولئك الذين ينتمون للمسيحية لكنهم لا يستوعبون مغزى معانيها وتعاليمها فيرفضون الآخر على غير ما أوصى به المسيح.

ونحن هنا لا نجتهد ولا نضيف ولا نفسر، فتلك مهام الأئمة والفقهاء ورجال الدين والدراسات المقارنة. نحن نسجل ما قرأنا مما هو مكتوب ومعروف، فنشير إلى أقوال ثابتة وآيات حكيمة منزلة، وإلى حقائق كثيرًا ما نرددها ونتداولها، لكننا لا نعي تمامًا ما بها، وما حولها من معان وقيم إنسانية راقية، إذا ما فُهمت واستوعبناها، جاء السلوك أكثر رقيًا ونبلًا واتفاقًا مع تعاليم الأديان.

إنها رسالة تهدف إلى التوفيق لا التفضيل، تسعى للجمع والتقارب ليس التفرقة والتنافر، لا تسعى لإقناع أي فرد بعقيدة غيره، لكنها تسعى لأن يهتم كلٌّ بمعرفة صحيح عقيدته ويعرف أيضًا عن عقيدة الآخر ويدرك ما بينهما من اتفاق وتوافق. تلك هي الوسيلة الأولى - بل المثلى - لقبول ذلك الغير وعقائده، والحد من مقولة حتمية صراع الأديان.

إننا قد ابتلعنا طُعمًا مسمومًا مرتين: مرة عندما تشربنا مقولة صِدَام الأديان، ويقصد

بها أساسًا الصدام بين المسيحية والإسلام، ومرة أخرى عندما داهمتنا مقولة التراث المسيحي اليهودي الذي قصد به مساندة سياسية اقتصادية للفكر والطموحات الصهيونية مع أن الفروق شاسعة بين العقيدة المسيحية والعقيدة اليهودية؛ فالسيد المسيح ركيزة المسيحية ومن يرفضه يرفض المسيحية من أساسها. والإسلام يبجل السيد المسيح عيسى عليه السلام، والعذراء مريم أم النور يضعها الإسلام في مكانة خاصة كريمة، ويفرد لها في القرآن الكريم سورة كاملة ويضعها المسيحيون في مقام القديسين بينما يرفضها ويفتري عليها الفكر الصهيوني، وليس هناك أي وجه للتشابه بين المسيحية والصهيونية.

لقد آن الأوان لأن نتخلص من ثمار ما زرعت الصهيونية في عقولنا من دعوة إلى التنافر والتناحر، وأن يتقبل بعضنا البعض الآخر، ليس فقط بسبب ما بيننا من توافق إنما بالرغم مما بيننا من اختلاف. ولنتذكر دائمًا أن كلتا العقيدتين تؤمن بالتعايش والسلام وتقبل الاختلاف الذي هو سنة الحياة، وأن كلاهما يؤمن بالله الواحد وبالمسيح عند مولده وبمعجزة ميلاده ومعجزاته، كما أن كلاهما يؤمن بحقيقة رفعه إلى السماء. إنهما بإيجاز يتفقان معًا عند البداية وعند تمام الرسالة.

* * *

نؤكد ثانية أن هذه ليست دعوة لأحد لأن يعتنق غير عقيدته، فلكلٍّ الحق في التمسك بما يؤمن به مع احترام إيمان الآخر وحقه في الاختلاف، إنها ليست للمفاضلة أو المقارنة فالله يهدي من يشاء إلى ما يشاء عندما يشاء، والله جمعنا معًا، وما يجمعه الله لا يفرقه إنسان.

إن هذا الكتاب ـ بلُغة العاطفة ـ رسالة حب وسلام، وبلُغة العلم والواقع، رسالة توضيح وتصحيح ومعرفة.

إننا نكتب ما نرى، بصدق وصراحة، داعين الله أن يكون ذلك صوابًا، أو قريبًا من الصواب. أضاء الله عقول من يكتبون وفتح أذهان من يقرءون.

الفهرس

مسيرة هذا الكتاب لها مرحلتان: الأولى في مسألة السلام والصراع والأديان، وهي تهدف إلى التمعن فيما هو قائم، وما يدور حولنا وما يشاع من مقولات مضللة قُـدمت على أنها نظريات ثابتة فاستوجب الأمر البدء بالتصدي لها. لذلك نبدأ بوقفة لدراسة مقولات التراث المسيحي اليهودي، ثم ما جاء بعدها من ادعاء ما يسمى بالمسيحية الصهيونية، بعد ذلك نتعرض لما أعقبها من نظريات حول صراع الحضارات الذي جاء بعده التركيز على صراع الأديان وانحصر ذلك ليصبح أساس الصراع بين المسيحية والإسلام.

إن خطورة هذه الدعوة أكدت الحاجة إلى تحليل ودراسة كل هذه المقولات التي تراكمت لتخترق الفكر باتجاهات معينة لها عواقبها الوخيمة، استلزم الأمر الوقفة والدراسة لمعرفة مدى صحتها، كما احتاج نظرة موضوعية لما أطلق عليه «حروب دينية» هي في الواقع صراعات لها دوافع سياسية واقتصادية وإمبريالية.

هذا ما يحاول هذا الكتاب القيام به بإيجاز مبسط في جزئه الأول فيشارك بالرأي في هذه القضايا بأوراق تعالج مقولات تهدد السلام وتدعو للفرقة والانقسام وذلك على النهج التالي:

- السلام.. والصِّدام.
- الثقافة اليهودية المسيحية.
- صحة مقولة «التراث اليهودي المسيحي».
- صراع الحضارات وصدام الأديان.

- إنها ليست نظرية.
- صراع أم سلام؟!
- اعتبارات وحقائق.
- القيادات الدينية و«نظرية» الصراع.
- اتفقوا في الدعوة للسلام.
- ليست حروبًا دينية.
- مطلوب حماية جميع الأديان.
- تعبيرات ومفاهيم.

* * *

بعد ذلك وجب الانتقال من مرحلة التفنيد والتصدي إلى المرحلة التالية وهي مرحلة البناء والإضافة، وطرح بدائل فكرية تقوم على الحقيقة وتتفق مع الواقع أملًا في أن تزيح من الأذهان ما لصق بها من اتجاهات مضللة أصبحنا نتعامل معها وكأنها حقائق لا شك فيها، وتوقعات آتية لا مُحال. لذلك جاء طرح نظرية بديلة هي حقيقة «التراث المسيحي الإسلامي المشترك» وتأكيد أن ما بينهما من تقارب يفوق ما بينهما من اختلاف، وهي اختلافات لا تبرر ما يحاولون زرعه من كراهية وما يتنبأون به من صِدَام. يبين البحث أن الإسلام يحترم المسيحيين، والمسيح، والعذراء مريم، وتتلاقى المسيحية والإسلام في فكرة أن المسيح روح الله، وهو بذلك يختلف عن البشر بل وعن الأنبياء جميعًا، وهو ما لا تفعله العقيدة اليهودية ومع ذلك زرعت نظرية التراث المسيحي اليهودي في العقول واستقرت بها.. وأصبح علينا أن نقابل ذلك بطرح حقيقة التراث المسيحي الإسلامي المشترك.

ويتسلسل الجزء الثاني للبحث كالآتي:

- المسيحية والمسيحيون في القرآن الكريم.
- موقف الإسلام من ممارسة المسيحيين شعائرهم الدينية.

- الميلاد: ميلاد السيدة العذراء ومكانتها، ومعجزة ميلاد السيد المسيح.
- الإنجيل في القرآن.
- ألقاب المسيح في القرآن الكريم.
- خصوصية المسيح.. صفاته ومعجزاته في الإسلام.
- حقيقة التوحيد ومقولة التثليث.
- نقاط التلاقي والاختلاف.
- مصر.. المسيحية ـ الإسلام.
- أما بعد...

الجزء الأول

في مسألة السلام والصّدام

السلام.. والصّدام

عاش الكون حروبًا عالمية مريرة.. وعانت البشرية الكثير، وقد أعيد تشكيل الخريطة السياسية للعالم وللعلاقات الدولية عدة مرات إلى أن وصلنا مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية.

أصبح في العالم قوتان «عظيمتان» تتصارعان على السلطة، وعلى نشر الفكر الذي تقوم عليه وتعيش به.. كان صراعًا بين النظام الرأسمالي والنظام الشيوعي، واستمرت الحرب بينهما تسير في ميدان القتال الذي أطلق عليه «الحرب الباردة». كلاهما كان يدّعي «الديمقراطية».. متصورًا أن صورته ومفهومه عنها هو الأفضل للإنسان.. وظل كلٌّ منهما يسعى لنشر نظامه بكل الطرق السياسية والاقتصادية والثقافية ـ بل والعسكرية أحيانًا ـ مؤكدًا أن في ذلك رفاهية للإنسان.. أما ذلك الإنسان فإنه ظل يعاني من كليهما؛ من نظام يقوم على القهر والكبت وتسلط الحكام، ومن آخر يقوم على الفوضى الاقتصادية والتسيب المالي من أجل أطماع البعض على حساب الأغلبية، مع ما يتضمنه ذلك من انتهاكات لمبادئ العدل الاجتماعي والمساواة.

ثم توالت الأحداث وكأنها مسلسل تلفزيوني مثير.. تخلخل النظام الدولي القائم على القوتين المتصارعتين، تبعثرت قطعه وظهرت خريطة جديدة تمامًا.. دول انقسمت على بعضها واستقلت أجزاؤها، وأخرى اندمجت واتحدت رغم الظروف المختلفة التي عاشتها ورغم تباين الفكر السياسي الذي عاشته شعوبها أجيالًا. أدى كل ذلك إلى ظهور علاقات جديدة، ونشأة تيارات وجماعات وتنظيمات متباينة الهدف، كثير منها يقوم على العنف كوسيلة لتحقيق أهدافه.

كان طبيعيًا أن يصاحب كل ذلك موجات متناقضة من ردود الفعل السياسي

الشعبي، البعض يؤيد التغيير والآخر يعارضه، كما أدى الانفراد بالسلطة إلى تجاوزات أصحاب السلطة المطلقة، انفردت واشنطن بالقرار وأصبحت تحرك الأحداث حسب رغبات وأهواء ومصالح توابعها من الدول، وحسب مصالح مؤسساتها النقدية وشركاتها العملاقة الثرية التي تزداد ثراءً على حساب العاملين والمحتاجين بغض النظر عما يؤدي إليه ذلك من ظلم أو قهر وما يتضمن من سحق كامل لمبادئ إنسانية ظلت حكومة واشنطن تدّعي أنها تنفرد بها وتدعو إليها.

من جانب آخر عملت الولايات المتحدة لفترة طويلة على إضعاف المنظمة الدولية التي كان يمكن أن تكون ملاذًا لأصحاب الحق المقهورين ـ وما أكثرهم ـ في ظل رأسمالية الغزو والتمييز بين البشر.. فتضافر الحرمان والفقر مع الظلم والقهر في تفجير الغضب.

قامت الحروب هنا وهناك.. بل قامت حرب عالمية ثالثة لها شكل جديد وأبعاد مستحدثة، كما زادت الصراعات عبر الحدود وداخلها، صراعات لم تكن أسبابها واضحة تمامًا.. حروب تغيرت أساليبها، ليست صراعًا بين طرفين أو أكثر، لكل منهما جيشه وعتاده العسكري ـ يتصارعون في مواجهة بينهما بحيث يمكن تحديد أطرافه ويعرف كل طرف عدوه. إنه صراع أطرافه غير محددة، وأحيانًا غير معروفة تمامًا، صراع لا يقتصر على الساحة العسكرية بل ليس له ساحة قتال بذاتها. أصبح ميدان القتال مدرسة أو سوقًا تجاريًا أو قطارًا، صراعًا تستخدم فيه أدوات ووسائل للدمار غير مسبوقة، الأهداف فيه يمكن أن تكون أي شيء، والعدو يمكن أن يكون كل شخص وأي شخص، والسلاح القاتل يمكن أن يكون مظروفًا أو لعبة أو سلعة، بل أصبح الإنسان نفسه قنبلة، يقذف بنفسه إلى الانفجار ليصيب العدو. أصبح البولدوزر ـ الذي يستخدم في عمليات البناء ـ يكتسح قرى بأكملها ليدكها ويهدمها بما فيها ومن فيها، وأصبحت دور العبادة المسيحية والإسلامية ساحات للنزال وأهدافًا للقتال. لم تعد معدات القتال عسكرية أو اقتصادية إنما أصبحت فكرية تنافسية هدفها تدمير العقول، وهي أسرع وسيلة لتدمير كامل يشمل الحياة برمتها.. انتشر صِدَام أطلق عليه البعض حروب التحرير والتحرر.. وأطلق عليه آخرون الإرهاب.

وسط هذه الفوضى العارمة وذلك الغموض والضياع، طلع علينا البعض بنظرياتهم

عن أطراف الصراع وجعلوها الحضارات والأديان، متناسين عن جهل أو عن عمد الدوافع الحقيقية للصراع من ظلم وقهر تأتي به الأطماع، والإمبريالية الجديدة.

ويتلقف العقل البشري الحائر المتسائل ذلك التفسير في بحثه المستمر عن أسباب ما يدور حوله ويكاد يقتنع به، وأصبحت القضية وكأنها مواجهة بين الأديان، ثم اختزلت لتكون صراعًا دينيًا أطرافه المسيحية والإسلام!!

جاءت تلك النظريات ـ أو المقولات ـ تزرع بذورها في تربة كانت مهيأة ومعدة لنمو حقل من العلاقات مليء بالألغام والمغالطات، نزلت هذه المقولات على فكر تغلغل وكاد أن يستقر ينادي بتلك الوحدة القائمة بين اليهودية والمسيحية، فكر ينتقي ما يحلو له.. ينادي أنه يناهض الفاشية بينما يساند الصهيونية، يرفض الشمولية بينما ينفرد بالرأي في الساحة الدولية. يدين النازية وما تشمل من اضطهاد ويدعم من يرتكبون ما لا يقل عنها بشاعة.

روجوا لذلك الصراع المحتوم بين المسيحية والإسلام ليستكمل ما سبقه من تأكيد التقارب بين المسيحية و«اليهودية» ـ ويقصد بها الصهيونية ـ مقولات لم تكتف بإخراج الإسلام من ساحة التقارب بين المسيحية بل أضافت إلى ذلك تأكيد الصراع بينهما.

هذا التقسيم المتعمد بين الأديان السماوية الثلاثة ـ وهي المعتقدات الإبراهيمية ذات الجذور الواحدة ـ اشتد بصورة تدعو إلى وقفة موضوعية جادة تحاول رؤية الأمور على حقيقتها وترد على تساؤل أساسي: هل هذه المقولات ترتقي أن تكون نظرية؟ وهل الصراعات القائمة دينية؟ هل بين العقيدة المسيحية و«اليهودية» ما يبرر ذلك التضامن والتداخل ووحدة الثقافة؟ وهل بين العقيدتين؛ المسيحية والإسلامية، من الاختلاف والخلاف ما يبرر ذلك الصَّدَام الذي يؤكدونه؟

تساؤلات كثيرة تحتاج لتوضيح الرؤية وتصحيح المفاهيم من أجل وضع حد للفوضى الفكرية السائدة، والضباب الذهني الذي زحف على العقول وجعل الكثيرين يتصورون أن الصراع الذي يدور صراع ديني وأنه الصِّدَام بين المسيحية والإسلام.

الثقافة اليهودية المسيحية

ذلك موضوع قديم حديث، متجدد دائمًا، شغلني منذ فترة طويلة، فدأبت على التعرف على الديانات ودراستها.

في البداية أعود بالذاكرة إلى أيام الدراسة في نيويورك حيث بادرت فتاة زميلة أجنبية تسألني بوضوح، وبشيء من الجرأة: «طبعًا أنت تفضلين أن تكون الأماكن المقدسة المسيحية في القدس في أيدٍ يهودية وليس إسلامية؟»، أجبتها دون تردد وبنفس الوضوح: «طبعا لا، بل على العكس تمامًا»، وما زلت أذكر أن وجهها اكفهر قليلًا وجبهتها كشرت كثيرًا وسألتني في شبه تحدٍّ: كيف ذلك؟ ألا تعلمين أن المسيحية هي جزء من اليهودية، وأن الثقافة اليهودية المسيحية مشتركة؟! سألتها: هل تؤمنين بالسيد المسيح؟ قالت: «لا، ولكننا نؤمن بأنه سوف يأتي في يوم قادم».. قلت لها إن المسلمين يؤمنون أن عيسى ابن مريم هو المسيح، ولد من مريم العذراء في معجزة لم تتكرر.. يؤمنون بمعجزاته ويكرمون الإنجيل الذي يروي قصة حياته وكفاح أتباعه الذين اضطهدهم اليهود قتلًا وتعذيبًا، وأنه نشر الإخاء والمحبة والتضحية بالنفس من أجل الآخرين. نادى بالله الواحد الذي لا سواه وباليوم الآخر. أُطلق على أتباعه اسم «المسيحيون» لأن المسيح هو قوام المسيحية ومن لا يؤمن به وبرسالته فهو نقيض للمسيحية، فهل أنتم تؤمنون به وبمعجزة ميلاده ومعجزاته وبما في رسالته من مبادئ؟!

إن الإسلام يكرم السيد المسيح والعذراء مريم ويضعهما في مكانة خاصة، بينما أنتم ترفضون كليهما، وأكثر من ذلك تقومون بالافتراء عليهما بكل ما هو غير صحيح، وتطلقون عليهما أوصافًا غير لائقة، فاشرحي لي أين ذلك التراث أو تلك

الثقافة المشتركة بين «اليهودية» والمسيحية، وما هي المبررات التي تدعوكم لنشر هذه النظرية وتلك المقولات؟! ارتسمت خيبة الأمل على وجهها، وزادت مع كل كلمة قلتها مما دعاني للاستمرار والإصرار. قلت لها: «إن المسلمين حافظوا بالفعل على المقدسات المسيحية واحترموا قدسيتها في القدس لسنوات طويلة، بل إن مفاتيح كنيسة القيامة في يد أسرة مسلمة وإذا كان لي أن أختار من يكون المسئول عنها؛ المسلمون أم اليهود، أقول لك بلا تردد: المسلمون بلا جدال».

استمرت في محاولات إقناعي بذلك التراث المسيحي «اليهودي» المشترك ثم تركتني بعد أن فقدت الأمل فيَّ.

* * *

علمت بعد ذلك أنها تنتمي إلى جماعة صهيونية هدفها استقطاب واستمالة الطلبة العرب باستعمال مداخل وأساليب متعددة، كلها تنفيذًا لخطط واستعدادات بدأت مبكرًا ووُضعت منذ زمن طويل، خطط استغلوا فيها سذاجة الجماهير وقدرة منظماتهم على تشويه الحقائق.

كانت هذه المرة الأولى التي تعرضت فيها للجهود التي تبذل لنشر فكرة التراث المشترك بين اليهودية والمسيحية، نظرية ابتدعتها التنظيمات الصهيونية لأسباب سياسية غير دينية.. نظرية لا تهتم بجوانب العقيدة الدينية بل تهدف إلى تحقيق مكاسب سياسية واقتصادية باجتذاب الغرب وقدراته ومقوماته من أجل تأكيد استمرار دعمه وولائه من خلال ذلك الرباط الديني الذي فسروه لمصلحتهم، وهي وسيلة بدأت منذ فترة طويلة، تكررت بإصرار وبوسائل متعددة إلى أن أصبحت اليوم شبه مستقرة في عقول الكثير من المسيحيين.. بل وغير المسيحيين في الغرب وفي الشرق أيضًا.

* * *

ومنذ سنوات قليلة كنت أشارك بمحاضرات في جامعة جورج تاون في واشنطن.. وفي حي جورج تاون المزدحم النابض بالحياة كنت أرى بين الحين والحين شبابًا يقفون على نواصي الشوارع يوزعون منشورات.. وعندما اهتممتُ بقراءة ما بها أخذت واحدة من شاب يافع يوزعها، وجدتها ورقة مكتوبة بإتقان ودقة وبراعة تدعو

إلى الحفاظ على ذلك «التراث» اليهودي المسيحي. سألته: ما هي ركيزة المسيحية؟ قال: الإيمان بالله الواحد وبرسالة المسيح. قلت: ومن قام بتعذيب المسيح والرسل؟! قال: الرومان، ثم تردد قليلًا وقال: واليهود، سألته: أليست هذه الحقيقة كافية لأن تنسف مقولة ذلك الفكر المشترك. أخذ يتلو آيات التوراة وفيها تنبؤ بمعجزة المسيح واستكمل بواقعة الفداء التي بدأت بإقدام إبراهيم على التضحية بابنه، ورسالة الله له، ألا يقدمه ضحية وأرسل له خروفًا ليذبحه وبما يتمسك به الفكر المسيحي من أن الله وعد أنه سوف يرسل للعالم من يكون بمثابة ابنه ومن روحه كي يفديه ويكون بدلًا من ابن إبراهيم.

وعندما سئل وهل السيد المسيح الذي جاء من مريم العذراء هو المسيح المرتقب الذي تتحدث عنه هذه الآيات؟ قال: «لا»، قلت له: إذن أنتم يمكن أن يكون لكم تراث مشترك مع تلك المسيحية التي سوف تأتي وما زلتم بانتظارها، ولكن ليس بالمسيحية التي يؤمن بها اليوم أتباع المسيح.

الغريب أن هذا الشاب تردد قليلًا وتململ، بدا وكأنه كان قد تعرض لعملية «غسيل دماغ»، ضبطت كمبيوتر عقله على موجة تقوم على أفكار غير منطقية، والمشكلة هي أن ذلك الفكر تم تسويقه بطريقة ملتوية ومركّزة فاستقر بالفعل في جزء كبير من العقل الغربي وسيطر عليه بقوة في اتخاذ قراراته.

* * *

إن ذلك التعاطف الذي يبديه بعض المسيحيين في الغرب «للصهيونية» جاء وانتشر من أجل قيام واستمرار دولة إسرائيل؛ أي لأسباب سياسية واستراتيجية واستُغل ما تعرض له بعض اليهود ـ مع غيرهم ـ على يد النازية.

إنه لا يقوم على أي اتفاق بين العقيدة المسيحية والعقيدة اليهودية في المبادئ الدينية.

إنه اتجاه سياسي بحت يستخدم لدعم مساندة إسرائيل، ومساندة إسرائيل ليست هدفًا دينيًا إنما هو هدف اقتصادي سياسي استراتيجي يتصل في المقام الأول بمصالح أمريكية، تبرر دعم إسرائيل لاعتبارات سياسية جعلتهم يضعونها في مكانة خاصة

ويسبغون عليها صفات غير واقعية مثل قول «جيمس بيكر» وزير الخارجية الأسبق: إن إسرائيل هي الديمقراطية الثابتة الوحيدة في المنطقة. وهو قول لا أساس له من الصحة، بل أثبتت الأحداث عكسه تمامًا. جعلوها المندوب المقيم لهم في المنطقة ظنًّا أنه يرعى مصالحهم، بينما هو يهدرها ويسبب كثيرًا مما يعانونه اليوم من مشاكل، وأصبحت الولايات المتحدة في حاجة إلى حرب تحرير جديدة تحررها من تسلط الصهيونية التي احتلت العقول وسيطرت على القرار السياسي.

وإن كنا نعتقد أن هذا التسلط الصهيوني قد بدأ ـ مؤخرًا ـ رحلة التراجع نتيجة تجاوز دولة إسرائيل جميع الحدود الإنسانية والقانونية في عدوانها وإبادتها للشعب الفلسطيني.



هذه الحقائق وتلك الوقائع دفعتني إلى التفكير والتأمل وإلى كثير من البحث ودراسة «الأديان المقارنة»، وإلى تحليل تلك الموجة المتزايدة من العداء بين الشرق والغرب التي تدّعي أن الصراع بين الدول هو صراع حضارات، وتؤكد ذلك الصدام المحتوم بين الأديان، وبخاصة بين المسيحية والإسلام. نظريات مهدت لها موجة روج لها بإصرار ومثابرة وكثير من النجاح وبإلحاح مقولة: «التراث المسيحي اليهودي».

كان السؤال الذي يلح عليَّ في مسيرة البحث هو: هل هناك فعلًا بين المسيحية واليهودية من التقارب ما يدعم ذلك التراث المشترك الذي استقر وكأنه حقيقة غير قابلة للجدل؟ وما مدى صحة صراع الحضارات والأديان؟ وهل هناك بين المسيحية والإسلام من أوجه الاختلاف أو التناقض ما يبرر ذلك الصدام؟

تلك التساؤلات لا بد من تناولها في إطار الواقع الذي نعيشه اليوم، والتطورات السياسية والفكرية والثقافية المتعاقبة، آخذين في الحسبان ما للمرحلة من سمات وخصائص تستدعي الاهتمام بها، وما يتردد خلالها من أفكار ونظريات، حتى لا نقع ضحايا مقولات غير صحيحة لا تقودنا إلا للمواجهة وتشجع الصراع بأنواعه، كان ذلك يقتضي الدقة والتروي في فحص «نظريات»، ظهرت وانتشرت حول صراع الحضارات، وعن ذلك الصدام المحتوم بين الأديان وبخاصة بين المسيحية والإسلام،

وما يتصل بها من قضايا واعتبارات، ذلك ما نحاول أن نتناوله في الصفحات القادمة، ببساطة ووضوح دون التعمق في اعتبارات فلسفية أو دراسات نظرية.

صحة مقولة «التراث اليهودي المسيحي»

لعل القضية الأولى التي نواجهها هي تلك الدعوة التي نادت بما يسمى «التراث اليهودي المسيحي» والثقافة المشتركة بينهما.. والسؤال هو هل هناك فعلًا تطابق بين اليهودية والمسيحية يجعل بينهما رابطة خاصة أقوى من العلاقة بين أي عقائد أخرى؟ ولماذا نخص اليهودية بالتقارب مع المسيحية بينما الأديان كلها تشترك في نفس المصدر، وأتباع الأديان السماوية التي تؤمن بالتوحيد «كلهم أبناء إبراهيم»؟

* * *

إن الأنبياء الأوائل إبراهيم وداود وموسى وغيرهم، يؤمن بهم اليهود والمسيحيون والمسلمون. واشتراك المسيحيين مع اليهود في الإيمان بهم لا يجعل للمسيحية واليهودية تراثًا مشتركًا إلا في تلك المساحة دون غيرها، ويمكن القول أيضًا إن ذلك يعني اشتراك المسيحية والإسلام في تراث مشترك. إن التراث المشترك موجود بين الأديان السماوية الثلاثة، لكن التركيز كان دائمًا على التشابه بين المسيحية واليهودية فقط، وهذا بتر للحقيقة؛ لذلك يلزم الأمر توضيح بعض الحقائق والاعتبارات:

الحقيقة الأولى: أن قبول المسيحية للتوراة لا يؤخذ أساسًا لمقولة التراث المسيحي اليهودي. إنه كتاب يعترف به الإسلام أيضًا في آيات كثيرة منها:

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ (سورة المائدة، آية ٤٤).

كما يعترف أيضًا بالمزامير: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ (سورة الأنبياء، آية ١٠٥).

ذلك وغيره من أوجه التشابه قد يعني أن هناك أيضًا تراثًا يهوديًا إسلاميًا مشتركًا، لكن أحدًا لم يناد به أو يدعُ إليه، وبتعبير أدق لم تطرح الصهيونية ذلك القول لأنها لم تكن في حاجة لمساندة المسلمين لتحقيق أهدافهم السياسية وإقامة دولة عنصرية،

خصوصًا وأنهم خططوا لقيام تلك الدولة وسط العالم العربي الذي يسوده الإسلام، وعلى أرض فلسطين، على حساب سكانه من العرب المسلمين والمسيحيين معًا، بينما هم في حاجة لمساندة الغرب فحاولوا التقرب منه عن طريق العقيدة.

ومما يضاعف غرابة هذا الموقف أن ذلك «التراث المشترك بين المسيحية واليهودية» أدى إلى ظهور تعبير خاطئ من أساسه اسمه «المسيحية الصهيونية» رغم ما بينهما من تناقض، فالمسيحية عقيدة دينية سماوية تدعو للرحمة والمحبة والمساواة والخير والعدل.. والإيمان بالإله الواحد، والصهيونية نظرية سياسية تستخدم الدين لأهداف دنيوية تقوم على العنصرية والتفرقة، أهلها لا يؤمنون بالمسيحية ولا يعترفون بالمسيح[١].

الحقيقة الثانية: هي أن مجرد كون عشيرة المسيح كانت من اليهود لا يعطي اليهودية مكانة متميزة في الفكر المسيحي.

لقد جاء السيد المسيح إلى مجتمع اليهود، لأن اليهودية كانت الديانة الإلهية الوحيدة في ذلك الوقت، وكانت نبوءات كُتبهم تسجل مجيء المسيح. هذا لا يعني أن ما كانوا عليه من تعاليم وممارسات وسلوك ومبادئ أصبحت جزءًا من المسيحية أو أنهما مشتركان في وحدة ما، بل لعله جاء إليهم لأنهم كانوا في حاجة إلى تعاليم جديدة تنتقل بهم من العنف والانتقام ورفض كل العقائد الأخرى وتصور أنهم وحدهم شعب الله المختار، إلى مرحلة تدعو إلى المحبة والتسامح وقبول الآخر ومقابلة الشر بالخير وفداء العالم. لقد جاء نبي الإسلام لقوم كانوا يعبدون الأصنام وهذا لا يعطي لهؤلاء مكانة متميزة أو أفضلية في الفكر الإسلامي، بل لعله جاء إليهم لأنهم كانوا أكثر الناس إمعانًا في الضلال وعبادة الأصنام وإهدار المبادئ الإنسانية مما جعلهم في حاجة إلى الهداية فجاء القرآن الكريم يرشدهم.

* * *

يضاف إلى ذلك الاعتبارات الآتية:

- إن السيد المسيح ورسالته هما جوهر المسيحية وركيزته، وهي تتخذ اسمها «المسيحية»، من اسم المسيح. من يرفض المسيح ورسالته فهو ضد المسيحية كعقيدة

---

(١) نورد بعض الفروق بين المسيحية والصهيونية في فصل قادم.

ورسالة، ومن يقبل المسيح ورسالته، بينه وبين المسيحية تراث ورباط وتقارب لا يمكن إنكاره، واليهود رفضوا السيد المسيح وأنكروا أنه المسيح المنتظر.

● إن اليهود يحملون وزر صلب السيد المسيح ـ مهما صدر من وثائق تدّعي براءتهم ـ وجدير بالذكر هنا أن الوثيقة التي صدرت لم تُنكر دورهم في محاكمة المسيح وصلبه، لكنها وثيقة للعفو عنهم أصدرها رجال دين يعتقدون أن العفو أساس المسيحية وأن المسيح نفسه عفى عمن ظلموه، وترى أن يهود اليوم ليسوا مسئولين عما فعله أسلافهم. (قارن ذلك بموقف إسرائيل مع ألمانيا إلى اليوم بالنسبة لضحايا النازية والاستمرار في ابتزاز الأموال والتعويضات بمبالغ هائلة رغم أن الغالبية العظمى من الشعب الألماني اليوم لم يكونوا قد ولدوا أيام ما أصاب بعض يهود أوربا على يد النازية وأصاب معهم أعدادًا كبيرة من الكاثوليك وجماعات الغجر الرحّل (Gypsies) وغيرهم.

● إن اليهود اعترفوا بمسئوليتهم عندما أراد «بيلاطس» الإفراج عن المسيح فصرخوا قائلين: «إن دمه علينا وعلى أبنائنا»، فكيف يمكن ادعاء أن بينهما تراثًا مشتركًا!

● الإنجيل به عشرات من الآيات والتصريحات تسرد ما فعله اليهود برسل المسيحية و«التلاميذ» من قتل وتعذيب، بل تسرد رفض اليهود للمسيح نفسه الذي أنكروه تمامًا.

● يرى الكثيرون أن اليهودية كانت مرحلة سابقة للمسيحية وهي ديانة معترف بها في الكتاب المقدس وفي القرآن الكريم، لكن مجيء المسيح، وتحقق النبوءات التي بالتوراة يعتبر بمثابة «نهاية التاريخ بالنسبة لهم»، وعندما صلب المسيح «انشق حجاب هيكلهم من أعلى إلى أسفل» علامة على انتهاء دور ذلك الهيكل وما يرمز إليه ومن يرتبطون به.

● وأخيرًا.. فإن اليهود الذين آمنوا بالمسيح هم اليوم المسيحيون الذين قبلوا رسالته وتعاليمه ولم يعودوا يهودًا، ويهود اليوم هم سلالة الذين رفضوا المسيح وتعاليمه، ولا يرتبطون به أو برسالته.

* * *

مرة أخرى نؤكد أن هذا الحديث ليس ضد اليهودية كعقيدة لها تاريخها ومكانتها، إن هدفه توضيح أن ذلك التعاطف الذي تبديه بعض الجماعات في الغرب «للصهيونية» زُرع في أذهانهم من أجل قيام واستمرار دولة إسرائيل ولا يقوم على أي اتفاق بين العقيدة المسيحية والعقيدة اليهودية في المبادئ الدينية.

إنه اتجاه سياسي بحت ليس له هدف ديني إنما يتصل في المقام الأول بمصالح الولايات المتحدة الاستراتيجية والاقتصادية والعسكرية والانتخابية، وهذه المصالح قد يدور حولها صراع بل صراعات، أما المعتقدات الدينية فهي في جوهرها دعوة للسلام والتعايش واحترام التعدد.

لقد جاءت هذه المقولة لتربط في الأذهان بين اليهودية والمسيحية واستكملت بمقولات أخرى تؤكد حتمية الصراع بين المسيحية والإسلام من خلال ما أطلقوا عليه نظريات صراع الحضارات وصدام الأديان، وذلك كي تكتمل الصورة وينقسم العالم إلى قسمين: الغرب والصهيونية والمسيحية في جانب، والشرق والإسلام في جانب آخر.

يقتضي الأمر إذن أن نمعن النظر في هذه المقولات الجديدة ونفحصها بدقة علمية ما أمكن وبموضوعية، كي نرى مدى صحتها قبل أن تتغلغل بدورها ونتعامل معها على أنها نظريات علمية ثابتة.

وسوف نتناول في الصفحات القادمة الدعوة لصراع الحضارات ولصدام الأديان ومدى صحتها ليس من الناحية النظرية فحسب، بل من ناحية الواقع والأحداث والحقائق ومواقف الدول والشعوب والمؤسسات الدينية.

صراع الحضارات وصدام الأديان

بينما الفكر الصهيوني يقوم بترسيخ فكرة التراث اليهودي المسيحي، بدأ عدد من عقول الغرب ينشر نظرية صدام الحضارات والأديان، ونحاول هنا أن نبين مدى صحة مقولة هذا الصراع الحتمي والمنتظر بين المسيحية والإسلام من خلال الواقع والتعاليم

الدينية. نسترشد بذلك بآراء المفكرين المستنيرين من مختلف الأديان وندعمه بمواقف كل من الشعوب، والمؤسسات الدينية والأفراد والاعتبارات الواقعية والمنطقية.

لذلك نتساءل: هل في تعاليم الأديان ـ وبالذات في المسيحية والإسلام ـ ما يدعو لذلك الصراع؟ وما هو موقف المفكرين والكُتاب ورجال الدين من نظرية صراع الحضارات؟

* * *

كان الهدف الأساسي من الفصل الأول في مسلسل الترويج للصراع الجديد هو التقريب بين اليهودية والمسيحية، وجاء الفصل الثاني ليباعد بين المسيحية والإسلام، فبعد أن زرعت في العقول مقولة التراث اليهودي المسيحي المشترك التي تهدف إلى تقريب الفكر الصهيوني من الغرب الذي يمسك بزمام الأمور، استكملت المنظومة بأن طلع علينا زمرة من «المفكرين» والكُتاب بمقالات حول صراع مرتقب بين الحضارات وبالذات بين الغرب والشرق، وصدام متوقع بين الأديان وعلى الأخص بين المسيحية والإسلام.

وفي إشارة سريعة لهذه الأفكار نستذكر «برنارد لويس» الصهيوني العتيد الذي طرح «نظريته» بأن الخطر القادم هو تحديدًا الإسلام، و«هنتنجتون» الذي أكد أن أساس اختلاف الحضارات هو التاريخ واللغة والتقاليد، ويقول: «ولكن أخطر العوامل ـ في نظره ـ هو الدين لأن كل حضارة تستند إلى رؤية دينية، وأن الصراع الحضاري القادم هو صراع ديني».

أما «فوكياما» فقد جاء بمقولته عن «نهاية التاريخ» التي تؤكد استقرار النمط الغربي ـ وبالذات الأمريكي ـ في الفكر والحضارة الذي هو أفضلها جميعًا لأنه الوضع الطبيعي الذي سيئول العالم إليه، وهو الذي سوف يتفوق على غيره من العقائد والثقافات!!

وظهر كُتاب يتبعون هذا المنهج ويروجون له، من أكثرهم تعصبًا كاتب من «جامايكا»، أصله هندي، هاجم الإسلام سيرًا على درب «لويس» و«فوكياما» وأكد «بانيبول» هذا، أن الحضارة الغربية هي حالة طبيعية وصفة لصيقة بالإنسان وهي بذلك الحضارة التي سوف تنتصر وتسود وتصبح المآل الطبيعي للإنسانية.

هذه المقولات مبهمة المعاني، مملوءة بالمغالطات والأخطاء، أكثرها صادر عن هزيمة سياسية وثقافية لا مبرر لها فضلًا عن أنها لا تقوم على أي أساس من العلم والواقع، إنها أقوال مرسلة لا تصلح أن تصبح نظرية.

نستند في ذلك إلى ما يلي:

- أن الحضارات لا يمكن أن تتصارع، فالحضارة في معناها الأصيل ترتبط بنوع من الحياة يقوم على الاستقرار والمعرفة والإنجاز والبناء وليس الهدم.. إنها حالة تدعو إلى التأمل، والفكر، والتنوير، والمعرفة التي ترفع اللثام عن أسرار الكون وخبايا العقل فتأتي الاكتشافات والاختراعات التي تزيد من ثراء الإنسانية، وكلمة «Civil» تعكس معنى التحضر الراقي، ونشير هنا إلى أن «جونسون» في قاموسه الأول بالقرن السادس عشر لم يستعمل كلمة «Civilization» واستعمل كلمة «Civility» وتعني الحالة المدنية أو التمدن.
- أن الأديان علاقة بين الخالق والمخلوق وكل ما هو مقدس أي «Holy»، ذلك المقدس لا يمكن أن يصارع؛ إذ إن العلاقة مع الخالق أسمى من أن توصم بالعنف، والأديان تدعو للسلام بين الناس، وبينهم والخالق، وبينهم والطبيعة، وبين الفرد وذاته وهي تقوم على قبول التعدد مع وحدة الهدف.. وعلى السماحة والتعايش مع استثمار التنوع البشري الخلاق، ذلك القبول المتبادل الذي تنادي به الأديان هو أساس السلام وليس ركيزة الصراع، وهو أيضًا جوهر الأديان، وفي كل مرة نعطي الأحداث تفسيرًا دينيًا فإننا نشجع مقولة علينا أن نرفضها.
- أن نظرية «هنتنجتون» تقوم على ثنائية الصراع بين حضارات الشرق والغرب، وبين المسيحية والإسلام، والحضارات لا ديانة لها، وحضارة الغرب ليست مسيحية، إنما هي حضارة مادية تقوم على الرأسمالية حيث الغاية تبرر الوسيلة وحيث يوجد فصل بين الدين والدولة، وهي حضارة تأثرت بعدد كبير من المفكرين المسلمين وغير المسلمين مثل: ابن خلدون، وابن رشد، وابن سينا، وابن النفيس، وابن طفيل، وأبو بكر الرازي، والخوارزمي مؤسس علم الجبر، وابن الهيثم، وأبو الوفاء البوزجاني، ومحمد بن الحسن الشيباني رائد التأليف في القانون الدولي.
- كما أن المسيحية ليست غربية فقط؛ أي ليست حكرًا على أهل الغرب دون غيرهم،

وهناك أعداد من المسيحيين العرب الذين يعتزون بالهوية العربية كان لهم إسهامات في إثراء الحضارة العربية والشرقية حتى قبل الإسلام، منهم: حاتم الطائي وامرؤ القيس وقيس بن ثعلبة وزهير بن أبي سلمى والمهلهل بن ربيعة وطرفة بن العبد، كما أن الأخطل، ويحيى بن عدي العباسي كانا شاعرين مسيحيين.

- بالإضافة إلى كل ذلك فإن دولة الهيمنة ورائدة الغزو وحروب اليوم ليس لها حضارة، ولا يوجد شيء اسمه حضارة أمريكية، وبالكاد هناك ثقافة أمريكية، ولا يمكن أن تكون النموذج الأفضل الذي وصل إليه العالم كما يدّعون.

- أن التطورات والأحداث الأخيرة والمعاصرة أثبتت بما لا يدعو للشك عدم صحة تفوق حضارة الغرب على غيرها «وحقها في سحق ما يختلف عنها». إن الحضارة الغربية المادية الصناعية مع ما جاءت به من اكتشافات واختراعات هامة أهدرت الطبيعة وأدت إلى كوارث ودمار، وجاء الجَشع المادي والإثراء على حساب الغير بانهيار مالي اقتصادي سيعاني منه الملايين، وسوف تستمر آثاره السلبية طويلًا، وأثبتت الغزوات والحروب والقتل والتدمير ومساندة الطغيان ودعم احتلال الأرض وسفك دماء المدنيين أن «الغرب» بعيد كل البعد عن الالتزام بالمبادئ الإنسانية التي كان يدافع عنها.

* * *

ولنراجع معًا رأي بعض أهل الفكر والسياسة حول مقولات الصراع المرتقب بين الحضارات:

يفند د. مراد غالب مقولات الصراع ويتساءل: هل الهدف من تلك المقولات خلق صورة عدو متربص، وإقناع الرأي العام باحتمالات المواجهة الدولية من أجل تبرير التواجد العسكري في كل مكان؟ وكي تستمر آلة الحرب الرهيبة في التطور المذهل والانتشار الكوني وتحقيق المكاسب؟ ويثير الدكتور غالب العديد من التساؤلات الهامة نذكر بعضها:

- لماذا استخدمت كلمة الصراع أصلًا، وصراع الحضارات بالذات، وهل كان الهدف من ذلك التأثير على الرأي العام، وإقناعه بأن احتمالات المواجهة والنزاعات قد

يشمل الكوكب كله، وهذا يستتبع التواجد العسكري الأمريكي الدائم بقواعده في أركان العالم على اتساعه؟

- وهل الهدف خلق صورة لعدو كي تستمر آلة الحرب الرهيبة في التطور المذهل والانتشار الكوني والإبقاء عليها على أهبة الاستعداد؟
- وهل لهذا علاقة باستمرار، بل وتزايد نفوذ المجمع العسكري الصناعي وأرباحه، وتبرير زيادة ميزانية التسليح وتطويرها؟
- ولماذا اعتبر «هنتنجتون»، أن روسيا تشكل حضارة منفصلة عن باقي القافلة السلافية، وهل الهدف من ذلك هو احتواء روسيا وتوسيع حلف الأطلنطي لكي يشمل دول وسط أوربا الاشتراكية سابقًا وعزل روسيا التي قد تسبب خطورة إذا ما استردت دورها؟
- ثم ماذا يعني توسيع حلف الأطلنطي لهذه الدول؟ إنه يعني استبدال النظم والمعدات والتسليح السوفيتي بآخر غربي، حتى ينسجم مع الحلف، وقد قدرت تكاليف هذا التغيير بمبلغ ١٥٠ مليار دولار، ولا داعي لذكر أين ستذهب هذه المليارات.
- ولماذا اعتُبرت اليابان وحدة حضارية منفصلة. هل لقوتها الاقتصادية أم لأن الخلافات التجارية يمكن تسويتها بالمساومة والحلول الوسطية؟
- ولماذا خُصَّ الإسلام بعداوة واضحة؟ هل لأن العالم الإسلامي عالم مترامي الأطراف واسع الثراء، وأن المسلمين أصبحوا متواجدين في جميع القارات وداخل الولايات المتحدة نفسها وهم مستمرون في الانتشار، وأن الإسلام يقدم بناء كليًا دينيًا ودنيويًا، من الممكن أن يقاوم العولمة والاختراق الثقافي والحضاري؟
- أما عن الحضارات البوذية والكونفشيوسية والهندوكية، فإنها لم تحظ بنفس الجرعة من الهجوم والتحذير منها مثل الإسلام والمسلمين؟
- ولا أدري لماذا تغاضى عن أن الحربين العالميتين الأولى والثانية، والتي راح ضحيتهما عشرات الملايين من البشر كانتا داخل حضارة واحدة هي الحضارة الغربية؟!

- وما رأي السيد «هنتنجتون» في المجتمع الأمريكي نفسه، الذي يتكون من مجموعات عرقية متباينة مثل الأمريكيين والأفارقة والإسبان والمكسيك وغيرهم. وهل تنطبق عليهم نظرية صراع الحضارات والأعراق؟
- لقد عدَّل «هنتنجتون» نظريته لكي يعتبر أمريكا اللاتينية ضمن الحضارة الغربية، فهل حدث ذلك عن قناعة منه أم لأسباب تتعلق بالسياسة الأمريكية؟

ويؤكد د. المسيري أن «هنتنجتون» يرى أن العالم كان أفضل حالًا عندما كان الغرب يسيطر عليه ثم تغير الأمر بظهور أفكار ووثائق ودول لا تؤمن لا بالتراث المسيحي/ اليهودي (أي تراث الحضارة الغربية) ولا بالقانون الطبيعي (التحديث على الطريقة الغربية والعلمانية)، وهذه الدول التي لا تنضوي تحت المنظومة الغربية، وهي دول تتراجع عن عمليات العلمنة والتغريب في العالم وبدأت تقاومها، بل وقد تتحالف مع بعضها ضد الفردوس الأرضي ونهاية التاريخ وحالة الطبيعة، فالصراع ليس صراعًا بين حضارات (لكلٍّ قيمتُها وقِيَمها) وإنما هو صراع بين منظومة قيمية غربية علمانية تدور في إطار المرجعية المادية، وتستند إلى فكرة القانون الطبيعي (المادي) بكل ما يتضمنه ذلك من إنهاء للتاريخ والإنسان والهوية من جهة، ومن جهة أخرى كل من يقاوم ذلك ولا يوافق عليه، ويرى أن الإنسان ليس مجرد مادة ولكن «هنتنجتون» موقن تمامًا أن ذلك صراع مؤقت، فثمة نقطة أساسية واحدة يتجه نحوها العالم فيتحقق فيها القانون الطبيعي (والعقل الكلي الغربي؛ الطبيعي/ المادي الحديث) نقطة انتصار الحضارة الغربية الحديثة الطبيعية/ المادية العلمانية، نقطة وصلت إليها بعض البلاد بالفعل، هذه النقطة هي الأفضل والنهاية والهدف حسب نظرية «فوكياما».

ويتساءل د. وجيه كوثراني: هل كل ذلك العنف والحروب الأهلية التي انفجرت بين قوميات يوجسلافيا وشعوب آسيا الوسطى وفي الهند، وأماكن أخرى هي صدام حضارات كما يسميها «صموئيل هنتنجتون»، أم أنها نتاج أزمة نظام عالمي يمر في نقطة حرجة من التأزم ومن الضيق الخانق الذي لا يجد مخرجًا له إلا التعبير الانفعالي والعنفي والصراعي بين الجماعات الثقافية والإثنية والسياسية وبين الدول

ومجتمعاتها، لا سيما وأن نتائج ما يسمى نظامًا عالميًا اليوم لا يتجسد بمؤسسات مرئية أو دول أو إدارات؟!

كما كان الحال في المرحلة الاستعمارية؛ ففي تلك المرحلة كان الصراع يجري بين شعوب ممثلة بحركات تحرر من جهة وإدارات وسياسات استعمار من جهة أخرى، أما في المرحلة الراهنة فإن تجسد النظام العالمي في علاقات سوق وحركة سلع وإعلام ووفرة إنتاج وتباين هائل ومفجع في أحجام الاستهلاك وأنماطه، أدى إلى حالة من الفوضى الدولية التي يسميها أحد الباحثين الاستراتيجيين الفرنسيين «فوضى الأمم» ولعله من الأنسب تسميتها «حالة انعدام التوازن في النظام العالمي ومتفرعاته».

ويعطي مثلًا لدور الحقائق الاقتصادية ـ ليس الأديان ـ في إشعال الصراع أن عدة آلاف من مليارات الدولارات والتي هي نتاج عمل وتوفير جميع الناس، تقع في قبضة جماعة من المستثمرين لا أحد يعرف من هم ولا أين هم، هم حفنة من أصحاب الأموال، دون أي تفويض انتخابي يتفاقم تطاولهم مع تقدم قطاع المعلوماتية والاتصال.

«إذ صار باستطاعتهم ممارسة الرقابة والتدخل دومًا وفي أي نقطة من الكرة الأرضية وبعيدًا عن أي قواعد قانونية أو رقابة، بل إن تدخلهم هذا يتم عبر رساميل هي ليست رساميلهم، كمية هائلة من الرساميل يجري تحريكها ساعة وكيفما يشاء المستثمرون من يد إلى يد أي أن باستطاعتهم تحطيم أو إنقاذ أي عملة وبالتالي أي نظام لأي دولة»[1].

* * *

والسؤال هو: كيف يمكن أن تعبر حالة انعدام التوازن في العلاقات عن نفسها في عالم اليوم بغير ما نراه اليوم من انفجار وأزمات وصراعات ما بين الجماعات والطوائف والأقوام والإثنيات والقبائل، وما بين الحدود الجيو - سياسية وحتى

---

(١) فخري لبيب (محرر) صراع الحضارات أم حوار الثقافات؟ أوراق ومداخلات المؤتمر الدولي حول الثقافات القاهرة ١٠ ـ ١٣ مارس ١٩٩٧ (القاهرة: مطبوعات التضامن، ١٩٩٧).

داخل الحدود نفسها، أي داخل الدولة الواحدة؟ فهل من الجائز أن نسمي هذه الصراعات صدامًا بين الحضارات؟ وهل هذه الأقوال التي انتشرت تصلح أن تكون فعلًا «نظرية»؟

إنها ليست نظرية

تقوم النظرية بمعناها العلمي الصحيح على علاقة السببية؛ أي تقوم على الواقع الذي يُثبت أن هناك علاقة سبب ونتيجة بين أركان النظرية، وبسبب علاقة السببية هذه، فإنه كلما توفر السبب تحققت النتيجة.

وهي تبدأ في صورة فرض يستمر وضعه تحت التجربة والملاحظة إلى أن تتكرر علاقة السببية وتثبت، وهنا فقط تصبح نظرية. هذا يعني أن ما يجعل الأقوال فرضًا وما يجعل الفرض نظرية هو ما يدور على أرض الواقع وليس ما يدور بخَلَد القائل.

هذه الحقيقة العلمية تقتضي ـ وتطالبنا ـ بفحص مدى صحة الأقوال والمقولات التي تجعل الحضارات والثقافات والأديان سببًا للصراع والصدام والعنف، وتقسم العالم إلى معسكرات وشيع حسب معتقداتها الدينية، وذلك من خلال البحث عن مدى صحة ما يقوله أفراد معدودون قد لا يؤكد الواقع أقوالهم، والفرق كبير بين النظرية العلمية، ووجهة النظر.

ومع أن النظرية تبدأ فرضًا يثبت في الواقع بعد تكراره في إطار علاقة سببية علمية.. وعندئذ فقط يمكن أن يطلق عليه «نظرية»، إلا أن كلمة نظرية أصبحت تستغل أحيانًا لترويج أو تسويق فكرة يراد لها أن تستقر في الأذهان فتؤثر على السلوك والقرارات. وفي تقديري فإن «نظرية» صراع الحضارات وصدام الأديان تنتمي إلى تلك المجموعة، ونأمل أن نناقش يومًا ما مفاهيم كلمات الإيمان: الدين، العقيدة، المذهب، الطقوس، والمعاملات. إن فهمها في إطارها الصحيح ومعناها الحقيقي يسهم في توضيح الأمور وصفاء الأذهان وتقريب الإنسان للإنسان، ونركز اليوم على مدى التزام مقولات أسباب الصراع بالأبعاد التي تجعلها نظرية صحيحة تستحق التصديق.

وإن كان المنطق يخلخل مقولة ذلك الصراع المحتوم بين المسيحية والإسلام.. فإن ما يدحضها تمامًا من جذورها هو الواقع الذي نعيشه فهو يقول غير ما تدعو له «تلك النظرية» ويرسم خريطة جديدة مختلفة تدعونا ـ بل تطالبنا ـ بإعادة النظر في «هذه النظريات»! لقد أصبح علينا أن ندرك أنها مقولات روجوا لها ضمن محاولاتهم لنشر ثقافة الرعب والهيمنة واستمرار آلة الحرب وتبرير الغزو والسيطرة. لقد أصبح علينا أن نخرج من ذلك الإطار استنادًا إلى الواقع الذي يهز كيان نظرياتهم ويدحضها.

* * *

لقد أثبتت الأحداث الأخيرة أن العالم لم ينقسم إلى معسكرات وفِرق حسب اختلاف الحضارات والأديان كما يدّعون، بل حسب اعتبارات أخرى تمامًا، منها: المصالح والأطماع، أو اختيار التمسك بالمبادئ الإنسانية، ومنها الخبرات السابقة التي مرت بها الشعوب وتعاطفها مع جانب دون آخر، وغير ذلك كثير من اعتبارات سياسية واقتصادية وبترولية واستراتيجية وعسكرية وانتخابية، ولنعط أمثلة لذلك:

عندما قامت حرب أفغانستان «لضرب الإرهاب» والقاعدة، صدق العالم ذلك، كانت مشكلة أفغانستان في بدايتها في واقع الأمر مشكلة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة؛ الاتحاد السوفيتي اللاديني والولايات المتحدة «المسيحية» التي اتخذت حليفًا لها المنظمات الإسلامية المتطرفة! وقامت واشنطن بتدريب «الإسلاميين» وتعبئة المتطوعين وإعدادهم في مقر لها في «نيوجرسي». أمدتهم بالمال والعتاد وفتحت لهم حسابات في نيويورك وواشنطن، بعضها ظل مفتوحًا لفترة طويلة حتى بعد قيامهم بأعمال إرهابية!! ولم تتيقظ السلطات الأمريكية لذلك الواقع إلا بعد نداء صدر من حديث في التلفزيون المصري فقامت بإغلاق هذه الحسابات أو ما تبقى منها.

اشتعل الصراع المسلح داخل أفغانستان ثم تحول إلى صراع بين الولايات المتحدة وطالبان والقاعدة وقام الغزو لـ«ضرب القاعدة» والحد من طالبان، وتقبل العالم ذلك لكنها لم تكن «حرب الغرب ضد الشرق». ولم تكن حربًا دينية أو مسيحية، تمامًا كما لم تكن أحداث الإرهاب التي اشتعلت إرهابًا، «مسلمًا»، وعندما

وقع غزو الكويت الذي قامت به دولة عربية مسلمة، لم تتحرر الكويت إلا بواسطة قوات مختلفة الحضارة والديانة.

ثم جاءت غزوة العراق حيث رأينا بوضوح تام صورة مختلفة تمامًا لأقوال «هنتنجتون» وغيره، فقد وقف الغرب ضد الغرب، ووقف الشرق ضد الشرق، ووقف المسلم ضد المسلم، ووقف المسيحي ضد المسيحي.

لم يكن هناك معسكر شرقي مسلم ضد الحرب، وآخر غربي مسيحي يؤيد الحرب، لم يكن هناك فريق مسيحي وآخر مسلم.

إن الذين عارضوا حرب العراق واتخذوا موقفًا صلبًا - قد يدفعون له ثمنًا غاليًا ـ كانوا دولًا غربية مسيحية: فرنسا الكاثوليكية، وألمانيا حيث الأحزاب المسيحية. روسيا الدولة الأرثوذكسية العتيدة التي عادت إلى الاعتراف بالأديان والتدين، كانت أكثر الدول رفضًا للحرب، والصين التي كان مفروضًا، حسب «هنتنجتون»، أن تكون مختلفة عنهم جميعًا، انضمت إليهم.

إن طائرات الغزو لم تنطلق من بلد غربي مسيحي ولكن من قواعد في دول مسلمة. وجنود الغزو دخلوا العراق عبورًا من دولة عربية، وتركيا الدولة الإسلامية العثمانية كان موقفها ضد الحرب أقل تشددًا من اليونان الأرثوذكسية التي كان رفضها للحرب قاطعًا واضحًا وأعلنت بسببه الحزن والحداد.

* * *

إن الأحداث على أرض الواقع لا تؤيد فكرة صراع الحضارات، والتكتلات والتنظيمات الموجودة على الخريطة السياسية لا تقوم على أساس الحضارة أو العقيدة الدينية.

كندا ابنة بريطانيا العظمى، والجار الاستراتيجي للولايات المتحدة، رفضت رفضًا باتًا سوء معاملة السلطات الأمريكية للأفراد بسبب عروبتهم أو عقيدتهم الدينية، وثار بينهما اختلاف وصل حد الخلاف.

الدول الإسكندينافية ذات الحضارة المتطابقة التي تتخذ عادة مواقف موحدة، انشطرت مواقفها، فأيدت الدانمرك الغزو أملًا في نصيب من الغنائم والأسلاب

(وكوفئت باختيار دانمركية لإدارة إحدى المقاطعات)، بينما رفضته فنلندا والسويد والنرويج.

أما فرنسا الكاثوليكية فإنها بسبب رفضها الحرب أصبحت العدو الأول لواشنطن، توجه إليها الإهانات والتهديدات والتحذيرات، مع محاولات لتضييق الخناق عليها اقتصاديًا وسياسيًا.

الصين دافعت عن السلام ورفضت الحرب؛ ليس لأنها دولة مسلمة؛ ولكن لأنها أدركت معنى الحرب؛ أهدافها واحتمالاتها.

* * *

كان موقف الشعوب أيضًا دليلًا آخر على تساقط نظرية صراع الأديان والحضارات، إذ قامت المظاهرات في العالم كله ضد الحرب، لم تدافع عن صَـدَّام لأنه مسلم أو عن شعب العراق لأنه عربي الحضارة، كانت ضد الحرب كوسيلة للتفاهم والعلاقات الدولية، وكانت تضم من ينتمون لجميع الحضارات والأديان، وفي دول الغزو ذاتها ـ الولايات المتحدة وإنجلترا ـ شارك الملايين في مظاهرات رفض الحرب بغض النظر عن الانتماء الحضاري والعقيدة الدينية، ارتفع فيها صوت الشعوب والمجتمع المدني مطالبًا بالسلام.

إن شعوب الدول المتجانسة في الحضارة والديانة أخذت مواقف مختلفة بل مضادة لبعضها البعض، بينما الدول والشعوب ذات الحضارات والمعتقدات الدينية المختلفة وقفت معًا جنبًا إلى جنب في نفس ساحة الحرب، أو في معسكر السلام.

* * *

عندما شعر «فوكياما» باهتزاز نظريته دافع عنها في مقال بـ«الإندبندنت» بأدلة هزيلة واهية، ثم تراجع أمام الحقائق ونشر مقالًا في «مجلة نيوزويك» يعترف فيه بـ«تأجيل نهاية التاريخ». كان ذلك الدفاع نوعًا من أنواع الاعتراف بما أصابها من شروخ تهدد بالسقوط، فهل يتراجع أيضًا الذين اختلقوا صراع الحضارات وصِدام الأديان؟ وهل يعترفون أن هدفهم في استنفار ذلك الصدام لم ينجح؟ وأن الأسباب الحقيقية للعنف والصراع هي المصالح والأطماع غير المشروعة، والهيمنة، وتبرير واستقرار الهجمة

الاستعمارية الجديدة؟ وكلها تستخدم الأديان للإثارة؟ وهل هذه الأديان فعلًا تدعو للحرب والصراع؟

صراع أم سلام؟!

لا أبالغ إذ أقول إن قضية ما يطلق عليه صراع الأديان وما وراءها من عوامل تزرع ذلك الصراع أو تشعله، أصبحت من أهم التحديات التي تواجه البشرية، فهي تهدد السلام وتهز الاستقرار وتصيب الكون والبشر في كل مكان بلا تفرقة.

لم يعد الحديث حولها تدريبًا ذهنيًا أو حوارًا أكاديميًا بل واقع مرير يقتضي الغوص إلى الجذور لكشف الحقائق والحد من الأضرار. هذه النظريات وجدت إعلامًا يروج لها وينشرها ولكنها لم تلق إعلامًا كافيًا يتصدى لها. ذلك التصدي الذي أصبح ضرورة بقاء وضرورة سلام.

ونحن في بحثنا عن السلام والتصدي لمقولة الصراع المحتوم بين المسيحية والإسلام، نؤكد أنه لا يمكن أن يكون صدامًا عقائديًا يستند لآيات الأديان أو تعاليمها لأن التقارب بينهما كبير؛ كل منهما ديانة سماوية تقوم على التوحيد. إن أهم آية في الإنجيل حسب قول المسيح هي «الرب إلهنا إله واحد»، وصلاة الإيمان المسيحي تبدأ بعبارة «أؤمن بإله واحد». كلاهما يؤمن بالله الأحد الصمد خالق السماوات والأرض ما يُرى وما لا يُرى، مهما تعددت الأسماء والأوصاف والأقانيم، وعبارة الآب والابن والروح القدس التي يساء فهمها لا بد أن تتلوها عبارة «إله واحد» ولا تعني التعدد.

كل منهما عقيدة تدعو للسلام، تحية الإسلام «السلام عليكم»، ودعاء المسيحية «السلام لكم»، ودعوته «طوبى لصانعي السلام». المسيح أطلق عليه رئيس السلام، والسلام من أسماء الله الحسنى في القرآن.

حتى الجهاد الذي يستشهد به بعض المسيحيين أنه دعوة للعنف، ويستخدمه بعض المسلمين لتبرير القتل والاغتيال ليس رخصة للقتل، وسوف نبين معناه الحقيقي، كما أن الآية التي تقول: ﴿قاتلوا في سبيل الله﴾ تقول أيضًا ﴿الذين يقاتلونكم.. ولا تعتدوا

إن الله لا يحب المعتدين﴾. ومن أقوال الرسول: «جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم»، كما يؤكد في حديث آخر أن الصلاة وبر الوالدين تأتي قبل الجهاد، ومن أصول الحروب عدم قتل المدنيين والرهبان أو تدمير الطبيعة، وكما قال الرسول: «أطعموا الطعام وأفشوا السلام».

في الإنجيل وردت كلمتا السلام والمحبة أكثر من ١٠٠٠ مرة، وصلاة القداس تنتهي بالدعوة للسلام للعالم وقادته وشعوبه من جميع الأجناس والأديان، ورسالة المسيح «أحب لغيرك ما تحب لنفسك»، و«أحبوا أعداءكم وصلّوا لأجل الذين يسيئون إليكم»، ومن أقواله: «من أراد أن يحيا ويرى أيامًا صالحة يصنع الخير ويطلب السلام».. نصيحته واضحة «لا تقهروا الشر بالشر.. بل اقهروا الشر بالخير».

من النبوءات عنه قيل إنه «ويتكلم بالسلام للأمم». عند ميلاده نادت الملائكة: المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام... رسالته «أترك لكم سلامًا»، «كلمتكم بهذا لتكونوا في سلام»، وجاء بالإنجيل «إن الذين يأخذون بالسيف، بالسيف يهلكون».

والإسلام يحترم الأديان السماوية الثلاثة، بها يكتمل الإيمان، يقبل التعدد ويدعو للتعايش في آيات كثيرة منها:

- ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾. (المائدة: ٤٨)
- ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾. (البقرة: ٢٥٦)[١].
- ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. (العنكبوت: ٤٦).
- ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾. (المائدة: ٢).
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾. (الحجرات: ١٣).

---

(١) نورد في الملحق مقالًا لفضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف بعنوان «لا إكراه في الدين» يعكس بأسلوب بليغ سهل موقف الإسلام في قبول الآخر.

■ ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾. (هود: ١١٨).

* * *

وللمسيحية والمسيحيين مكانة خاصة في الإسلام فهو يبجل ذات المسيح ويؤمن بمعجزة ميلاده من روح الله وكلمته التي أنزلها لمريم، كرم الإنجيل، وأسبغ على المسيحيين صفات نبيلة ولم يعتبرهم من المشركين.

● جاء في «سورة المائدة:٨٢» ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾.
وفي «سورة الحديد: ٢٧» ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾.

● ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. (البقرة: ٦٢).

● ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (آل عمران: ٣٣)، آل عمران الذي اختار الله من بينهم مريم ليرسل إليها روحه متمثلة في عيسى عليه السلام.

● والإسلام فرق بين المسيحيين والمشركين ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾. (آل عمران: ٥٥)، وهي شهادة برفعة المسيحيين على الكافرين.

● كذلك فرق بين المسيحية والمشركة فصرح بزواج الأولى مع الحفاظ على حقها ودينها بينما حرم زواج المشركة إن لم تُسلم. (المائدة: ٥).

● حقن الإسلام دماء أهل الكتاب ومنهم النصارى إذا دفعوا الجزية، ومن غير

المعقول أن هذه الجزية تؤخذ عوض البقاء على الكفر والشرك فهذا حرام ومحظور، فالكفر لا يُشترى والإيمان لا يباع. (التوبة: ٥).

إننا إذ نتأمل هذه النصوص، ومثلها كثير، ندرك أن الإسلام احترم المسيحية والمسيحيين، ولم يعتبرهم من المشركين. وتكلم عنهم كقوم على خلق، ولم يدعُ لقتلهم. وأن السلام من أركان المسيحية والإسلام معًا، وأن العقائد وتعاليمها بريئة من أن تكون سببًا للصراع، وسوف يتناول القسم الثاني هذه القضية بتفصيل أكثر.

بعد كل هذا، وفي ضوئه، يمكن القول إن التعصب أو تأكيد الصدام لا مبرر له ولا أساس له في العقيدة الدينية، فالأديان كما بينا تدعو للسلام، والإسلام وصف المسيحيين بالمودة والرحمة ولا يوجه إليهم أية أوصاف سيئة، ومجرد اختلاف المعتقدات الدينية لا يمكن أن يكون سببًا للنزاع والنزال والصدام فالديانات قضية نفسية روحانية شخصية تعبر عن نفسها في علاقة الخالق والمخلوق لا صلة لها بأطماع الغزاة أو المحاربين.

* * *

إن الله محبة، ورسالة الأديان السماوية «أحبوا بعضكم بعضًا»، ولا تقتصر المحبة على محبة الأبناء أو الإخوة إنما تتعدى كل ذلك لتشمل محبة الأعداء، ويقول الإنجيل: «أحبوا أعداءكم. باركوا لاعنيكم... وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم... لأنه إن أحببتم الذين يحبونكم فأي فضل لكم فالخطاة أيضًا يفعلون ذلك».

وآيات القرآن تمنع أن يناصب المسلم أي فرد العداء حتى إذا جاءهم فاسق بنبأ فإن عليهم أن يتبينوا حتى لا يصيبوا قومًا بجهالة فيصبحوا على ما فعلوا نادمين، وهو يوصي بالجار والصديق، ومن خُلق العرب دعوة كل جار وإطعامه وضيافته بغض النظر عن عقيدته الدينية. إن إيواء الغريب قمة المحبة والعطاء: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾، وقوله: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾، وقوله: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾.

إذ نؤكد أن اختلاف الأديان لا يمكن أن يكون سببًا للحروب والصراعات. يصبح

السؤال إذن فبماذا تفسر حروبًا وصراعات قامت وتقوم حولنا من أتباع ديانات مختلفة إن لم يكن اختلاف العقائد هو السبب؟! تؤكد النظرة الموضوعية المدققة أن سبب الحروب ليس الأديان وتعاليم الأديان إنما هي استخدام الدين لما له من حساسية خاصة وتأثير على النفوس لإشعال الفتن، وتلك الفتن ليست من أجل الدعوة للعقيدة، بل على العكس لأن الذي يرى شخصًا شاهرًا سيفه أو مدفعه أو جيشًا يهدم منزله ويغزو أرضه لن يعتقد أبدًا بصدق ما يقول ذلك المعتدي، ولن يقبل عقيدة من يرتكبون ذلك الضلال.

إنها دائمًا أطماع سياسية اقتصادية توسعية، تلك التي تشعل الصراعات وتتخذ من الدين عذرًا لها، إن سببها الجهل بالعقائد، ليس فقط الجهل بعقيدة الآخر لكنه جهل الإنسان بصحيح ذات عقيدته. إنها سياسة من يتاجرون بالدين كي يسحقوا إرادة الآخرين ويسيطروا عليهم، ويحركوهم كالدمى من أجل فوائد ورفاهية هؤلاء المسيطرون. إن الصراع من أجل الدين وبسبب الدين فيه إلغاء للعقل والمنطق والفكر ولكل المبادئ الإنسانية التي جاءت بها الأديان.

* * *

بعد كل ذلك هل يمكن أن نلوم الأديان ونلقي عليها مسئولية العنف والصدام والحروب والغزوات.. أم آن الأوان أن نفهمها على حقيقتها لنتعرف على تعاليمها ونحاول التمسك بها؟!

ألم يحن الأوان أن نبحث لنجد ما يجمع، بدلًا من أن نُضخم ما يفرق.. زيادة في الفرقة؟!

إن المسيحية والإسلام عقيدتان تقومان على التوحيد دون الشرك، والإسلام يُجل المسيحية ويحترم رموزها وكتبها. إن أوجه التشابه أو التلاقي بينهما أكثر من أوجه الاختلاف، وهذا ما تجاهلناه طويلًا ودفعنا لذلك ثمنًا غاليًا.

من أجل علاج تلك الأوضاع جاء هذا الحديث.. ولتوضيحه نقدم ما يدعمه في الجزء الثاني من الكتاب.

* * *

هذا عن تعاليم الأديان ودعوتها الحقيقية.. فماذا عن الواقع الفعلي، هل ينقسم

العالم إلى معسكرات وفِرق حسب الانتماء الديني؟ وما موقف رجال الدين والمؤسسات الدينية من تفسير الصراع على أساس الأديان؟

اعتبارات وحقائق

بعد أن حاولنا توضيح أن النصوص والتعاليم لا تحمل في طياتها دعوة الصراع، وأشرنا إلى موقف الشعوب التي اتفقت بأديانها المختلفة على رفض الحرب، وقبل أن نتطرق إلى موقف المؤسسات الدينية من قضية الصراع يهمنا طرح بعض الحقائق والاعتبارات الواجب مراعاتها والإلمام بها لتكامل طرح القضية.

وقد بينا أن الحكومات والشعوب، متباينة الحضارة، اتخذت باختلاف ثقافاتها، مواقف موحدة إزاء الأحداث الدولية المعاصرة، تقوم على رفض الحرب ونبذ العنف، ونسعى هنا لدراسة مدى صحة مقولة صراع الأديان بالإشارة إلى اعتبارات معينة وتقديم أدلة واقعية إضافية تشير إلى عكس تلك المقولة.

الاعتبارات:

- **أولها**: أن هناك في الغرب فصلًا تامًّا بين الدين والدولة، والعقيدة الدينية ليست ركنًا من أركان العمل السياسي والفكر السياسي. إن الرأسمالية الجامحة لا تهتم بالأديان. عقيدتها المادة، تتحالف مع الشيطان نفسه أينما كان من أجل المصلحة، نكرر أن الدوافع ليست الأديان إنما دائمًا السلطة والمصالح ورغبة البعض في التحكم الكامل من أجل المكاسب والمناصب.
- **والثاني**: أن الأحداث تشير إلى إمكان حدوث بعض قلاقل تتعلق بالدين أحيانًا ولكنها ليست بين «الشرق المسلم والغرب المسيحي» كما قالوا، إنما تقوم أيضًا بين مذاهب مختلفة في دين واحد سواء بين المجرى الرئيسي للكنائس المسيحية، والفرق اليمينية التي تعتبر بدعة دخيلة، أو بين الشيعة وغيرهم من مذاهب الإسلام بل داخل المذهب نفسه، أو بين قبائل متنافرة، ولا يمكن في هذه الأحوال القول إنها صراع أديان، إنه صراع من أجل التسلط والسلطة ولا تطالب به الأديان. إن الصِّدام بين المذاهب ـ الذي يعطون مثلًا له ما يحدث في العراق ـ هو ليس نتيجة

العقائد إنما نتيجة عدم النضج أو التخلف وبسبب الأنظمة الدخيلة التي تضرب من الخارج أو النظم الشمولية التي تقهر في الداخل.. فهذه الشيع والمذاهب التي تتقاتل في العراق، تعيش جنبًا إلى جنب في دول أخرى مثل كندا وأستراليا والولايات المتحدة ولو كان الصراع دينيا لحدث الصدام بينها أينما كانت.

- **ثالثًا**، نعم هناك بالفعل عودة إلى التدين بسبب الأهوال التي تعاني منها الإنسانية سواء من سلوك البشر أو من غضب الطبيعة، وهذا أمر إيجابي يعاون الإنسان على معرفة حجمه وإدراك حقيقته، مما يحد من نزعة الجبروت والتسلط، على أن يفرق الإنسان بين مبادئ الأديان والبدع.

يؤيد العودة للأديان تقرير نشرته مجلة تايم في عددها الأخير عن نتائج بحث يبين أنه رغم الاتجاه «اللاديني» الذي يسود عددًا كبيرًا من أجزاء العالم، خاصة الغرب، إلا أن الأغلبية من الأفراد في كل دول أوربا ما زالت تصرح أنها تنتمي إلى عقيدة دينية، وأعلى هذه النسب في الدانمرك وبولندا وأيرلندا واليونان وهي دول لا تنتمي إلى نمط واحد في الظروف والثقافات، ويبين البحث في نفس الوقت أن نسبة قليلة فقط من بين من يعتزون باحترام الأديان يقومون بممارسة الطقوس والشعائر الدينية. كما نلاحظ أن أوربا ما زالت تتردد في الإشارة إلى ديانتها المسيحية في دستور اتحادها.

- **رابعًا**، هناك اليوم تحول ما، حتى داخل الاتجاه «المسيحي» المتشدد، وتؤكد جريدة هيرالد تريبيون (عدد ١١ يونية ٢٠٠٦) أن حدة هجوم اليمين المتطرف الأمريكي، الذي يدّعي المسيحية، بدأت تهدأ «مما ينتقص من نظرية صراع الحضارات، وتظهر معه شروخ بالنسبة لصراع الأديان الذي يدعو إليه المتطرفون في كل من الإسلام والمسيحية».

كما يؤكد المقال أن هناك تحول في مواقف بعض المتطرفين من أبرزهم «جراهام»، الذي كان أساء للإسلام، ويصفه المقال بأنه واحد من هؤلاء «المصابين بالغرور يتهيأ له أن الله في معسكره بل ينتمي إلى مذهبه»! وأن «هاجارد» رئيس مجمع هذا المذهب يدعو إلى التركيز على ما يقدمه المذهب من إيجابيات إنسانية بدلًا من الهجوم على الغير، وأن «كارل توماس» أحد هذه القيادات يصرح ويعترف بأن بعض

هذه المذاهب «تهاجم الإسلام لحاجتهم إلى وجود عدو يحل محل الشيوعية...»، «فهذا يعاونهم في نجاح حملات جمع التبرعات لمشروعاتهم الخيرية!!»، وبذلك يشهد «شاهد من أهله» بالدوافع غير الدينية وغير المسيحية التي يقوم عليها ذلك المذهب، كما أن هناك كتابات تؤكد أن السلوك السياسي لذلك اليمين الجديد ليس سلوكًا مسيحيًّا، بل إنه على النقيض تمامًا من التعاليم المسيحية.

* * *

لقد ثبت أن الجهل بالعقائد لا يشمل فقط الجهل بعقيدة الآخر، لكنه جهل الإنسان بصحيح ذات عقيدته، إنها سياسة من يتاجرون بالدين كي يسحقوا إرادة الآخرين ويسيطروا عليهم، ويحركوهم كالدمى من أجل فوائد ورفاهية هؤلاء المسيطرين.

حقيقة أن أحداث سبتمبر أعطت مبررًا لترسيخ فكرة «صراع الأديان» عندما نسبت إلى «إسلاميين»، ثم جاءت حرب أفغانستان لتصفيتهم، لذلك كان السؤال الذي حاولنا الرد عليه هو: هل الأحداث التي تلت تؤيد ذلك الصراع؟ وهل هناك بالفعل فريقان أحدهما مسيحي والآخر مسلم؛ أحدهما غربي يؤيد الحرب والآخر شرقي يرفض العنف؟

- إن رفض ما حدث للشعب الأمريكي في سبتمبر لم يقتصر على دول غربية دون سواها إنما شمل العالم كله.. كان شعورًا عارمًا شمل الوجدان الإنساني وشغل عقله، كما أن الضحايا كانوا ينتمون إلى جميع الأديان.
- كان غضب العالم ينصب على بن لادن، وليس على الإسلام، وتألم له المسلمون والمسيحيون والبوذيون وغيرهم على حد سواء ولم يثبت للآن «إسلام» ما ارتكب أو من ارتكبه.
- كان العداء داخل أمريكا ضد العرب سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين لكنه لم يشمل المسلمين من الأمريكيين!
- إن رفض ـ بل كراهية ـ الشعوب لحكومة الولايات المتحدة ـ ومعاناة الشعب الأمريكي من جراء ذلك ـ لا تقوم على أساس ديني، فلا يقول المسلم: نحن نرفض الأمريكي ما عدا المسلم، أو يقول المسيحي: إننا نرفض المسلم فيه دون

المسيحي. هذا موقف لا تدخل الأديان عاملًا فيه. إننا أساسًا لا نرفض الشعب الأمريكي أو أديانه، إنما نرفض كل فكر أمريكي يدعم الاستعمار والهيمنة ويعاون في إبادة وتعذيب شعب فلسطين.

- وجدير بالذكر هنا أن كلينتون الأمريكي المسيحي تدخل وساعد المسلمين لحسم العنف ضدهم في شرق أوربا، بينما الأعمال الإرهابية الأخيرة ارتكبتها القاعدة «الإسلامية» في دول عربية إسلامية، بل في أماكن لها قدسيتها الإسلامية.

كلها حقائق تثبت أن هناك على أرض الواقع وبالنسبة للمبادئ والقرارات والسلوك تداخل بين المسلم والمسيحي وبين الشرقي والغربي.

- بالإضافة إلى كل ذلك وقبله فإن تنبوءات «هنتنجتون» ذاتها تحمل بين طياتها تناقضًا يهدمها من الأساس، ففي عبارة سطحية متناقضة يعبر «هنتنجتون» عن رأي دعاة نظرية ذلك الصراع فيقول: إن «اختلاف الحضارات هو اختلاف عناصر التاريخ واللغة والحضارة والتقاليد، ولكن أهم العناصر جميعًا هو الدين» وهو يركز على أن كل حضارة تستند إلى رؤية دينية بصورة تجعل الصراع الحضاري صراعًا دينيًا، لكنه بعد ذلك يناقض نفسه في ذات مقالته فيقول في شرح البعد الديني لديانة الغرب: إن الغرب ديانته هي «الديمقراطية، والاقتصاد الحر والليبرالية، والحكم الدستوري، وحقوق الإنسان»، وأيضًا يضيف إليها «فصل الدين عن الدولة»، وهو بذلك يعترف أن الغرب ديانته ليست عقيدة دينية سوف تتصارع مع ديانات أخرى وأن ما يتحدث عنه هو ليس صدام الأديان لكنه صراع بين المبادئ النبيلة المشتركة بين الأديان من جانب، وأطماع المصالح السياسية والهيمنة في الجانب الآخر، وأن هناك فصلًا بين الدين والدولة مما يعني أن الدول لا تتخذ قراراتها على أساس ديني، كل ما هنالك أنها ملزمة باحترام المعتقدات الدينية وحتى ذلك فإنها لا تلتزم به بالنسبة لكل الأديان.

إن مواقف الحكومات والأنظمة المختلفة بالنسبة لأحداث العراق وفلسطين ورفض ما لاقاه العرب والمسلمون من سوء المعاملة في الولايات المتحدة، لم تكن قائمة على تقسيمات دينية. «والقنابل الذكية» في العراق قتلت المسلم والمسيحي معًا، وأسلحة الجيش الإسرائيلي دنست الكنائس والجوامع معًا.

إن العقائد الدينية بريئة مما يرتكب «باسمها» بينما هو في حقيقة الأمر يرتكب «ضدها». وما يقوم به البعض هنا أو هناك أحداث لا تصنع «نظرية».

حتى جرائم إسرائيل ـ «هتلرية العصر» و«النازية الصهيونية» ـ لا يمكن القول إن تعاليم اليهودية تساندها. وهناك يهود كثيرون يرفضون شارون ـ وأعوانه وما يرمز له ـ في الشرق والغرب ويعتبرونه أسوأ ما حدث لديانتهم.

* * *

نعم.. نعود لنقول إن هناك عودة إلى التدين بسبب الأهوال التي تعاني منها الإنسانية سواء من سلوك البشر أو من غضب الطبيعة، نعم هناك شيء من تعصب استثار لدى البعض الدفاع عن عقيدتهم، بل هناك بعضٌ مِن تطرف وصل حد الإرهاب. إرهاب له أبعاد جديدة، بعضه تقوم به جماعات ومنظمات وبعضه تقوم به دول وحكومات. هذه ببساطة هي خريطة الواقع الذي حولنا لكنها لا تؤكد أن هناك صراعًا محتومًا بين المسيحية والإسلام.

القيادات الدينية و«نظرية» الصراع

أكدنا أن ما روجوا له عن صدام الحضارات ـ وأهم أركانها الأديان ـ لا يرتقي إلى مستوى النظرية، وأن تعاليم الأديان لا تحمل بين طياتها الدعوة للصراع، بل تنص على الدعوة للسلام، وبيّنّا موقف الشعوب التي اتحدت في رفضها للحرب، إلا أننا رغم ذلك شغلتنا أقوالهم وشُغلنا بأفكارهم ونظرياتهم، وبدأ الفكر يدور حولها، وعقدت الندوات والمؤتمرات لمناقشتها، واختلفت الآراء حولها، وتغيرت المسميات والتساؤلات بين صراع وصدام وحوار وتعايش، وبين الأديان أو الحضارات أو الثقافات.. لكن كانت كلها تدور حبيسة داخل ذلك الإطار الحديدي الذي وضعونا فيه، فرضوه علينا فرضًا وأصبحنا نترجم الأحداث على هذا الأساس. لقد وضعوا عقل العالم كله، بعلمه ومعرفته وخبرته، في ذلك الحيز المحدود.

لذلك عندما وقعت أحداث تدمير نيويورك وواشنطن نسبت إلى الإسلام عمومًا والمسلمين جميعًا، وعندما قامت غزوة سياسية بترولية لاحتلال العراق نسبت إلى

المسيحية وكأنها حرب دينية، حدث خلط بين الإرهاب والإسلام والفرق بينهما شاسع، كما حدث خلط بين الصليب رمز الوفاء والعطاء والفرنجة دعاة الحرب، كلها مغالطات وأخطاء تم الترويج لها إشعالًا لفكرة ذلك الصدام الذي يؤخذ مبررًا وذريعة للحد من «الإرهاب» الذي يقوم به «العرب والمسلمون» ضد «الغرب والمسيحية!!».

الحقيقة أنه ليس صراعًا بين الأديان ولكنه صراع بسبب غياب الأديان وتجاهل التعاليم الدينية. بن لادن ذلك الأسطورة الجديدة، العدو المارد الخفي والمختفي، أصبح يمثل الإسلام ويبرر اتهام المسلمين، مع أنه يهدر مبادئ الإسلام، وصقور واشنطن الذين نسوا تعاليم المسيحية وأدانت كنائس العالم تصرفاتهم وقراراتهم، أصبحوا يمثلون المسيحية، مع أن المشكلة في الحالتين ليست العقيدة ولكن بُعدهم عنها وإهدار تعاليمها.

نعم.. إن هناك صِدامًا، ولكنه بين دعاة الإرهاب والعنف والقتل بأنواعه في مواجهة دعاة السلام والأمن والتنمية والمساواة والديمقراطية، بين أنصار الحرب وأنصار السلام، بين أطماع السيطرة والانفراد بالقوة ومحاولات الحد من تلك السلطة المطلقة.

لقد أثبتت حكومة الولايات المتحدة صدق المبدأ الذي قامت عليه دولتهم، وهو أن «السلطة تفسد والسلطة المطلقة تفسد فسادًا مطلقًا».

نعود لنقول إنه صراع له أسباب وأسس غير دينية، ومواجهة لها دوافع اقتصادية وعسكرية واستراتيجية غير دينية.

لقد أصبح معروفًا أن واشنطن تبحث دائمًا عن عدو يجمع بين الجماعات المتباينة الأصول والجذور في مجتمعها حتى تسيطر على الساحة الداخلية من خلال التخويف منه وتهويل أخطاره. كان ذلك العدو الشيوعية والاتحاد السوفيتي، وأصبح اليوم القاعدة والإرهاب، وزُجَّ بالإسلام والعروبة زجًّا، مع أن القاعدة ليست الإسلام، بالضبط كما أن صقور واشنطن ليسوا المسيحية. الاثنان بعيدان كل البعد عن صحيح عقائدهم. إن الغزو والتخريب والدمار الذي يقوم به كلاهما، والتعصب الذي يعانون منه، أمور ترفضها المسيحية ويرفضها الإسلام.

فماذا تقول القيادات الدينية وما هي مواقف المؤسسات الدينية؟

يكتب البابا شنودة: إن القرآن الكريم يرفض العدوان على الآخرين رفضًا قاطعًا طالما لم يسيئوا إلى المسلمين، ويطلب من المسلمين أن يتعاملوا معهم على أساس من التعايش الإيجابي بالبر والعدل، وآيات القرآن الكريم في هذا الصدد صريحة وواضحة لكل باحث نزيه.

ويضيف: إن الغرب له مصالح في العالم الإسلامي.. أرض البترول الذي تعتمد عليه الحضارة الغربية.. وهو السوق الواسعة للمنتجات الغربية التي تنقل ثروات العالم الإسلامي إلى الغرب، والتاريخ القديم والحديث حلقات من تاريخ الصراع بين الغرب والعالم الإسلامي؛ ليس صراع عقائد وليس صراع ديانات وليس صراع حضارات ولا ثقافات ولكنه صراع مصالح.. ومصالح الغرب مرتبطة ببقاء العالم الإسلامي منقسمًا وجاهلًا ومنشغلًا بصراعاته الداخلية ومرفوضًا.

ثم يقول في إحدى محاضراته إن الحوار عليه تصحيح ما في أذهان الغرب ليعرف الغربيون أن الإسلام يؤكد أنه لا إكراه في الدين، وأن التطرف تنشره جماعة لا يوافق الإسلام عليها، وأن العنف لا يتفق مع مبادئ الإسلام.

- ويقول المفكر الإسلامي الدكتور رأفت عثمان ـ أستاذ الفقه بجامعة الأزهر ـ إن ما يتردد عن صدام الحضارات والأديان يناقض الحقيقة الدينية في الإسلام الذي يدعو للتعارف والاتصال بالشعوب الأخرى ويحمل معنى المودة والتعاون، أما التصادم فمعناه الرفض وعدم التعارف، ويرى أن هناك اتجاهات غربية أوربية روجت لهذه الأفكار فتأثرنا بها على أنها دعوى حضارية ومع أنها دعوى كاذبة تسعى لإظهار المسلم أنه غير متعاون مع أن الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها مع مسلم أو غير المسلم.

- ويرفض الدكتور زقزوق ما ينسب للإسلام أنه ضد المسيحية ويستشهد بالآيات وبالرسالة النبوية إلى أهل اليمن «أنه من كان على يهودية أو نصرانية فلا يفتن عنها».

- ويعقد مجلس الكنائس العالمي اجتماعًا لمناهضة العنف بأشكاله ومصادره، وينشر

أحد الآباء في جريدة «الرسالة» الكاثوليكية مقالًا يبين فيه أن المستقبل يتطلب قبول جميع الأديان، ويبالغ قليلًا فيقول: إن «قديس» المستقبل هو ذلك الذي يحترم المعتقدات الدينية بلا تفرقة ويتقبلها لأن التمسك بواحدة دون سواها ينتقص من تعاليم الخالق.

- أما فضيلة الإمام الأكبر د. سيد طنطاوي فله سلسلة بليغة من المحاضرات ألقاها بأوربا يقدم فيها صورة حقيقية عن الإسلام ومبادئه وإنسانيته واتفاقه مع العلم والعقل ومسايرته لتطور الحضارة الإنسانية على مر العصور ويدحض بمنطق هادئ، يخاطب العقول، ما ينسب للإسلام من عنف وصدام.

* * *

في إبريل سنة ٢٠٠٣ عقد البابا «جون بول الثاني» صلاة في ساحة «البازيليكا» للصلاة من أجل السلام مؤكدًا أنه «القيمة التي تقرها جميع الأديان».

وفي خطاب تاريخي له أمام البرلمان الإيطالي ندد بابا الفاتيكان بقسوة الصراعات في الأرض المقدسة التي يسقط فيها المسلم والمسيحي معًا، ورفض التهديد بالحرب مطالبًا بالسلام، وكان الخطاب قويًا مؤثرًا (ومما يذكر أن في أعقابه قام «مارسياني» أحد زعماء المافيا ـ وكان حكم عليه غيابيًا بالسجن ٣٠ عامًا ـ بتسليم نفسه للسلطات الإيطالية قائلًا إن حديث البابا عن السلام ورفض العنف أثر فيه تأثيرًا بالغًا ودفعه للتوبة).

ولم تقتصر مواقف الفاتيكان على البيانات والدعوات ولكنها كانت واضحة دائمًا في الساحة الدولية، ففي قمة الأرض أعلن مندوب الفاتيكان أن حماية الكون والبيئة ترتبط بالسلام ورفض الحرب التي لا تبرير لها، ثم في اجتماع منظمة الأمن والتعاون الأوربي في٦ أكتوبر سنة ٢٠٠٢ أعلن الفاتيكان أنه يعارض حرب العراق.

وعندما قدم «باول» وزير الخارجية الأمريكي لمجلس الأمن «أدلته» التي تؤكد وجود أسلحة دمار شامل بالعراق أعلن الفاتيكان أن أدلة باول مبهمة وغير مقنعة وأن البابا لا يستطيع اعتبار أي حملة تشنها الولايات المتحدة أمرًا مبررًا.

وظل البابا يسعى للسلام واحترام الشعوب وحقوقهم، وبعد غزو العراق وما تبعه

من فوضى وتخبط، حمل مندوب الفاتيكان رسالة إلى الرئيس الأمريكي يطالبه بإنهاء معاناة شعب العراق.

وهكذا اتفقت الأديان واتفق قياداتها شيوخًا وقساوسةً على رفض الحرب والصراع وارتفع صوتهم الموحد في أرجاء العالم لإسقاط مقولة صراع الأديان.

هذا عن رجال الدين، فما هو موقف المؤسسات الدينية المسيحية التي كان مفروضًا أن تدعم «الغرب»؟

اتفقوا في الدعوة للسلام

أوضحنا أن الحضارات والأديان، تحمل بين طياتها مقومات الاستقرار والتكامل، وليس الصراع والصدام، وتناولنا موقف الحكومات والأنظمة المختلفة بالنسبة لأحداث العراق وفلسطين وكيف أنها لم تكن قائمة على تقسيمات حضارية أو دينية. كما أشرنا إلى الشعوب التي عبرت عن مواقفها بصوت عالٍ في مظاهرات غير مسبوقة ترفض الحرب والعنف، شارك فيها من ينتمون لكل الحضارات والأديان بلا تفرقة، وعانوا أيضا من أجل مواقفهم بلا تفرقة، وعن موقف بعض القيادات الدينية.

ومن المهم التركيز على المؤسسات الدينية المسيحية وما اتخذت من مواقف لأن هذه المؤسسات كانت الهدف الذي أرادوا إثارته للنفاذ منه إلى الشعوب المسيحية، ولكنه أسلوب لم يفلح إلا بالنسبة لقلة ضئيلة تنتمي لمذهب مسيحي يكاد يكون غير معترف به يقوم على التطرف، يقابله في الجانب الآخر «القاعدة» التي تقوم على العنف وليس على تعاليم الإسلام.

كانت هذه النظريات تستهدف أساسًا المؤسسات المسيحية فهل نجحت في ذلك؟ ولنتعرف على مواقف هذه المؤسسات في مواجهة الحروب التي يقوم تفسيرها أو تبريرها استنادًا لذلك الصراع المزعوم بين الأديان.

هناك موقف الكنائس الشرقية وفي مقدمتها الكنيسة المصرية وعلى رأسها البابا شنودة الذي اتخذ موقفًا صلبًا واضحًا متكررًا يدين به غزو العراق والعدوان على فلسطين، وكان مندوبه من أول المتظاهرين في مظاهرة ضد غزو العراق نظمها

الحزب الوطني في مصر. كما قامت كافة كنائس المهجر القبطية بدور نشيط وفعّال في هذا المجال، وللكنيسة المصرية مواقف كثيرة تدافع فيها عن الإسلام والعروبة والمحبة والسلام.

وهناك موقف بابا الفاتيكان ـ البابا «يوحنا بولس الثاني» ـ الذي لم يكف عن الدعوة لعدم الحرب والتحذير من نتائجها ولأول مرة خرج عن هدوئه وأنذر «بوش» أنه سوف يدفع الثمن في الدنيا والآخرة.

كان صوت الفاتيكان ـ ويتبعه عشرات الملايين من المسيحيين في العالم ـ عاليًا في موقفه الرافض لحرب العراق ومعاناة شعب فلسطين. ففي رسالة العام الجديد يناير سنة ٢٠٠٣ دعى البابا «جون بول الثاني» إلى إنهاء القتال في الشرق الأوسط وقال إنه «يتعين أن يتعاون جميع من يؤمنون بالله والذين يعرفون أن التدين الحقيقي يجمعهم لبناء السلام بدلًا من وضع الأفراد والشعوب في موقف صراع متبادل».

كما رفض أسقف «كاتنبري» ما ساقه «بلير» تبريرًا للحرب التي وصفها بأنها غير أخلاقية وأرسل لنحو ٨٠ مليون شخص يتبعون هذا المذهب المسيحي، بيانًا يطالب فيه بمواصلة التفتيش عن الأسلحة بدلًا من شن الحرب، وأيدت هذا الموقف «جولي سميث» خبيرة المعهد الملكي للشئون الدولية وأعلنت أن دفاع بلير تحول من محاربة الإرهاب إلى تغيير نظام الحكم والتخلص من صدّام ودوافع أخرى منها مسألة النفط ومستقبل السعودية والعنجهية البريطانية ـ التي تريد أن تستعيد مكانتها ـ بعد أن أصبحت «قوة متوسطة»!

وفي الولايات المتحدة عارض الأساقفة ضرب العراق «التي هي ضد التعاليم المسيحية ولا مبرر لها» كما رفضوا «تغيير نظم الحكم بالوسائل العسكرية»، وحث مجلس الأساقفة في الولايات المتحدة الرئيس بوش على عدم شن حرب ضد العراق.

- كان لكنائس شمال إفريقيا ولبنان وسوريا وفلسطين والسودان موقف حاسم كعرب مسيحيين يرفضون غزو العراق ويطالبون برفع العقوبات.
- في اجتماع قبرص ديسمبر ٢٠٠٢ ناشدت كنائس الشرق الأوسط العالم رفع الحصار عن العراق وتجنب الحرب.

● كما بعث رؤساء كنائس الشرق برسالة إلى بوش يستنكرون فيها الأوضاع في القدس ويرفضون تطبيق قرار ٢١٤ من قانون العلاقات الخارجية المتعلقة بالقدس ويطالبون برفع المعاناة عن الفلسطينيين.

● ومع بداية شهر رمضان قام مجلس كنائس الشرق الأوسط في سويسرا بتهنئة العالم الإسلامي وأعلن رفض فكرة «احتلال الحقيقة المطلقة»، ورفض «الاستحواذ على الجنة»، «واتخاذ العقيدة وسيلة للتحكم في ضمائر البشر». ويوم الأحد بدأ الواعظ حديثه بالدعاء لمن يصومون رمضان.

ونستطرد لنقول إن معسكر رفض الحرب لم يقتصر على منطقة دون سواها فانضم له المسيحيون في آسيا، وفي نوفمبر ٢٠٠٢ أعلن «لحام» مطران أستراليا رفض الكنيسة احتمال حرب العراق وطالب بدعم الفلسطينيين وإنقاذهم من الاحتلال الإسرائيلي، كما أعلن المطران «عبد الأحد» أن الإسرائيليين جميعًا ومن يساندهم مسئولون عن مجازر فلسطين، وفي باكستان اجتمع رجال الدين الإسلامي والمسيحي وأشادوا بموقف المسيحيين في باكستان ضد الحرب، وفي اليابان اجتمع الأساقفة وأصدروا بيانًا يطالب أمريكا وبريطانيا بالعدول عن الحرب.

وفي جنوب شرق آسيا تجمع بعض المواطنين ودخلوا إحدى الكنائس ليقيموا صلاةً للسلام قرروا أن تستمر في حالة انعقاد إلى أن تنتهي الحرب، لذلك لم يكن غريبًا أن يشيد مندوب سوريا والعراق في مجلس الأمن بموقف الكنائس في العالم التي ترفض الحرب وتطالب بوقف معاناة الفلسطينيين.

شمل هذا الرفض أيضًا المؤسسات المسيحية داخل دول الغزو ذاتها وكان واضحًا في كل من الولايات المتحدة وإنجلترا فأعلن الكاردينال «أوكونور» رئيس الكنيسة الكاثوليكية في إنجلترا أن الغرب مسئول عن تجنب الحرب وقال في مقال نشرته له جريدة «تليجراف البريطانية»: إن العقوبات المفروضة على العراق لم تنجح، وإن التواصل وليس الحرب وسيلة أكثر جدوى للإقناع والوصول إلى الأسلحة التي يتحدثون عنها.

* * *

لقد اتفقت جميع المؤسسات الدينية على ضرورة احترام الآخر وإيجاد قاعدة من التفاهم بين الإسلام والمسيحية تقوم على مبدأ التعايش السلمي واحترام الخصوصيات الوطنية والدينية والثقافية وتشجيع التعاون بين الأفراد بمختلف دياناتهم.

وأصدرت اللجنة المركزية لمجلس الكنائس العالمي بيانًا أشار إلى «الاحتلال غير الشرعي» لفلسطين، والتهديد بحرب العراق، والقلق الشديد من أسوأ كوارث إنسانية، «وعجز المجتمع الدولي - أو عدم استعداده - للتجاوب مع النداءات المتكررة لوقف تصاعد العنف مع المطالبة بوجود دولي في الأراضي المحتلة يضمن احترام قرارات مجلس الأمن».

ليست حروبًا دينية

يصل بنا الحديث في بحث مدى صحة ما يطلق عليه «حروب دينية» سببها صراع الأديان. وهل الاختلاف بين المسيحية والإسلام يدعو لذلك العداء الذي يروجون له ويدللون على صحة أقوالهم بحروب وصراعات تقوم بسبب اختلاف العقائد الدينية.

إن اختلاف العقائد الدينية والخلاف حولها لا يمكن أن يعالج بالقوة والعنف، والصدام لا علاقة له بالأديان، ولو كان اختلاف الأديان مدعاة للصراع والحرب والكراهية والرفض ما تكاملت الحضارات وتفاعلت وتقدمت بها البشرية جمعاء. إن أصحاب القيم السامية موجودون بين أتباع كل عقيدة، والمنحرفون ودعاة الحرب والقتل موجودون أيضًا بين أفراد كل عقيدة. إن السلام يقوم على تعايش الأديان، والتنمية تأتي دائمًا نتيجة تفاعل وتعاون الحضارات والثقافات.

نكرر هنا لنؤكد أن المسيحيين ساهموا في نهضة العروبة قبل الإسلام وبعده، كان منهم المفكرون والشعراء والكتاب والأدباء والمترجمون، كما أن العرب - بغض النظر عن دياناتهم - لهم أثر كبير وإيجابي على النهضة الغربية، منهم علماء في الطب والفلسفة والاجتماع يعترف الغرب بأفضالهم، والتكامل بين أولئك وهؤلاء هو المصدر الذي انبعث منه شعاع التنوير.

* * *

إذا كان اختلاف الأديان لا يمكن أن يكون سببًا للحروب والصراعات، يصبح السؤال إذن: بماذا تفسر حروبًا وصراعات قامت وتقوم حولنا من أتباع ديانات مختلفة، إن لم يكن اختلاف العقائد هو السبب؟! تؤكد النظرة الموضوعية المدققة أن سبب الحروب ليس الأديان وتعاليم الأديان إنما هي استخدام الدين لما له من حساسية خاصة وتأثير على النفوس لإشعال الفتن، وتلك الفتن ليست من أجل الدعوة للعقيدة بل على العكس فالعنف لا يقنع أحدًا أن صاحبه على حق.

إن الصراع من أجل الدين وبسبب الدين فيه إلغاء للعقل والمنطق والفكر ولكل المبادئ الإنسانية التي جاءت الأديان تنادي بها، إنها ليست حروبًا دينية حتى ولو بدت غير ذلك، ولنعط أمثلة:

- إن «الجهاد» الذي يستشهد به الغرب على أنه دعوة صارخة للحرب والدمار كان له قيود في الزمان والمكان والأسلوب، وله معان ثلاثة: مجاهدة العدو الظاهر، ومجاهدة الشيطان، ومجاهدة النفس. ومعروف أن نبي الإسلام عندما تقدم به السن قال: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» ولما سئل: وما هو الجهاد الأكبر يا رسول الله؟ قال: «إنه الجهاد مع النفس وداخلها لترويضها على الخير، بعيدًا عن الشر».

هذه الحقائق ـ مع الأسف ـ لا يعرفها المسيحيون عن الإسلام، والأكثر غرابة من ذلك لا يعرفه بعض المسلمين الذين يظنون أن قتل المسيحي وإباحة دمه هو الطريق إلى الجنة، وأنه الجهاد المفروض عليه، وأن الحروب تدعمها العقيدة الدينية.

- و«حروب الفرنجة» التي أطلق عليها خطأ اسم «الصليبية» ـ لأن العسكر كانوا يرسمون الصليب على ملابسهم ـ لم تكن حروبًا دينية، وقد أثبتت وثائق التاريخ أن «الذين قاموا بهذه الحرب عجزوا أن يجدوا آية واحدة في الإنجيل تبرر حملتهم، فادعوا أنها لحماية الأراضي المسيحية المقدسة». لقد كانت لأسباب اقتصادية توسعية، ولرغبة حكام العصور الوسطى أن تنشغل شعوبهم المحرومة في غزوات حتى لا يثوروا، إنها من أجل الطمع وليس من أجل الدين. لم يقل أحدهم إنها تستند لأسباب أو مبررات دينية لنشر العقيدة أو لإقناع العرب والمسلمين بدخول المسيحية أو تغيير العقيدة، إنما أقصى ما قالوا هو حماية المقدسات المسيحية التي

في أيدٍ إسلامية، ومعروف أن هؤلاء الفرنجة قتلوا حوالي ٦٠٠ مسيحي أغلبهم من رجال الدين المسيحي الذين تصدوا لهم دفاعًا عن أرضهم فلسطين، وهذه أيضًا حقائق لا يعرفها الكثيرون.

- والحرب في فلسطين ليست حربًا ضد اليهود إنما هي رغبة أصحاب الأرض في التحرر من الغزاة ومن الظلم، ووضع حد للتخريب والقتل والإبادة التي ترتكبها إسرائيل ولا علاقة للدين في ذلك، فأهل فلسطين هم من العرب المسلمين والمسيحيين، هؤلاء قتلوا معًا ودمرت مساكنهم وضربت قراهم، وانتُهكت بيوت الله المسيحية والإسلامية على حد سواء، على يد إسرائيل.

- نفس الشيء بالنسبة لما حدث في غزو لبنان.. فإن قنابل إسرائيل لم تفرق بين مسيحي ومسلم، ولم تفرق بين المؤسسات الدينية؛ فدمرت الكنائس والجوامع والطرقات بلا تفرقة.

- حتى الحرب في أيرلندا بين «الكاثوليك والبروستانت» ليست حربًا دينية، فهي لم تكن بسبب اختلاف المذاهب ولا خلافًا حول جوهر العقيدة أو طقوسها أو تعاليمها. لم يغضب البروستانت لأن الكاثوليك مثلًا يُحرمون بعض وسائل تحديد النسل، ولم يغضب الكاثوليك لأن البروستانت يسمحون بالطلاق. إنها حرب لا علاقة لها بالعقيدة الدينية.

القضية غير ذلك تمامًا، إنها كما يلي: أيرلندا بلد مواطنوها ينتمون للكنيسة الكاثوليكية، غزتها واحتلتها إنجلترا التي ينتمي أغلب شعبها إلى الكنيسة البروتستانتية. وعكف المحتل على حكمها وقهرها، كان الإنجليز البروستانت هم الأسياد والنبلاء والأثرياء وأصحاب الأرض والسلطة، وكان أهل أيرلندا الأصليون، من الكاثوليك، هم الأتباع والكادحين.. وكأي شعب احتلت أرضه فإنه يحرم من حقوقه وأهمها المساواة. تغتصب كرامته، وتنتقص حريته، لذا ثار شعب أيرلندا الكاثوليكي، ليس لأنه كاثوليكي إنما من أجل طرد المستعمر وتحقيق المساواة ودخل مع الحكام الإنجليز في صراع ليس لأنهم بروستانت لكن لأنهم غزاة ظالمون.

بالإضافة إلى كل ذلك فإن الصراع الدائر في العراق الذي يؤكد الكثيرون أنه صراع ديني هو في الحقيقة غير ذلك لأنه بين مسلم ومسلم اختلفا على تفسير مصلحة

الوطن ونظام الحكم وعلى الوصول للحكم، بل أكثر من ذلك، إنه ليس فقط صراعًا بين مذاهب إسلامية بل داخل المذهب الواحد أي بين الشيعة والشيعة، ولا يمكن أن يوصف ذلك أنه صراع بين عقيدتين أو بين مذهبين!!

* * *

رغم كل هذه الحقائق فإن فكرة صِدام الأديان وصراعها تغلغلت في العقول وانتشرت حتى صدقها الناس وفسروا كل خلاف على أساس ديني، ونعود لنؤكد أنه في كل مرة نعطي تفسيرًا دينيًا لسلوك منحرف فإننا نعمل على تثبيت نظرية علينا أن نعمل على رفضها والتصدي لها.

إن المشكلة تكمن في الجهل بالعقائد وليس في تعاليمها، والمقصود هنا ليس فقط الجهل بعقيدة الآخر إنما قبل ذلك جهل الإنسان بصحيح عقيدته، إنه ذلك الجهل أو التجاهل الذي يجعل الإنسان يسقط في فخ مقولات «الثقافة اليهودية المسيحية» وفخ «حتمية صراع الأديان»، وفخ الدعوة «للجهاد» والقتل للموت شهداء.. إنها سياسة من يتاجرون بالدين كي يسحقوا إرادة الآخرين ويسيطروا عليهم ويحركوهم كالدُّمى من أجل الهيمنة ومن أجل تحقيق مكاسب اقتصادية وسياسية، بينما الأديان تحمل رسالة التعايش والسلام[1].

مطلوب حماية جميع الأديان

عندما وقعنا فريسة تلك المقولات التي انتشرت أصبحنا نقحم البعد الديني في إصدار الأحكام وتعميم الاتهامات، لذلك فإنه عندما ارتكب بعض المتطرفين من المسلمين جرائم إرهابية بشعة، انسحبت الإدانة لتشمل جميع المسلمين، وعندما

(١) انظر هذا المعنى والصراعات التي قامت في المجر وبلغاريا إبان ما أطلق عليه خطأ الحروب الصليبية أو حروب الفرنجة، انظر: شعبان محمد خلف حمزة: هنغاريا والحروب الصليبية ١٠٩٦ ـ ١٢١٨ م/ ٤٨٩ ـ ٦١٤ هـ، رسالة ماجستير غير منشورة؛ قسم التاريخ ـ كلية الآداب ـ جامعة المنيا ٢٠٠٤م؛ بلغاريا والحروب الصليبية من بداية الحملة الصليبية الأولى وحتى نهاية الحملة الصليبية الرابعة ١٠٩٦ ـ ١٢٠٧م. رسالة دكتوراه غير منشورة؛ قسم التاريخ ـ كلية الآداب ـ جامعة المنيا ٢٠٠٨م.

اتخذ بعض القادة المسيحيين قرارات ظالمة، انسحب الاتهام ليشمل جميع المسيحيين، وأصبح الإسلام - وليس بعض من ينتمون إليه - هو العدو، وأصبحت المسيحية - وليس بعض من خرجوا عليها ـ هي الخصم. بدأ التفكير الإنساني والسلوك البشري السياسي والثقافي يقع في ذلك الفخ الذي نصبته نظرية الصراع بين المسيحية والإسلام.

وسط ذلك المناخ بدأنا نفسر الكثير من الأحداث على أنها دينية، أو لها مصدر وباعث ديني، ونحن في كل مرة نعطي تفسيرًا دينيًا لأفعال وجرائم فإننا نزيد النار اشتعالًا ونساند مقولة نريد الفكاك من تداعياتها.

ومن هنا أخذت الاتهامات تتوالى ضد جميع الأديان، فأصاب الإسلام ما أصابه وأصاب المسيحية ما أصابها، وأصاب اليهودية بعضها، هذه كلها أمور تدعو للأسف والأسى، ولكن الذي يدعو إلى الغرابة والتعجب والتساؤل هو أن وسط هذه الاتهامات المتتالية المتلاحقة التي تصدر من الجميع لتنصب على الجميع، يظهر صوت قوي مسيطر لا يهتم إلا بحماية واحدة فقط من بين الأديان.

* * *

هذه الأفكار وما يتصل بها، كانت لي فرصة مناقشتها في اجتماعات دولية؛ لمنظمة الأمن والتعاون الأوربي، وفي مؤتمر دولي للسلام، وفي ندوة عن التنوع الثقافي.

ولا يتسع المجال هنا إلا إلى أن أشرك القارئ العزيز في بعض من نقاط وجدت أن من المهم تأكيدها وتداولها، إذ لمست الحاجة إلى ذلك.

- وجدت أنه من الضروري ابتداءً توضيح الدعائم التي يقوم عليها الإسلام ومبادئه، للتأكيد أنها مبادئ لا علاقة لها بما يرتكبه بعض المتطرفين من جرائم، وشرح دعائم المسيحية ومبادئها لتأكيد أن لا علاقة لها بالقرارات الظالمة التي يتخذها من يطلقون على أنفسهم اليمين المسيحي الجديد، ثم بينت أوجه التشابه والتلاقي بين العقيدتين، وهو تشابه كبير يفوق كثيرًا ما يوجد بين المسيحية واليهودية.. ورغم ذلك فقد ابتلع الغرب طعم «الحضارة اليهودية المسيحية» الذي روجته قوى صهيونية لأسباب سياسية محضة.

وأحمد الله أني لم أكن مخطئة في شرحي العقائد وركائزها فقد أيدني المشاركون، شكرني مندوب الفاتيكان، وأيَّد حديثي شاكرًا سكرتير عام منظمة المؤتمر الإسلامي، ولا أقول هذا فقط من باب الاعتزاز بمساندتهم، ولكن لكي أبين أن مواطنة عادية مثلي لم تتبحر في علوم الأديان أمكنها أن تصل للسامعين ببعض من الشرح الصحيح، فأين رجال الدين من الجانبين؟! إن المسئولية كبيرة والفراغ القائم يشكل تحديات تستحق عملًا كبيرًا، منهم على وجه الخصوص.

* * *

نعود لقضية ضرورة حماية جميع الأديان بدلًا من الاهتمام فقط بـ«معاداة السامية» والتركيز على حماية اليهودية دون غيرها فالإساءة إلى الأديان لا تقتصر اليوم على اليهودية. فالمسيحية لا تجد من يحميها من الاتهامات التي توجَّه إليها يمينًا ويسارًا؛ رموزها تُعامَل بعدم الاحترام؛ فنرى أفلامًا تصور العذراء مريم بشكل غير لائق وتسخر من رجال الدين، ونرى لوحات ترسم تلاميذ السيد المسيح وهم بدون ملابس، يتهمون المسيحيين بالشرك وأنهم لا يعبدون إلهًا واحدًا مع أن أول جملة في صلاة الإيمان المسيحي هي «أؤمن بإله واحد».

ونرى الإسلام وقد أصبح متهمًا بالعنف والتطرف والاستعباد وقهر النساء والإساءة إلى الأطفال.. ثم نرى الآيات القرآنية الكريمة مكتوبة على جسد عار.. ألا يعلمون أنه كتاب كريم احترم ما جاء قبله من كتب، وأن الإسلام جاء للحد من وأد البنات وسبي النساء؟

ويظهر على شاشة التلفزيون ساسة يتهمون الإسلام بالإرهاب ويخلطون بين سلوك بعض المسلمين وتعاليم الإسلام كعقيدة ويوجهون إلى العقيدة أوصافًا لا تليق، وقد بلغت الإهانات حدًّا جعل الأمم المتحدة تدعو إلى اجتماع موسع ـ حول الإسلام وضرورة حمايته ـ عقد في سنة ٢٠٠٤ بعنوان: «Seminar on Confronting Islam Phobia «Unlearning Intolerance». تحدث فيه عدد من الأساتذة والعلماء من بينهم الدكتور كمال أبو المجد نائب رئيس مجلس حقوق الإنسان في مصر.

لقد آن الأوان لإصدار قوانين تحرم ازدراء كل المعتقدات الدينية دون تمييز، ولا يمكن أن تقتصر جهودنا على منع معاداة بعض الديانات دون غيرها، إن محاولة

وضع حد للمعاداة محاولة لمنع التعصب فكيف يمكن أن تقوم هذه المحاولة على التعصب لعقيدة دون سواها؟!

* * *

قدمت مصر في اجتماع مجلس حقوق الإنسان سنة ٢٠٠٨ اقتراحًا يطالب باستصدار قرارٍ من المجتمع الدولي يطالب فيه الدول بحماية الأديان جميعها.

إن الهجوم على المسيحية والإسلام يحدث ويتكرر.. لكنه يمر دون تعليق، ولا إدانة، ولا حتى اعتذار أو تصحيح، ثم يصدر قرار في الكونجرس الأمريكي يهدف لحماية السامية والديانة اليهودية مع تجاهل تام لما يتعرض له غيرها من الأديان من إساءة وازدراء.

إن هذا القانون «One Hundred Eight, Congress of the United States of America» «Global Anti _ Semitic' October of 2004» الذي يهدف لحماية السامية ـ وهو يقصد اليهودية فقط ـ يخلط بين العِرق والعقيدة الدينية، وبين إسرائيل التي هي دولة، ويعطي نفسه صلاحيات خارج حدوده ليعاقب أي شخص. لقد أصاب بعضهم ضيق يقرب من الذعر، عندما قلنا إنه يمكن أن يستخدم لحماية العرب أيضًا لأنهم ساميون وأغلبهم من المسلمين.

تبقى المسيحية وحدها في الساحة مباح الهجوم عليها ورموزها تعامل بغير احترام، بينما ذلك الغرب المسيحي مسئول عن حماية اليهودية ومنهمك ومشغول بوضع حد لمعاداتها.. أمر يقود إلى التساؤل: هل هذا قمة النفاق؟ أم هو الاستجداء السياسي؟أم البحث وراء المال؟ أم تملق وتقرب لوسائل الإعلام ومَن يحركونها؟!

هذا القانون العجيب يذكر في صلبه بالتفصيل أحداثًا وأفلامًا يرى أنها تسيء إلى اليهودية وهو لا يهتم بالأفلام التي تسيء إلى العرب والإسلام، ويتناسى أفلامًا مثل ذلك الذي جعل راقصة ترقص بخلاعة في ديكور هو عبارة عن كنيسة! ويتجاهل نشر رسوم تسيء إلى نبي الإسلام، ويتجاهل ما كتب يومًا من أن فيلمًا قيمًا صادقًا مثل فيلم ميل جيبسون «آلام المسيح» ليس أمامه فرصة الفوز بجائزة «لأن لجان التحكيم

كلها من اليهود»! فهل المسيحية والإسلام والأديان الأخرى أصبحت لا تستحق الاهتمام والاحترام واقتصر الأمر على اليهودية ودولة إسرائيل؟!

* * *

قرأت بعناية قرار قانون منع الإساءة إلى السامية الذي استصدره الكونجرس الأمريكي سنة ٢٠٠٤، وتقرير روفين الفرنسي[1]، ومشروع القرار الذي تبحثه اللجنة الثالثة في الأمم المتحدة.

وتأكد لي أن هناك انحيازًا كاملًا ـ خاصة بالنسبة للقرار الأمريكي ـ الذي لا يتفق والمبدأ الذي ينادي به قانون الكونجرس، فالمفروض أنه يقوم على أن العقيدة الدينية جديرة بالاحترام، ويحاول وضع حدٍّ للتعصب والانحياز، وهذا لا بد أن ينسحب ليشمل جميع الأديان والعقائد، فكلها اليوم أصبحت معرضة للإهانة وسوء الفهم.. وإلا كان بدوره تأكيدًا للانحياز.

لقد أصبح علينا أن نؤكد لهذه الدول دائمًا أن لهم في مصر مثلًا وقدوة، فقانون العقوبات المصري ينص في الفقرة الثانية مادة ٨٩ على منع ازدراء جميع الأديان ورموزها. نعم جميعها وليس واحدًا دون الآخر، فالأديان كلها تستحق الاحترام بلا تفرقة وبلا تعصب.

إن الاهتمام الشديد بحماية إحداها دون الأخرى ـ بينما جميعها في حاجة إلى الحماية والاحترام ـ ظاهرة تعزز وتدعم مبدأ خطيرًا بدأ ينتشر، هو «طبقية الأديان» وهيمنة أحدها على مقدرات العالم، إنه سلوك يقود إلى «ديكتاتورية الأقلية» وسطوة العقيدة «الأَوْلى بالرعاية»، بل أكثر من ذلك إنه يمثل انتهاكًا صارخًا لحق التعبير وتكميم الأفواه ومنع إبداء الرأي حول سلوك حكومة دولة معينة حتى ولو انتهكت هذه الدولة جميع المبادئ الإنسانية والمواثيق التي أقرها العالم.

إذن هل المقصود تكريس الظلم؟ وأين العدل والحرية والشرعية؟ وأين المساواة والديمقراطية التي يريدون أن نتعلمها منهم؟! أسئلة تزيد من حيرة العقل وتزيد من

---

(1) Jean _ Christop Rufin, Chantier sur la Lutte Contre le Racisme et l'antisemitism (October, 2004.

تأكيد الحاجة إلى التقارب بين الأديان والاحترام المتبادل، ولقد فطنت مفوضية الأمم المتحدة مؤخرًا لهذه الحقائق ولها في ذلك مبادرات واجتماعات ومحاولات نتمنى لها النجاح.

تعبيرات ومفاهيم

بعد أن دأبنا على تفنيد ادعاءات حتمية الصراع بين الحضارات والأديان، وبالذات بين المسيحية والإسلام، وعلى تفسير دوافع مقولة التراث اليهودي المسيحي، يبقى أن نواجه السؤال الأساسي: هل بين المسيحية والإسلام من اختلافات ما يدعو لذلك الصدام أو يبرره؟! وحتى تأتي الإجابة على تربة من الفهم المتبادل، والبدء في مناقشة التراث المسيحي الإسلامي على أرض مشتركة بالنسبة للمفاهيم والتعبيرات يقتضي الأمر توضيح بعضها منعًا للَّبس نذكر منها:

التسامح: يتردد في الدعوة للسلام تعبير التسامح (Forgiveness) ويستعمل بمعنى الكلمة الإنجليزية «Tolerance» التي تعني «التحمل»، ونحن نرى أن الموضوع لا يرتبط بالتسامح ولا بالتحمل، فالتسامح يحمل بين طياته معنى الغفران؛ بمعنى أن هناك خطأ ما في شخص يجدر بالآخر أن يسامحه ويغفر له، والتحمل يعني «تقبل المرفوض على مضض» فالإنسان يتحمل الألم أو المرض، واختلاف الأديان والمذاهب الدينية ليس عيبًا أو نقيصة تقتضي التسامح أو التحمل، إنما تقتضي احترام حق الآخر في أن يكون مختلفًا طالما أنه لا يسلك مسلكًا يضر بسلامة غيره، إن المطلوب هو «السماحة» في التعامل والقبول «والاحترام» المتبادل من أجل التعايش السلمي.. وليس التسامح أو غض النظر عن خطأ أو انحراف.

الحوار: لما كان الإنسان لا يقبل ما لا يعرف، أصبحت الدعوة لتفاهم الأديان مطلبًا ملحًّا، والمطلوب هو ليس الحوار بمعنى المناظرة أو السجال حيث يوجد فريقان مختلفان في الرأي والعقيدة يتحاوران، كلٌّ يحاول إقناع الآخر برأيه أو مذهبه، والهدف ليس إقناع الآخر.. إنه التواصل والتعارف والتفاهم والتلاقي وتوضيح المفاهيم ودعم الاحترام المتبادل من أجل المعرفة، وليس من أجل المفاضلة أو

الإقناع، والتواصل المطلوب يجب أن يقوم على حق كل طرف في التمسك بما يرى وبما يؤمن، وهو محاولة للتعرف على آراء الغير للوصول إلى الجذور المشتركة التي تحفز على التعاون والالتقاء بدلًا من التباعد والتناحر.

المسيحية الصهيونية: تغلغلت مقولات التراث اليهودي المسيحي لدرجة الخلط بين المسيحية والصهيونية بينما الفروق بينهما كثيرة نذكر بعضها:

- المسيحية عقيدة دينية، إنها منارة تهدي علاقة الخالق بالمخلوق، وميثاق لمبادئ الحياة وقيمها. أما الصهيونية فإنها نظرية سياسية تهدف لإقامة دولة وتسلط قوى معينة.
- الصهيونية أساسها عنصري صرف بينما المسيحية تساوي بين جميع البشر وتفتح قلبها لكل إنسان - حتى من أخطأ- من أجل هدايته.
- الصهيونية ترتبط باليهودية فقط، هي جزء منها وجناحها السياسي، أما المسيحية فهي عالمية تدعو جميع الناس، والقديس بولس كرس نفسه «لهداية الأمم» حسب رسالته التي آمن بها بعد أن كان ألدّ أعداء المسيح؛ يقتل ويعذب ويسجن المسيحيين.
- المسيحية أساسها المحبة والسلام، انتشرت بالكلمة، والصهيونية نزعة تبرر العنف واغتصاب الأرض وإبادة الشعوب واستعمال السلاح من أجل أهدافها.
- المسيحية تقوم على المساواة، والصهيونية تقوم على تمييز «شعب الله المختار»! وجاءت المسيحية لا تفرق بين البشر؛ تدعو «لجميع الأمم».
- المسيحية علاقة بين البشر «والإله الواحد خالق الكل»، والصهيونية علاقة بين الصهاينة وأمريكا.
- الفكر الصهيوني يرفض اعتراف المسيحيين بأن آيات التوراة التي تتنبأ بمجيء المسيح قد تحققت.
- الصهيونية تجمع بين طياتها مقومات الدولة الدينية التي يريدون تأكيدها بالإصرار

على أن إسرائيل دولة يهودية رغم ما ثبت من مخاطر الدولة الدينية التي يناقشها بعمق ودراسة كتاب مقالات غاضبة للمفكر الكبير د. جابر عصفور[1].

«الغرب المسيحي»: تعبير آخر يحتاج لتوضيح؛ إن النظرة التقليدية التي تعتبر الغرب والمسيحية شيئًا واحدًا، قد طرأ عليها تعبير جذري؛ فإفريقيا بها حوالي ٤٠٠ مليون مسيحي، وآسيا بها حوالي ٣٥٠ مليونًا من المسيحيين، وأوربا وأمريكا بها ملايين المسلمين، وفي إنجلترا زادت المدارس الإسلامية من عشرين مدرسة إلى ألف وخمسمائة مدرسة خلال العشرين عامًا الماضية، كما انتشرت مكاتب الدعوة الإسلامية في أمريكا، وفي بعض دول أوربا تقوم الحكومات ببناء المساجد، بل إن حملات الفرنجة (الصليبيين) لم تكن تستهدف المسلمين أساسًا، بل كانت تستهدف أيضا «الوثنيين والهراطقة» في شرق أوربا واليهود، وكنائس المسيحيين الشرقيين التي كانت ـ وما زالت ـ تعارض قرارات الغرب الظالمة، والولايات المتحدة بها فصل تام بين الكنيسة والدولة، ولا تعبر سياستها عن التعاليم المسيحية.. بل تناقضها.

«الغير» و«الآخر»: أجد الدعوة لقبول «الغير» أكثر تعبيرًا عن هدفنا، فالآخر يعني التكرار أو التعدد مع التشابه، أما الغير فيعكس معنى الاختلاف والتنوع وهو ما نسعى لفهمه وقبوله، فالمقصود هو قبول الاختلاف في نواحيه المختلفة إيمانًا بأن التنوع البشري يحقق نضج الإنسان وإثراء البشرية.

المعجزات والخرافات: أخيرًا.. لا يجوز الخلط بين المعجزات والخرافات، فالمعجزة عمل إلهي، لا يدركه العقل ولكن يدركه الإيمان، وهي موجودة في كل الأديان، بينما الخزعبلات تنتمي لعالم الجهل والوهم والخرافة، والإنجيل والقرآن كلاهما يخبر بمعجزات تتم بإذن الله وإيمان الإنسان وشفاعة أولياء الله الصالحين والأتقياء، ولا يليق بنا السخرية بمعجزات جاءت في أي عقيدة، كما أنه من الخطر تشجيع الخرافات والخزعبلات والفتاوى التي تسيء للعقائد فيزداد زحف الظلمات على العقول فتلوث الفكر والسلوك.

---

(١) انظر: جابر عصفور: «مقالات غاضبة»، الناشر: دار ميريت، في ١/ ١/ ٢٠٠٨م.

الجزء الثاني

التراث المسيحي الإسلامي المشترك

حاولنا في الجزء الأول البحث في مدى صحة مقولات التراث اليهودي المسيحي و«نظريات» صراع الحضارات وصِدام الأديان وتداعياتها.

كما حاولنا تفنيد ما تتضمنه من خلال الواقع ومواقف الشعوب والدول والمؤسسات والمفكرين والشخصيات الدينية والقيادات الثقافية؛ وكلها تبين أن الصراع لم يقم لأسباب دينية، وأن العالم لم ينقسم حسب انتمائه الديني بل حسب اعتبارات أخرى؛ أولها الرغبة في إشعال الصراع لأسباب اقتصادية وأطماع سياسية.

وحاولنا الرد على أسئلة متعددة، هل هناك ركائز دينية لذلك الصراع المفترض بين الأديان؟ هل هناك عقائد تدعو للحرب؟ وهل هناك حروب دينية؟ وهل الجهاد والغزو الصليبي حروب دينية؟

هل صحيح أن الجهاد في الإسلام هو القتل من أجل الإسلام؟ والجهاد في المسيحية هو الموت في سبيل المسيحية؟

هذه هي التساؤلات التي دفعتنا للبحث في جذور تلك القضية لتوضيح ما إذا كانت الصراعات تقوم فعلًا على اختلافات دينية عقائدية تبني حائطًا وسدًا منيعًا بين المسيحية والإسلام، بينما هي تجمع بين المسيحية واليهودية. وهو التفسير الذي أصبح موقفًا له نتائج وتداعيات سياسية ودولية واقتصادية وأمنية متعددة جاءت نتيجة ذلك الفكر.. كان كل ذلك من أجل دحض مقولة الصراع المحتوم بين المسيحية والإسلام والتي انتشرت ـ بل تغلغلت ـ ولم تجد من يتصدون لها بنفس الإصرار.

ويسعى هذا الجزء الثاني إلى التصدي لهدم دعاوى الفرقة ودعم نداء التعايش والسلام من واقع ما بين المسيحية والإسلام من توافق وتقارب، بل ورغم ما قد يكون بينهما من اختلاف.

هذا الفصل يشرح بعض الفكر المسيحي.. نشرحه.. لا نروج له، نوضحه.. لا ندعو إليه، ولا نطالب أحدًا بقبوله لكننا نرى أنه من حق كل مفكر أن يعرف كيف يفكر الآخر... ومن حق ذلك الآخر أن يشرح فكره الذي يؤمن به ويظل يحترم من يخالفه.. قبل أن يرفضه.

وأودُّ ـ في البدء ـ أن أنبه القارئ العزيز إلى أن ما يرد ـ في هذا الجزء الثاني ـ من رؤية لآيات القرآن الكريم هو رؤية ذاتية وخاصة. قد يرفضها بعض المسلمين وبعض المسيحيين ولا يوافقونني عليها، وبخاصة فيما تئول إليه تلك الرؤية من نتائج تصب في النهاية في هدف الكتاب الذي يتمحور حول البحث عن تراث مشترك يقرب ما بين الإسلام والمسيحية وبين القرآن الكريم والكتاب المقدس، ويخفف من حدة التوتر والاحتقان الذي يطل برأسه «القبيح» في الآونة الأخيرة بين أتباع هذين الدينين الكبيرين، ممن يعيشون في وطن واحد ويواجهون معًا تحديات محلية وعالمية تعمل عملها الخبيث في إشعال الفتنة وبثّ روح الكراهية، وما ينتج عنهما من صراع وعداء.

إن ما يتضمنه هذا الجزء من محاولات التقريب والتي قد تصل أحيانًا إلى مستوى «الدمج» بين عقائد إسلامية ومسيحية، تبدو متباعدة أو متنافرة: هو قراءة خاصة وشخصية إلى أبعد الحدود، إنها قراءة تستمد شرعيتها من نُبل الهدف وبراءة النية والقصد، ولا تتضمن ـ بحال من الأحوال ـ الادّعاء باكتشاف ما لم يكتشفه المسلمون من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فأهل مكة أدرى بشعابها كما يقول المثل العربي القديم. إنها قراءة تتلمس أدنى الملابسات لتجسيد معاني الأخوة الدينية بين أقباط مصر ومسلميها، وقد شجعني «الإسلام» واحترامه للأديان السماوية عامة، وبخاصة الدين المسيحي، وشجعني حديث القرآن الأخّاذ عن المسيح وأمه مريم العذراء (عليهما السلام) وعن الإنجيل والتوراة، وعن المودة بين المسلمين والمسيحيين؛ شجعني كل ذلك على أن أذهب بعيدًا في هذا الاتجاه الذي قد يخالفني فيه كثيرون من المسلمين والمسيحيين، كما أغراني أفق القرآن أن أبحث في آياته ـ تصريحًا أو تلميحًا ـ عن أوجه شبه ـ قريبة أو بعيدة ـ بين عقائد الإسلام وعقائد المسيحية. ويهمني أن أؤكد مرة أخرى أن من حق المسلمين ومن

حق المسيحيين أن يقبلوا أو يرفضوا نتائج هذا البحث ـ كليًا أو جزئيًا ـ ولكن ليس من حق أي منهم أن ينكر أن هناك «مشتركًا واسعًا» بين الإسلام والمسيحية، وأن هذا «المشترك» يزيد كثيرًا على المختلف بينهما، وأنه يجب التركيز على هذا «المشترك» بإحيائه وبعثه ونشره، وأن نجعل منه صخرة شديدة البأس تتحطم عليها كل محاولات الفتن الطائفية من داخل مصر أو خارجها.

وحديثنا هذا ليس تفسيرًا لآيات أو أحاديث، إنه مجرد رؤية من يسعى لتأكيد دعوة التعايش. إنه قراءة مسيحية لكلمات سماوية بنظرة غير منحازة لا ترفض بل تحاول التوفيق حيث يكون ممكنًا ومتاحًا، وتقبل الاختلاف عندما يكون قاطعًا.

وفي كلا الحالتين لا نرى ما يمنع التعايش والاحترام المتبادل.

إن كل شخص يؤمن أن عقيدته هي الأفضل وهي الأصح، وله كل الحق في أن يتمسك بذلك، ولكن ليس من حقه أن يحرم غيره من ذلك الحق. وقد نبهني بعض رجال الدين الأفاضل أن حديثي هذا قد يثير حفيظة بعض رجال الدين أو المتزمتين من الجانبين، وهؤلاء جميعًا لهم أن يرفضوا ما أكتب، وأحترم رأيهم، لكن ليس من حقهم أن يحرموني من كتابة ما أراه صوابًا.

لقد كتب الكثير من المستشرقين والمفكرين المسيحيين وغيرهم عن قراءتهم لبعض آيات القرآن الكريم وقُبلت منهم كفكر له ما له وعليه ما عليه، وإن كان البعض فهم من آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن المسيح روح الله وكلمته بفهم الإنجيل؛ أي بنفس ما جاء حول هذه الصفات بالإنجيل فلهم ذلك، وفي المقابل فسَّر بعض الفقهاء والمسلمين بعضَ آيات الإنجيل تفسيرًا خاصًا له منهج إسلامي (كأن يقال إن الآية التي بالإنجيل تنص على أن الحجر الذي رفضه البناءون قد صار رأس الزاوية؛ يُقصد به النبي محمد صلى الله عليه وسلم، هؤلاء أيضًا لهم ذلك).

بتعبير آخر: فإن كل شخص يقرأ ويفهم ما يتفق مع عقيدته ومنهجه في التفكير، وفي حقيقة الأمر فإن القارئ لأي الكتابين إن أقبل على قراءته وهو يبحث عما ينتقده فإنه سوف يجد ما يعترض عليه، لكنه إن بدأ القراءة وعقله مهيأ لقبول ما يقرأ فسوف يكون أكثر تقبلًا له.. حتى وإن لم يقتنع به.

إن من يبحث عما يقرب سوف يجده.. ومن يبحث عما يفرق سوف يجده أيضًا. وعلينا أن نختار البديل الأول من أجل السلام والأمن لنا ولأجيالنا القادمة.

١ ـ المسيحية والمسيحيون في الإسلام

إن العداء الذي يُكنّه بعض أعضاء الجماعات «الإسلامية» المتطرفة والإرهابية للمسيحية لا سند له في العقيدة الإسلامية، ولا يدعمه الإسلام. وهو عداء شديد لا يكتمونه سرًا بل يفصحون عنه صراحة، إذ يعلنون أن في مقدمة أهدافهم، التخلص من اليهود والمسيحيين. وأن عدوهما هما الصهيونية والمسيحية، يضعون الاثنين في سلة واحدة مع ما بينهما من اختلاف جذري. ينشرون البلبلة وينشرون الجهل. تتأثر بكلامهم جموع من الناس على قدر كبير من البساطة وعدم المعرفة، وتزداد الفجوة بين عقيدتين هما أكثر المعتقدات الدينية قربًا وقبولًا لغيرها من العقائد. إن هذه الأفكار تضليل له أخطاره ولا علاقة له بالإسلام، فالإسلام عقيدة تدعو لاحترام كل الأديان السماوية.

وسوف نحاول هنا تبديد بعض غيوم هذه الكراهية وما تشيعه من مناخ عدواني. سوف نفعل ذلك ليس فقط من منطلق الدعوة للسلام والمحبة، أو طرح الفكر المنطقي الموضوعي والإشارة إلى الاعتبارات الإنسانية، بل عن طريق أكثر قوة من كل هذا ويشمل كل تلك المعاني، ذلك هو الآيات القرآنية الكريمة وبعض الأحاديث والسنة. نوردها حتى نزيل عن الإسلام سوء فهم يحتل عقول بعض المسلمين وأصبح يسيطر على عقل أغلب المسيحيين.

إن المسيح هو جوهر الديانة المسيحية ونقطة ارتكاز إيمانها. وكل تعليم يمس أي وجه من وجوه العقائد في شخصية المسيح الممجدة يمس الديانة المسيحية في صميمها. وفي المقابل فإن كل تعليم يؤيد عقائد الإيمان المسيحي عن ذات المسيح القدوسة يؤيد المسيحية ويصادق على صحة معتقدها فيه وإيمانها به.

والإسلام به دعوة كريمة للتلاقي والتفاهم بينهما.. وهو ما نحتاجه اليوم أكثر من أي وقت مضى ليقفا معًا في مواجهة الإلحاد والكفر والقيم اللاإنسانية التي بدأت تتفشى في العالم.

نسجل من هذه الآية «١٣٦» من سورة البقرة ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾.

والشورى «١٣» ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ...﴾.

والنساء «١٥٠-١٥٢» ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا (١٥١) وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾.

والأنبياء «٧» ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾.

لقد حفظ الإسلام للديانة المسيحية مكانتها، وأيد جلالها، وأثبت صحة الكثير من تعاليمها، ونادى بوجوب تقديس أوامرها. والعمل بها، واحترام كتبها المنزلة، فكان بذلك شاهدًا لها، مؤيدًا لصدق كتابها الإنجيل المقدس.

وليس أمرًا عجيبًا أن نقول إن الإسلام يقدس ذات المسيح، ومعجزة ميلاده ومعجزاته التي أتاها، وصعوده للسماء، فهو يصادق على كل ذلك بآيات تعد شهادة قوية على صدق تعليمها عنه، كما أنه أسبغ على المسيحيين صفات نبيلة جاءت في آيات كريمة، بالإضافة إلى أنه اعتبرهم من المؤمنين بالتوحيد، وفرّق بينهم وبين المشركين... ونورد هنا بعض ما يؤكد كل ذلك:

- إن الإسلام عقيدة تتقبل جميع الأديان السماوية، وإسلام المسلم لا يكتمل إلا إذا اعترف أن الأديان السماوية الثلاثة منزلة من عند الله الواحد الذي يعبده جميع أتباع الديانات السماوية وهي الإسلام والمسيحية واليهودية، كما أن من صحة إيمان المسلم، وسلامة عقيدته الإسلامية، الاعتراف بكل الرسل من قبل رسول الإسلام

طبقًا لما ورد في «سورة البقرة: ١٣٦» ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾.

وأيضًا في «سورة البقرة: ٢٨٥» ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾.

كما جاء أيضًا في «سورة النساء: ١٣٦» ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾.

وجاء أيضًا في «سورة النساء: ١٥٢» ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾، فالإيمان بالله والكتب السماوية أحد سمات سلامة العقيدة الإسلامية.

- والإسلام يقبل التعدد ويحترمه فقد جاء في «سورة المائدة: ٤٨» ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾.

لقد حدد القرآن الكريم أساس العلاقة الصحيحة السليمة مع المسيحيين؛ جاء ذلك في آيات كثيرة واضحة في مقدمتها ما جاء في «سورة آل عمران: ٥٥».

﴿ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾.

جاء في «سورة البقرة: ٢٥٦» ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ ﴾[1].

ورد في «سورة آل عمران: ٣٣» ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾. آدم لأن الله خلقه ونفخ فيه الحياة، ونوح لأنه أول رسول بعثه الله للأرض يدعو إلى الله الواحد، وآل إبراهيم «أبو الأنبياء»، وكذلك آل عمران الذين اختار الله من بينهم مريم ليرسل إليها روحه متمثلة في عيسى عليه السلام.

---

(١) انظر مقالًا قيّمًا للدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف حول هذه الآية في ملحق رقم (١).

وجاء أيضًا في «سورة آل عمران: ٦٤»: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾.

وفي قوله في «سورة العنكبوت: ٤٦» ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾.

وجاء أيضا في «سورة النحل: ١٢٥» ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾.

والذين ظلموا هم أولئك الذين انشقوا عن التعاليم المسيحية الحقيقية ونشروا بدعًا ترفضها المسيحية، أما المسيحية والإسلام فكلاهما معًا يؤمن بالله الواحد الذي نعبده جميعًا.

وقد قدم القرآن الحواريين وأتباع المسيح في صورة متناهية الحسن والكمال والأناقة الروحية[1].

فقد انتظم تقديم سيدنا المسيح: تقديم حوارييه الصالحين الكرام: «آل عمران: ٥٢، ٥٣» ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾.

(الصف: ١٤) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾. وفي هذه الآية دعوة للمسلمين ليقتدوا بحواريي المسيح رضي الله عنهم في نصرة الأنبياء ومنهج الحق.

وهو يحترم كتابهم المقدس:

- جاء في «سورة يونس: ٣٧» ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن

(١) زين العابدين الركابي «علاقات الكبار: النبي محمد يقدم أخاه المسيح للبشرية» غيناء للنشر، الرياض ٢٠٠٦م.

﴿تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. ويقول البيضاوي في تفسير هذه الآية: إن القرآن جاء مطابقًا لما تَقَدَّمه من الكتب الإلهية... وتفصيل ما حقق وأثبت من العقائد والشرائع.

● وجاء في «سورة المائدة: ٤٤» ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾.

● وجاء أيضًا في «سورة المائدة: ٤٦ - ٤٨» ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.

● وجاء في «سورة فاطر: ٣١» ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾. ويقول البيضاوي في تفسيره: أحقه مصدقًا من الكتب السماوية[1]. وسوف نتناول ذلك تفصيلًا في الفصل القادم.

وقد شهد القرآن للنصارى بحسن الأخلاق، مما يدل على تأثير المسيحية في أخلاق تابعيها.

● فقد جاء في «سورة المائدة: ٨٢» ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

---

(١) يتناول الفصل القادم ذلك بتفصيل أكبر.

● كما جاء في «سورة الحديد: ٢٧» ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾.

● وكما شهد القرآن للمسيحيين بالرأفة والرحمة والتواضع فإنه أيضًا يشهد لهم بالتوحيد والإيمان الحق. فقد جاء في «سورة البقرة: ٦٢» ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.

● وجاء في «سورة النساء: ١٧٠» الموجهة إلى المسيحيين ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾. وهي الآية التي لا تخالف المسيحية رغم ما قد يبدو عكس ذلك.. ونتناول ذلك في فصل قادم.

* * *

● وفي القرآن آيات عديدة تحمل تصريحًا قاطعًا بالتفريق بين المسيحية والوثنية، وفيها يفصل الإسلام بين المسيحيين وجماعة المشركين. وسيأتي ذكر هذه الآيات تفصيلًا مع ما يتبعها من شرح وتعليق في الكلام عن التوحيد. لكننا نأتي هنا ببعض منها:

● في القرآن آيات كثيرة تدل على أن الإسلام نظر إلى المسيحية نظرة خالية من وصف الشرك. فقد جاء في «سورة البقرة: ٦٢» ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.

كما جاء في «سورة المائدة: ٧٨، ٧٩» ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾.

وأيضًا في «سورة المائدة: ٦٩» ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّـٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

كما جاء في «سورة الحج: ١٧» ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾.

فلو قيل إن الإسلام يعتقد أن النصارى آمنوا بالله في غير توحيد، وأن إيمانهم إيمان تعدد وإشراك لما صرح أن لهم أجرهم عند ربهم وأنهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، لأنه يكون بتصريحه هذا قد وعد المشركين بالأجر والثواب بينما الإسلام قد حارب الشرك والمشركين وأنذرهم عذابا أليمًا من بين أيديهم ومن خلفهم.

● دافع القرآن عن نصارى صالحين، ثبتوا على إيمانهم فتعرضوا للأذى الشديد وظلوا ثابتين.

١ ـ من هؤلاء: فتية الكهف ـ الذين سميت سورة قرآنية باسم كهفهم ـ وقد كان هؤلاء شبابًا نصارى صالحين، لذا مجّدهم القرآن وخلد ذكراهم: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ ءَايَـٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَـٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَـٰهُمْ هُدًى﴾ (الكهف: ٩ ـ ١٢).

٢ ـ ومنهم: المؤمنون في قصة أصحاب الأخدود، وهم جماعة من النصارى أيضًا. ﴿قُتِلَ أَصْحَـٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ (سورة البروج: ٤ ـ ١٠).

ونوجز القول فنقول: إن البراهين تواترت وتعاضدت على أن الإسلام قدم المسيح وقدم منهجه ودعوته وقدم حوارييه في أكمل وأحلى مشهد. كما دافع عن مؤمني النصارى المضطهدين، دفاعًا اتسم بالمحبة لهم وبكراهية مضطهديهم الطغاة، وإنه ليسرنا أن نهدي هذا الكلام - الموثوق بالبراهين - إلى مسيحيي العالم.

* * *

إننا إذ نتأمل هذه النصوص وأمثالها نخرج بنتيجة لا شك فيها، هي أن الإسلام نظر إلى المسيحيين بتقدير، وتكلم عنهم كقوم على خلق، موحدين غير كافرين، مفرقًا بين عقيدتهم وعقيدة المشركين.

لقد نشأ الإسلام يحارب الوثنية ويجاهد اليهودية ويؤاخذ بعض المذاهب المسيحية التي كانت تتنافى تعاليمها مع العقيدة المسيحية الصحيحة، منكرًا عليها ما كان يثير الجدل والنقاش حولها، وهي تعاليم ترفضها المسيحية مثل ما يرفضها الإسلام.

إن القرآن الكريم لم يتنكر للمسيحية التي أسسها المسيح ونشرها رسلُه القديسون، ولكنه هاجم بدعًا خاصة لا توافق المسيحية عليها، كانت ظهرت عند ظهور الإسلام ونادت بتعاليم لا تقرها المسيحية فحاربها الإسلام كما حاربتها المسيحية من قبل. وسوف نتناول ذلك على نحو أكثر توضيحًا في الفصول القادمة.

موقف الإسلام من ممارسة المسيحيين شعائرهم الدينية وبناء دور العبادة

من بين القضايا الكثيرة التي يثيرها اختلاف الأديان هو التعرف على موقف الإسلام من ممارسة المسيحيين لشعائرهم الدينية وبوضوح أكثر قضية بناء الكنائس. وهناك تصور خاطئ بأن الإسلام لا يسمح بذلك، بل قد وصل أحيانا إلى حد تصور أن هدم كنيسة أو حرقها والاعتداء على المُصلين بها عمل يتفق مع التعاليم الإسلامية، بل تُحتِّمه أصول الدين الإسلامي.

وهذا غير صحيح؛ فالإسلام الذي احترم الكتب السماوية التي نزلت قبله والقرآن

الذي وضع المسيحيين في مكانة خاصة جديرة بالاحترام لا يمكن أن يكون أي منهما ضد ممارسة المسيحيين شعائرهم الدينية.

إن الحقيقة التي تثبتها الآيات الكريمة في القرآن، وتثبتها السنة، ويؤكدها العرف والممارسة تبين أن الإسلام ليس بأي حال ضد ممارسة المسيحيين لشعائرهم الدينية.

ونورد هنا قليلًا من كثير يثبت ذلك.

من الناحية الدينية والآيات القرآنية: نجد أن الدين الإسلامي لا يمنع بناء دور العبادة للمسيحيين، بل على العكس نجد أنه كفل لهم الحق في الحرية الدينية. تقبل مسيحيتهم واحترام التزامهم بها. وهناك عدد من الآيات القرآنية الكريمة التي تعطي غير المسلم حرية الاعتقاد وتؤكد حق المسيحيين في حرية العقيدة:

- جاء في «سورة البقرة» ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾.
- تقول «سورة يونس»: ﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾.
- كما ورد في «سورة النحل» ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾.
- وحماية لدور العبادة جاء في «سورة الحج» ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ﴾.
- وجاء في «سورة الغاشية» ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ (٢١) لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ﴾.
- وجاء في «سورة يونس» ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ﴾.
- وفي «سورة العنكبوت» ﴿... وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾.
- والقرآن الكريم في «سورة آل عمران» يصف أهل الكتاب بقوله: ﴿مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ (١١٣) يُؤۡمِنُونَ

بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾.

- وجاء في «سورة النساء» ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾.

- وفي «آل عمران» تقول الآية: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾.

- وفي «سورة النساء» ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾.

- وجاء في «سورة المائدة» ﴿لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾.

* * *

هذا بالنسبة للآيات، أما بالنسبة للسُّنة فهي بدورها لا تمنع المسيحيين من ممارسة شعائرهم الدينية:

يذكر الماوردي مبدأ «واتركهم لما يدينون»، ويسرد الدكتور نبيل لوقا أن أهالي إيلياء وجرياء وأذرح أتوا إلى الرسول بكامل إرادتهم ليدخلوا فلك الدولة الإسلامية فأعطاهم العهد والأمان على مباشرة عقائدهم الدينية «وأن يكونوا في أمان في ذمة الله والرسول والمسلمين».

بل أكثر من ذلك يذكر ابن هشام المعافري في السيرة النبوية أن الرسول ـ عند الضرورة ـ سمح لوفد نجران من النصارى أن يصلوا في المسجد، وعندما أراد البعض أن يمنعهم قال اتركوهم. وجاء في كتاب «من وصايا الرسول» أنه نهى الحصين بن سالم أن يكره أبناءه المسيحيين على دخول الإسلام مؤكدًا أنه لا إكراه في الدين.

وهناك قول الرسول: «من قتل قتيلًا من أهل الذمة حرم الله عليه الجنة». (رواه البخاري)، وهناك قول للرسول بمعنى أنه «من آذى ذميًّا فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله»، وآخر: «من آذى ذميًا فأنا خصمه». وليس هناك أذى يلحق بالإنسان مثل ما يجتاحه من يأس وقنوط واستبعاد وتهميش وشعور بالظلم عندما يمنع من الصلاة.

والإسلام كفل حقوق أهل الذمة وأكد على ضرورة المساواة في التمتع بها كما للمسلمين، وهناك قواعد وضعها الإسلام لطريقة معاملتهم بالحسنى. وقد أباحت الدولة الإسلامية لأصحاب الديانات السماوية الأخرى ممارسة شعائرهم الدينية وأداء عباداتهم ونهت عن التعرض لأماكن عباداتهم، بل إن من مقاصد الجهاد في سبيل الله الحفاظ على أماكن العبادة لجميع الأديان.

* * *

ومعروف أنه عندما أرسل أبو بكر أسامة بن زيد على بعثة للشام قال لهم: «ولسوف تمرون على أقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع (يقصد الرهبان) فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له (أي التعبد والصلاة)». هذه هي تعاليم الأديان فأين نحن اليوم؟ إن الفرق شاسع بين الدعوة إلى ترك المصلين والمتعبدين في الكنائس في عبادتهم وعدم التعرض لهم حتى في حالة الحرب. والنقيض الآخر الذي وصل إلى حد الهجوم على المُصلين في الكنائس من المواطنين والاعتداء عليهم في حالة السلم!!!

إن الإسلام يكفل للمسيحيين حرية العقيدة ويدعو لاحترام عقيدتهم وحقهم في اختيارها؛ وهذا يعني منطقيًّا وببساطة أنه يسمح لهم بإقامة الأماكن التي يمارسون فيها هذه الشعائر. والذين يرفضون بناء الكنائس أين يريدونهم أن يقيموها؟ في الطريق العام أم في الكهوف والمخابيء؟

وجدير بالذكر هنا أن عمرو بن العاص الذي فتح مصر وجاء إليها بالإسلام، قام ببناء كنيسة لتضم رفات القديس مَرْقُس. واقعة يرويها البابا شنودة في كتابه «مار مَرْقُس الرسول». وقد بنيت كنيسة مار مَرْقُس بالإسكندرية حوالي عام ٤٥هـ وبنيت

أول كنيسة بالفسطاط أثناء ولاية مسلمة بن مخلد حوالي سنة ٦٠ هـ. ويقيني أن الذين يعرقلون بناء الكنائس أو يعتدون عليها ويتصورون أنهم بذلك يراعون دينهم، لا يمكن أن يكونوا أكثر غيرة على دينهم أو أكثر إسلامًا وصوابًا ممن تكبد مشقة الغزو والفتح من أجل نشر العقيدة الإسلامية. إن مثل هؤلاء لا يعرفون صحيح عقيدتهم والإسلام منهم براء.

ويغلب الظن أن الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز أمر بإعفاء الأساقفة والكنائس من دفع الخراج، وكانت الدولة الإسلامية في عهد المأمون (أوائل القرن التاسع) بها ١١,٠٠٠ كنيسة وعدد كبير من الأديرة والجمعيات المسيحية، وكان لهم حرية إدارة أملاكهم، وكانت اللغة القبطية وحدها المستعملة في الكنائس إلى أن انتشرت اللغة العربية في العصر العباسي فأصبحت تستعمل مع اللغة القبطية للآن.

علاقات مسيحية إسلامية:

يشهد التاريخ وتسجل السيرة النبوية أن هناك علاقات ودية إسلامية مسيحية بدأت مع الرسول نفسه قبل نزول القرآن واستمرت تعبر عن نفسها في أكثر من صورة نذكر منها:

- جاء في السيرة النبوية أن أول من تنبأ بنبوة «محمد» منذ صباه كان الراهب «النصراني» بحيرى. حدث ذلك في الشام عندما سافر إليها «محمد» مع عمه «أبو طالب» في إحدى رحلاته التجارية.. وفي بصرى مر اثنان على صومعة الراهب بحيرى، أحد أقطاب المسيحية. رحب بحيرى بهم، خاصة بالصبي وأكرمهم وأدار حوارًا مع الصبي التفت بعده إلى عمه قائلًا: إن «هذا الصبي سيكون له شأن كبير»[1].
- في شبابه وفي رحلة أخرى للشام جلس «محمد» تحت شجرة في مقر الرهبان.. كان معه ميسرة غلام السيدة خديجة.. نظر راهب إلى محمد وقال: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبيٌّ.

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، تحقيق محمد شحاتة إبراهيم (القاهرة: دار المنار، ١٩٩٠م) المجلد الأول ص ٩٤- ٩٦.

- تزوج النبي وهو في سن الخامسة والعشرين من السيدة خديجة التي كان ابن عمها «ورقة» نصرانيًا؛ أي مسيحيًا. أي أن «رسول المسلمين» كان له نسب ببعض مسيحيين بل كانت قرابة؛ فقد كان الرسول والسيدة خديجة وابن عمها ينتمون إلى نفس عائلة الرسول، كانت وابن عمها ينتمون إلى قصيّ الجد الأول لقبيلة قريش الذي هو كذلك الجد الرابع للنبي محمد.

- عندما نزل الوحي على «محمد» وهو في سن الأربعين وأخبر زوجته بما حدث أخبرت ابن عمها المسيحي بما حدث فقال لها إن محمدًا نبيُّ هذه الأمة. وبذلك كانت تلك أول شهادة للرسول؛ «شهادة مسيحي».

- عندما حارب المشركون النبي «محمد» واضطهد أهل قريش أتباعه، طلب الرسول من أتباعه الهجرة إلى الحبشة قائلًا لهم: «إن بها ملكًا لا يظلم أحدًا.. أرض لكم فيها فرج مما أنتم فيه».

بذلك كانت أول هجرة للمسلمين من طغيان المشركين وأهل قريش إلى دولة مسيحية وحاكم مسيحي.

- عندما أرسلت قريش للحبشة رسلًا تطلب من حاكمها النجاشي أن يسلمهم المسلمين الذين وفَّر لهم المأوى والحماية، رفض وردَّ إلى أهل قريش هداياهم وزاد إكرامه للمهاجرين عندما علم أنهم يؤمنون بالله الواحد ولا يريدون عبادة الأصنام مثل أهل قريش. بقي المهاجرون في الحبشة واعتنق بعضهم المسيحية واعتنق بعض أهل الحبشة الإسلام.. وعاش هؤلاء وأولئك معًا في سلام. رسالة واضحة تشهد أن الأديان علاقة بين الخالق والمخلوق.. له تحديدها واختيارها دون تدخل من السلطات أو من أحد.

- وهناك علاقة خاصة بين الرسول ومصر؛ إذ تزوج من مسيحية هي ماريا القبطية التي أنجبت منه ولده إبراهيم وأُعتِقت، ويقال إنها كانت من بين أحب الزوجات إليه. وجاء قول الرسول: «أوصيكم بقبط مصر؛ فإن لكم فيها أخوالًا».

هذه العلاقة الحميمية بين الإسلام والمسيحية، بين المسلمين والمسيحيين، بل بين رسول الإسلام نفسه وأسرته والمسيحية تعد دليلًا واضحًا على أن كل مسلم يتهم

المسيحية أو يناصبها العداء إنما هو يعادي رسول الإسلام والمسلمين، ولعله لذلك جاء قول الرسول: «من آذى ذميًا فقد آذاني».

من له أذنان للسمع فليسمع.

* * *

هذه الحقائق وذلك التاريخ وتلك الآيات التي تدعم الإحساس بتقارب الأديان وبخاصة بين المسيحية والإسلام مع ما تتضمنه من دعوة للسلام والتعايش لم تجد طريقها إلى المناهج الدراسية فتصبح جزءًا مما يتعلمه الطلبة وبخاصة في مرحلة تكوين العقل وصياغته، ولماذا لا يستثمرها رجال الدين من الجانبين بهدف تحقيق السلام الذي يدعو إليه الإله الواحد الذي نعبده جميعًا؟!

٢ ـ الميلاد

نبدأ من البداية.. مع ميلاد السيدة العذراء ثم مولد السيد المسيح وهو الميلاد الذي جاء ذكره وتفاصيله في القرآن الكريم وقبل ذلك في الإنجيل، ونؤجل الإشارة إلى «ما قبل البداية» ـ إن صحّ هذا التعبير ـ ونقصد به آيات التوراة التي تشير إلى هذا الميلاد. وتتنبأ به وبمجيء السيد المسيح ورسالته للعالم وفدائه للبشرية. هي آيات كثيرة في التوراة ومع ذلك رفضها بنو إسرائيل برفضهم المسيح الذي تحققت به تلك النبوءات.

إن آيات قصة الميلاد والتنبؤ به، كلها نصوص ثابتة لا يمكن أن تكون تعرضت للتحريف أو النسخ، مشهود بصحتها في آيات قرآنية عديدة.

نبدأ إذن مع قصة الميلاد التي تعتبر - كما يشار إليها - أشهر قصة ميلاد في تاريخ البشرية، نبدأ مع أطراف ذلك الميلاد. فنتناول ميلاد الوالدة ثم المولود؛ أي السيدة العذراء، والسيد المسيح.

(أ) ميلاد السيدة العذراء ومكانتها

السيدة العذراء مريم، التي اختارها الله ليرسل لها المسيح من روحه، لها مكانة

خاصة في القرآن الكريم. وهي المرأة الوحيدة التي ذكر اسمها في سورة بالقرآن الكريم حيث ذكرت أكثر مما ذكرت في الإنجيل. لها سورة خاصة بها هي «سورة مريم»، كما أن وقائع حياتها مسجلة في سورة آل عمران. والإسلام (عكس اليهودية) يحترم السيدة مريم ويبجل مكانتها ويروي قصة ميلادها. وهي القصة التي ينفرد بها القرآن ولا يرويها الإنجيل. ولولا القرآن لجهلنا الكثير من أخبار ميلاد السيدة العذراء مريم.

* * *

جاء في القرآن الكريم أن السيدة مريم هي ابنة عمران طبقًا لما ورد في «سورة التحريم: ١٢» ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾، وهي السيدة العذراء التي لم يقترب منها رجل ولكنها أنجبت السيد المسيح بمعجزة إلهية من عند الله الواحد القادر على كل شيء.

في الإنجيل تبدأ قصتها من مرحلة متقدمة بعض الشيء في حياتها، بعد أن أصبحت بالغة، وبالتركيز على فتاة عذراء عادية من مدينة «الناصرة» وإن كانت شديدة الورع والإيمان وتنتمي إلى سلالة «داود».

وطبقًا لما ورد في «سورة آل عمران: ٣٥» فقد قامت حنة؛ أم السيدة العذراء، بمناجاة الله وهي حامل بأنها نذرت ما في بطنها لله الواحد ﴿إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا﴾.

قَبِل الله ذلك النَّذْر، لأن ما في بطنها سوف يكون له شأن عظيم على المستوى الإنساني والعالمي، وجاء قبول النذر في «سورة آل عمران: ٣٧» ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ﴾. وعندما وضعت حنة ابنة سمتها مريم.

ويحكي القرآن الكريم مزيدًا من التفاصيل حولها وعلاقتها بالنبي «زكريا». ويوضح أن اسمها الكامل هو «مريم بنة عمران»، كان والدها نبيًا صالحًا ويتمتع باحترام كبير في المعبد وقد نذرتها أمها قبل ولادتها لخدمة المعبد. وكان ذلك عندئذ أكرم ما يتقرب به أي شخص لله، ويقال إنه عند الوفاء بالنذر، اختلف كهنة الهيكل حول من يحظى فيهم بشرف كفالة ابنة «عمران» وكان أحدهم وهو النبي

«زكريا» زوج خالتها، فاقترعوا عليها وألقوا أقلامهم في النهر لينظروا أيهم تستقر عليه المشيئة الإلهية، فطفا قلم «زكريا» وغرقت بقية الأقلام وبذلك اختاره الله ليكون كفيلها.

كان من عناية الله بالمولودة الجديدة «مريم» أن أصبحت في كفالة زكريا ليرعاها في صغرها. وزكريا كان متزوجًا «إيشاع» أخت حنة والدة مريم؛ أي زكريا هو زوج خالة مريم، تولى زكريا شئونها وتربيتها ورعايتها طبقًا لما جاء في «سورة آل عمران: ٣٧» ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾.

وعندما وُلدت مريم وتولى رعاية شئونها وتربيتها، زاد رزقه بولادة المولودة، ورزق برزق مريم. كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقًا، وكان ذلك الرزق الوفير من عند الله، وكان رزقه كثيرًا بعد ولادتها. جاء ذلك في «سورة آل عمران: ٣٧» ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴾.

نشأت «مريم» عابدة تقية لا تنقطع عن الصلاة، وبلغ من رضاء الله عنها أنه حسب الآيات كان يرسل لها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف؛ وكانت هذه المعجزة موضع دهشة وسرور كفيلها «زكريا».

ويؤكد القرآن مكانة مريم الفريدة بكلام واضح عن امتياز انفردت به دون النساء وفوق النساء قاطبة: ﴿ وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (آل عمران: ٤٢). ونلحظ تكرار «اصطفاك»، ولم يَستثنِ أحدًا من نساء العالمين.

ويكرمها القرآن في آيات كثيرة منها «سورة المائدة: ١١٠» ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلًاۖ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴾.

وهناك ما جاء في الصحيحين من حديث يبين أن كل مولود يَصرُخ من نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمه (انظر فصل «المسيح في القرآن»).

* * *

ويتفق القرآن مع الإنجيل حول رد فعل العذراء مريم عندما جاءها الملاك يبشرها بأمر حملها في المسيح، فقد تساءلت في قلق كيف سيحدث الحمل وهي ما زالت عذراء ولم تكن لها علاقة بأي رجل؟ وفي الحالتين أوضح لها الملاك أن حملها يحدث بمعجزة إلهية. جاء ذلك في القرآن في «سورة مريم:٢١» ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾. وفي الإنجيل أجابها «جبريل»: «الروح القدس يحل عليك، وقوة العلي تُظللك، فلذلك أيضًا القدوسُ المولودُ منك يدعى ابن الله» (لوقا ١:٣٥)، وحتى تشعر بالطمأنينة أخبرها «جبريل» أيضًا عن «أليصابات» زوجة «زكريا» التي مضى على حملها ستة أشهر ويكتفي بالإشارة إلى العلاقة بينهما باعتبارها «نسيبتها» «وهو ذا أَلِيصَابات نسيبتك هي أيضًا حبلى بابن في شيخوختها، وهذا هو الشهر السادس لتلك المَدْعُوَّة عاقرًا» (لوقا: ٣٦: ١).

تؤكد هذه النصوص القرآنية مع التفسير والأحاديث الثابتة لدى المسلمين، امتياز مريم والمسيح فكان لهما ما لم يكن لغيره من الرسل والأنبياء.

والمسلمون ـ في مصر على وجه الخصوص ـ يؤمنون بالمكانة الفريدة والقدسية التي للعذراء أو «سِتّنا مريم» كما يطلق عليها في مصر. ويؤمن الكثيرون بشفاعتها وقدرتها على إتيان المعجزات بقوة الله. إن «ظهور السيدة العذراء» الذي حدث في مصر، في الصعيد وفي الزيتون شاهده المئات من المسيحيين والمسلمين على حد سواء. بل إن أول من شاهد ظهور السيدة العذراء في الزيتون كان عاملًا ـ نجارًا ـ مسلمًا يعمل في ورشة مقابلة للكنيسة وخرج يجري ليبلغ آخرين.

هذا ما سجّلته هذه الأحداث، وسواء كان الظهور حقيقة مادية أم رؤية روحية فإن التمسك به والتبرك به من المصريين على حد سواء بغض النظر عن انتمائهم الديني، يعكس إيمانًا عميقًا بمكانة السيدة العذراء في مصر ولدى المسلمين بصفة عامة.

(ب) ميلاد السيد المسيح

قصة ميلاد المسيح: إنها بالفعل كما يُطلق عليها «أشهر قصة ميلاد في تاريخ

البشرية»، وهي تعتبر من ركائز الإيمان المسيحي والإسلامي معًا. ملابساتها تكاد تكون متطابقة في كل من الإنجيل والقرآن. وقد جاءت في إنجيل لوقا (١-٢٨-٣٥)، و«متّى»، وفي «سورة آل عمران، وسورة مريم».

ويؤكد الكتابان الكريمان أن الملاك قام بزفّ البشرى إليها بأنها ستلد المسيح، كما زفّ البشرى قبل ذلك إلى النبي «زكريا».

ولتأكيد ذلك التقارب بين القصتين نورد ما جاء في الآيات ونسجل نصها:

يقول لوقا: إن الملاك جاء إلى عذراء اسمها مريم وقال لها: سلام لك أيتها المنعمُ عليها، الرب معك، مباركة أنت في النساء. فلما رأته اضطربت من كلامه... فقال لها: لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله وستلدين ابنًا اسمه يسوع، هذا يكون عظيمًا وابن العلي يدعى.

وسألتْ كيف يكون هذا وأنا لستُ أعرف رجلًا؟! فأجاب الملاك: الروح القدس يحل عليكِ، وقوة العلي تُظَلِّلكِ.. فلذلك أيضًا القدوس المولود منك يدعى ابن الله.. وليس شيء غير ممكن لدى الله.

نفس المعنى جاء في القرآن الكريم: في «سورة آل عمران: ٤٥» ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾. وعندما تعجبت قائلة: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾. قال: ﴿كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾.

نورد تلك الآيات كاملة وهي في «سورة مريم: ١٦ ـ ٣٤»:

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ

عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ
فَانتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ
هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا
﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا
فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾
فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ
أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ
صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ
وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾
وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ
ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾.

ورغم أن معجزة كلام المسيح ـ المولود لتوّه ـ المذكور في القرآن لا يُشار إليها في الإنجيل، إلا أن معظم المسيحيين حول العالم وخصوصًا في مصر يعتقدون في حدوث معجزات أخرى مثل الضوء الباهر الذي أحاط بالمسيح منذ ولادته، والملائكة التي أخذت تدور حوله في الكهف بعد ولادته مرددة التسبيحات والصلوات. ويؤكد الإنجيل المقدس تراتيل الملائكة قائلةً: «المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة».

وقد عزز القرآن الكريم بمكانة السيد المسيح والعذراء مريم في «سورة المؤمنين: ٥٠» بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾.

هذا الاتفاق بين العقيدتين حول السيدة العذراء؛ مكانتها وقدسيتها، وحول قصة ميلاد السيد المسيح من روح الله من أبرز جوانب الاتفاق بينهما. وهي جوانب متعددة سوف نشير إليها تباعًا. إن الروابط بينهما كثيرة تصلح أن تكون منبعًا للتلاحم والتوافق والانسجام الفكري، وإلى دعم ذلك التراث المسيحي الإسلامي المشترك ونبذ محاولات التفرقة.

٣ـ الإنجيل في القرآن

الإنجيل (أفنجليون) كلمة يونانية معناها بشارة مفرحة أو خبر سار، ويعني بها البشارة بالخلاص الموعود به الذي سبق وتنبأ به الأنبياء. وهي تستعمل أحيانًا للإشارة إلى تعاليم المسيح أو إلى سيرته التي كتبها الرسل. وفي الإنجيل يروي أربعة من الرسل قصة حياة المسيح على الأرض، كلٌّ بأسلوبه وكلٌّ حسب شخصيته. وهي بذلك غير متطابقة، بل قد تبدو للبعض مختلفة لأن كلًّا منهم سرد الأحداث من زاويته.

اختلف كُتاب هذه الأناجيل الأربعة أسلوبًا وتفاصيل، ولكنهم اتفقوا في الجوهر والوقائع، القديس متّى كتب إنجيله لليهود بلغة اليهود، والقديس مَرْقُس كتب إنجيله للرومان، والقديس لوقا كتب إنجيله لليونان، أما القديس يوحنا فقد كتب إنجيله للعالم كله، ورغم هذا فإن الإنجيليين الأربعة رسموا في كتاباتهم صورة واحدة للسيد المسيح؛ فجاءت صورة متكاملة متجانسة متشابهة متفقة شكلًا وموضوعًا، إن مهمة الوحي ليست أن تذيب الكاتب أو تلغي شخصيته أو ثقافته، بل تحفظ له مقومات شخصيته على أن تعصمه من الخطأ وهو يسجل الحوادث والوقائع، مثل أربعة محررين يشتركون في نشر حادث من الحوادث كلٌّ واحد يكتبه من زاويته الخاصة التي شاهدها وبأسلوبه الخاص ولكننا إذا وضعنا الروايات الأربع جنبًا إلى جنب خرجنا بصورة كاملة للحادث. هذا مع الفارق، والفارق هنا أن الوحي يعصم محرري الأناجيل فيجنبهم الأخطاء والزلل الذي يتعرض له كثير من المحررين أحيانًا!![1]

---

(١) مرفق نبذة موجزة عن كلٍّ من التلاميذ الأربعة الذين كتبوا قصة السيد المسيح، كلٌّ من منظوره؛ ملحق رقم (٢).

ومن المناسب هنا الإشارة إلى أن ترجمة الإنجيل إلى العربية ترجمة غير جيدة بل ركيكة وأحيانًا غير واضحة، وكثيرًا ما تعطي مفهومًا غير دقيق أو غير صحيح، ويستعين الكثيرون من المسيحيين العرب بالترجمة إلى الإنجليزية أو الفرنسية، وهناك محاولات صادقة للقيام بترجمة دقيقة تتفق مع جلال الكلمات وجمال اللغة العربية.

والقرآن الكريم وردت فيه كلمة الإنجيل عدة مرات، وبه آيات تؤكد أنه كتاب منزل وتدعو إلى التعرف عليه والعمل بتعاليمه، كما تدل الأبحاث التي أجريت حوله أنه كتاب لم يُنسخ ولم يُحرف[1]، ونورد هنا بعض هذه الآيات التي تبين:

أولًا: أنه كتاب منزل صفاته وألقابه.

ثانيًا: أنه كتاب يجب معرفته والعمل به.

ثالثًا: أنه لم يُحرف ولم يُنسخ.

أولًا: الإنجيل كتاب مُنزَّل

١ ـ تنزيل الإنجيل:

بالقرآن الكريم آيات كثيرة تؤكد أنه كتاب مُنزَّل نذكر منها:

- ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُولَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (سورة البقرة: ١ – ٥).
- ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ۝٤٠ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ (سورة البقرة: ٤٠، ٤١).
- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ...﴾ (سورة البقرة: ٨٧).
- ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ (سورة البقرة: ٨٩).
- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ (سورة البقرة: ٩١).

---

(١) انظر: القمص بولس باسيلي: المسيح.. من هو؟ في التوراة والإنجيل والقرآن؛ رسالة سلام.. بين المسيحية والإسلام. (القاهرة: دار نوبار للطباعة، ١٩٩٩م).

● ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ (سورة البقرة: ٩٧).

● وجاء في «سورة آل عمران: ٣، ٤» ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾.

● ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ (سورة آل عمران: ٨١).

● ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ (سورة آل عمران: ٨٤).

● ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم﴾ (سورة النساء: ٤٧).

● ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ (سورة النساء: ١٣٧).

● ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ (سورة المائدة: ٤٣).

● ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ (سورة المائدة: ٤٦، ٤٧).

● ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ (سورة المائدة: ٦٦).

● ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ...﴾ (سورة المائدة: ٦٨).

• ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ﴾ (سورة الأنعام: ٢٠).

• ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ...أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ...﴾ (سورة الأنعام: ٨٩، ٩٠).

• ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ (سورة الأنعام: ٩٢).

• ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ﴾ (سورة التوبة: ١١١).

• ﴿... تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (سورة يونس: ٣٧).

• ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ (سورة يونس: ٩٤).

• ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ (سورة يوسف: ١١١).

• ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾ (سورة مريم: ٣٠).

• ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة الأنبياء: ٧).

• ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ (سورة العنكبوت: ٢٧).

• ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ﴾ (سورة العنكبوت: ٤٦).

- ﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ (سورة فاطر: ٣١).

- ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ﴾ (سورة فصلت: ٤٣).

- ﴿وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ (سورة المائدة: ٤٧).

- ﴿... وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ...﴾ (سورة النساء: ١٣١).

- ﴿وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُ ...﴾ (سورة الشورى: ١٥).

- ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرۡتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (سورة الأحقاف: ١٠).

- ﴿ثُمَّ قَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيۡنَا بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ﴾ (سورة الحديد: ٢٧).

٢ ـ ألقاب الكتاب المقدس:

القرآن يدعوه «الكتاب»، وقد ذكر هذا التعبير وصفًا للإنجيل أكثر من عشرين مرة في سور: آل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والأحزاب. كما دعاه الفرقان في سورتي: الفرقان والبقرة. كما سماه الذكر في سورة الأنبياء.

ومعلوم أن هذه الألقاب ـ الكتاب والذكر والفرقان ـ هي مما لقب بها القرآن نفسه، فإذا كان القرآن قد أعطى الإنجيل نفس الألقاب التي لقب بها نفسه فهذا اعتراف صريح منه بتنزيل الإنجيل ووحيه وتكريمه.

٣ ـ صفات الكتاب المقدس:

وحسبنا هنا أن نورد هذه الآيات:

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ...﴾ (سورة المائدة: ٤٤).

﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ (سورة هود: ١٧، والأحقاف: ١٢).

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَـٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ (سورة غافر: ٥٣، ٥٤).

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ (سورة القصص: ٤٣).

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ (سورة الأنعام: ١٥٤).

فنرى القرآن في هذه الآيات قد وصف الإنجيل بأوصاف لا تليق إلا بكتاب مُنزل.

فيحق لنا إذًا أن نقول إن القرآن نفسه يصف الإنجيل ويصف نفسه بوصف واحد بلا أدنى تمييز معتبرًا الإنجيل كتابًا منزلًا. وهو نفس الكتاب الذي يتداوله الناس جميعًا حول العالم اليوم على اختلاف أجناسهم وأديانهم.

نستخلص مما سبق أن القرآن يصرح بما ذكر عن الإنجيل من صريح الآيات أنه كتاب منزل لا يأتيه الشك من بين يديه ولا من خلفه.

ثانيًا: كتاب يجب مطالعته والعمل بما فيه

يدعو القرآن الكريم المسلمين إلى مطالعة الإنجيل والعمل بتعاليمه. والآية الصريحة تقول: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ (المائدة: ٤٧).

ولفظ كلمة «الذكر» قد جاء في القرآن في أكثر من عشر آيات قرآنية للدلالة على التوراة والإنجيل والقرآن معًا.. وليس للدلالة على القرآن بمفرده.

والوعد في الآية «٩» من سورة الحجر يشمل جميع «الذكر» بلا استثناء؛ أي التوراة والإنجيل والقرآن معًا، كما أنه من ناحية أخرى أن القول بأن الله لم يحفظ إلا القرآن فقط دون سائر وحيه وكُتبه المُنزَّلة؛ أي التوراة والإنجيل يتنافى مع حكمة الله تعالى؛ لأنه لا يمكن أن يقال: إن الله تعالى يحافظ على بعض وحيه وكلامه ويفرط في البعض الآخر.

إن القرآن في أكثر من مائة آية قرآنية يشهد للإنجيل والتوراة بصحتهما وسلامتهما من التحريف أو من التبديل، بل يعتبر الإنجيل والتوراة والزبور في القرآن بمنزلة القرآن نفسه، ونذكر فيما يلي على سبيل المثال لا الحصر بعض هذه الآيات القرآنية العديدة الدالّة والمؤكدة إطلاقًا بأن للإنجيل - في نظر القرآن - منزلة القرآن.

جاء في «سورة البقرة: ٤» ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾. أولئك هم الذين لا يؤمنون بالقرآن فقط، بل ويؤمنون بما أنزل من قبله وهما التوراة والإنجيل.

وجاء أيضًا في «سورة البقرة: ٨٥» ﴿... أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾. والخطاب هنا لبني إسرائيل.

وجاء في «سورة آل عمران: ٢، ٣» ﴿ٱللَّهُ... نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ فهل يصدق القرآن ما هو موجود بين يدي نبي الإسلام إن كان محرفًا فاسدًا أو منسوخًا لاغيًا؟!

وجاء أيضًا في «سورة آل عمران: ٨٤» ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ فهذه الآية

كسابقتها تحض ـ صراحة ـ على الإيمان بما أوحي إلى موسى وعيسى، وتوجب ـ ضمنًا ـ مطالعة التوراة والإنجيل.

وجاء في «سورة الأنعام: ١٥٥» ﴿أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ لَغَٰفِلِينَ﴾، فالمسلم الذي لا يطالع الكتاب المقدس مسلم غافل. فقد جعل نفسه في زمرة الذين يخاطبهم القرآن بهذا التوبيخ.

وجاء في «سورة يونس: ٩٤» ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَ﴾.

وجاء في «سورة النساء: ١٥٠ - ١٥٢» ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡ﴾؛ وهاتان الآيتان كافيتان لأن توضح للمسلم خطأه في الاكتفاء بمطالعة القرآن والإيمان به دون التوراة والإنجيل.

وجاء أيضًا في «سورة النساء: ١٦٢» ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾؛ فهذه الآية قد وعدت بالأجر العظيم من آمن بما أنزل قبل القرآن ـ وهو التوراة والإنجيل ـ دون أن يكتفي بالإيمان برسالة الإسلام فقط.

جاء في «سورة المائدة: ٤٣» ﴿وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ﴾، هل يقول القرآن هذا القول في كتاب محرف فاسد؟! وهو ينهى اليهود عن التحريف والتلاعب بالتوراة «سورة المائدة: ٤١، ٤٢».

وجاء أيضًا في «سورة المائدة: ٦٨» ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾، فهل يأمرهم بإقامة التوراة والإنجيل إن كانا محرفين فاسدين؟!

جاء في «سورة الأنعام: ٨٩، ٩٠» ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ٨٩ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ...﴾ فهل يأمر القرآن نبي الإسلام بالاقتداء بهدى أهل الإنجيل إن كان كتابهم محرفًا أو فاسدًا؟!

وجاء في «سورة التوبة: ١١١» ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾، فمن الآية يتضح بأن القرآن جعل التوراة والإنجيل على نفس مستوى ومنزلة القرآن لم يفرق بينهما في الدرجة.

جاء في «سورة الأنبياء: ٥٠» ﴿وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ أَفَأَنتُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾.

جاء في «سورة غافر: ٧٠ ـ ٧٢» ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلۡكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٧٠ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ٧١ فِي ٱلۡحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ﴾، القرآن ينذر بعذاب النار مَن يكفر بأحد الكتب الثلاثة لأنها كلها «الكتاب» فكيف يُنسخ واحد منها؟!

جاء في «سورة الشورى: ١٣» ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ...﴾.

فظاهر من الآيات السابقة، وما يشبهها، أن الإنجيل كتاب يجب احترامه ككتاب مُنزَّل، وهي تحض المسلمين على ذلك مبينة أن الاكتفاء بالإيمان بالقرآن وحده لا يكفي لنيل الأجر العظيم وليكون المؤمن من المفلحين الذين هم على هدًى من ربهم.

وأكثر من ذلك.. فإن القرآن الكريم اعترف بصدق التوراة وما جاء بها. والتوراة تشتمل على الآيات التي تتحدث عن الفداء ومجيء المسيح، وبها ذِكر لكثير من الأحداث التي وقعت بالفعل للمسيح حسب ما كانت النبوءة في التوراة. ولا يمكن القول إنها أفعال قام بها المسيح ليثبت أنه المسيح المنتظر؛ لأنها أفعال وأقوال جاء بها آخرون حتى من أعدائه، وجاءت مطابقة لما تنبأت به آيات التوراة.

ولما كانت التوراة كتابًا منزلًا له مكانة في الإسلام فلا يمكن إنكار أو رفض ما جاء به من نبوءة حول المسيح والفداء.. فهي فدءات صادقة بالنسبة للمسيحية واليهودية والإسلام على حد سواء، والفرق هنا أن اليهود يؤمنون بها لكنهم لا يريدون الاعتراف بأن السيد المسيح عيسى ابن مريم هو المسيح المنتظر الذي نزلت هذه الآيات عنه، بينما يؤمن بذلك المسيحيون أنه كلمة الله وروحه ألقاها لمريم، ولا يرفضه المسلمون حسب ما سبق من آيات.

ونشير إلى بعض من الآيات التي تؤكد هذه النقاط:

١ ـ تنزيل التوراة:

﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ... وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴾ (سورة الصافات: ١١٤، ١١٧).

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ (سورة السجدة: ٢٣)، لكنهم لم يهتدوا.

﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ قُلِ ٱللَّهُ﴾ (سورة الأنعام: ٩١).

﴿وَمِن قَبْلِهِۦ﴾ أي من قبل القرآن ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴾ (سورة هود: ١٧).

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ ﴾ (سورة البقرة: ٨٧).

﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ﴾ (سورة المائدة: ٤٣).

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ ﴾ (سورة المائدة: ٤٤).

٢ ـ تنزيل المزامير:

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ (سورة الأنبياء: ١٠٥).

﴿... وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍۢ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ (سورة الإسراء: ٥٥).

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾(سورة النساء: ١٦٣).

ثالثًا: كتاب لم يُحرَّف ولم ينسخ:

تؤكد الآية الكريمة في «سورة المائدة: ٤٧» صحة الإنجيل في قولها: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ...﴾ وما كان ممكنًا الأمر بالعمل به لو أنه كان مزيفًا.

إن أناجيل المسيحيين هي المصادر التي سجلها واعتمد عليها قوم هم أقرب الناس إلى عصر المسيح... وليس لدينا اليوم بعد أكثر من ألفي عام مصادر أحق منها بالاعتماد ويطمئن المسيحيون لصحتها اليوم كما اطمأنوا منذ أكثر من ألفي عام، رغم ذلك فإن هناك اعتقادًا أن الكتاب المقدس قد لعبت به الأيدي وتخونت قيمته بالحذف تارة، وبالزيادة تارة أخرى، تحكمها ادعاءات لا تستند إلى زمان معلوم أو مكان معين أو فاعل معروف. على أن هذا التحريف المزعوم أمر لم يكن ـ ولن يكون ـ في الاستطاعة حدوثه، لانتشار الكتاب بأيدي المؤمنين في كثير من جهات الدنيا، قبل الإسلام وبعده، فلو أريد تغييره أو تبديله أو تحريفه بالزيادة عليه أو النقص منه للزم جمع كل نسخة وتحريفها أو إبدالها بسواها، وهذا أمر مستحيل لتفاوت الشعوب المؤمنة بالكتاب في اللغة والبيئة. ولن يمكن إتمام مثل هذا التحريف إلا إذا تواطأ الجميع عليه، وهذا أمر مستحيل.. ولو وقع لكان عثرة من العثرات الشؤمى ومفسدة للعقيدة ومضيعًا لقداسة الكتاب ودافعًا إلى الحط من قيمته ككتاب مُنَزَّل؛ لأن إبدال حرف واحد في سفر مقدس يفضي إلى الشك فيه كله. ونتناول هذا الأمر بشيء من التفصيل مع التأكيد أنه لمن يرفضه أن يرفضه وله مطلق الحرية في اتخاذ أي موقف وأي رأي وسواء يرى ما نرى أو يرى غيره.

إن الكتاب المقدس إن كان قد حُرِّف فإما أن يكون هذا التحريف قد وقع قبل ظهور الإسلام وإما بعده.

ولا يمكن القول إنه حدث قبل ظهور الإسلام وإلا ما جاءت الآيات التي تكرمه والتي ذكرنا الكثير منها.

لو كان حُرِّف قبل ظهور الإسلام ما أُطلقت عليه هذه الصفات. ولو كان الكتاب قد تحرف قبل ظهور الإسلام للزم أن يتحاشى القرآن ذكره بهذه التجلة وذلك التقديس.. بل لكان حذَّر منه. وأما وأن القرآن يصرح أنه جاء مصدقًا لما بين يديه ويدعو إلى التمسك به والاحتكام إليه ويدعو إلى الإيمان بما فيه ويثني عليه الثناء العاطر الجميل، فلا مفر من التسليم بسلامة الكتاب من التحريف قبل ظهور الإسلام، وهناك من الآيات ما يعتبر قرينة على بقاء الكتاب سليمًا من كل تحريف. قال تعالى في «سورة يونس: ٩٤»: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾.

وقال البيضاوي في تفسيره: «﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ من القصص على سبيل الفرض والتقدير، ﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ فإنه محقق عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما ألقينا إليك، والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة وأن القرآن مصدق لما فيها». وفي تفسير الجلالين: «﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ من القصص فرضًا ﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ فإنه ثابت عندهم يخبروك بصدقه». فكيف يرضى نبي الإسلام لنفسه أن يسأل قومًا حرفوا كتابهم عن شكه، إن كان قد آنس في الكتاب أثر التحريف؟! والذين يقرءون الكتاب من قبله لا يؤدون عملًا ولا يجيبون جوابًا إلا مسندًا إلى هذا الكتاب. ولا يمكن أن يكون التحريف بعد ظهور الإسلام لأسباب كثيرة منها أن المسيحية بعد ظهور الإسلام كانت منتشرة في كثير من ممالك الدنيا مثل تركيا والشام ومصر واليونان والهند والعجم وإيطاليا وجرمانيا وفرنسا وإنجلترا، فهل يا ترى يسلم العقل أن «النصارى» الموجودين في كل هذه البلاد المتباعدة يجتمعون ويتفقون على تحريف كتابهم الذي يقدسونه إلى اليوم ويجودون بالأموال والأرواح في سبيل الذود عنه وحمايته من كل عدوان؟!

وقد جاء في «سورة الحجر: ٩» ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾، وعدٌ من الخالق بأنه يحافظ على الكتب السماوية من التحريف(١)، وفي تفسير الجلالين لهذه الآية: «إنه يحفظ ما أنزله من التبديل والتحريف والزيادة والنقص»، والتوراة والإنجيل كتابان إلهيان أنزلهما الله، وقد نعتهما القرآن بالذكر كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾، ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾، ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾، فما دام أن الله وعد بحفظ الذكر.. والله غير مخلف وعده فتحتم استحالة تغيير الكتاب بالتحريف والتبديل، وجاء في «سورة الكهف: ٢٧» ﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾.

و«سورة يونس: ٦٤» ﴿... لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾.

و«سورة الفتح: ٢٣» ﴿... وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾.

والنتيجة التي نستخلصها أن الكتاب المقدس لم ولن يلحقه تحريف.. وأن أقوال القرآن الكريم بها ما يدعم ذلك(٢).

وقد قامت محاولات في عهود متأخرة تنادي بظهور إنجيل برنابا وأنه الكتاب الصحيح ثم اتضح أن هذه فرية مدسوسة على المسيحية ونورد في المرفقات بعض ما يؤيد ذلك(٣).

وهناك أيضًا من كُتاب الغرب من أرادوا المساس بمكانة الإنجيل منهم الفيلسوف «فولتير» الذي حارب الأديان والكتاب المقدس وقال: «إنه خلال مائة عام سوف

---

(١) وردت هذه الآية ردًا على كفار قريش الذين قالوا للنبي محمد في آية سابقة من «سورة الحجر»: ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾، فجاءت الآية لتدافع عن القرآن الكريم وترسي قاعدة ضرورة الدفاع عن الكتب السماوية.

(٢) رصد الباحثون أكثر من مائة آية تشير إلى الإنجيل بأنه كتاب منزل نورد بعضًا منها في ملحق رقم (٣).

(٣) انظر ورقة بالملحق رقم (٤) تدحض صحة إنجيل برنابا وتعتبره إنجيلًا مزورًا؛ عن مقال نشر للدكتور طبيب هاني لبيب: «حول إنجيل برنابا مرة جديدة: كتاب مزور بالتأكيد!»، مجلة روزاليوسف ١٢/٣/٢٠٠٤.

ينتهي الكتاب المقدس من العالم ويصبح نسيًا منسيًّا». وقد مضت مئات الأعوام ولا يزال الكتاب المقدس مقدسًا[1].

هذه الحقائق وغيرها تؤكد مكانة الإنجيل التي فشلت كل محاولات وادعاءات النيل منه وهو الكتاب الذي يشهد القرآن الكريم بجلاله ويشيد به.

* * *

وهناك من يستندون لمقولة إن الإنجيل المقدس مزور إلى آية قرآنية تشير إلى إنجيل مزور، وهذه الآية صحيحة تمامًا فقد ظهر بالفعل إنجيل مزور هو إنجيل برنابا الذي ظهر فجأة في القرن الخامس عشر ثم اندثر، ويؤمن المسيحيون أنه المقصود بهذه الآية.. وقد ثار الجدل فترة حول صحة إنجيل برنابا، ومرفق ورقة تتناول هذا الموضوع وتبين رأي الكنيسة كما تبين رأي المفكرين والباحثين الإسلاميين الذين يذكرون أن إنجيل برنابا هو الإنجيل المزيف. تقول الآية: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾، وقال البيضاوي في تفسيره: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ من القصص على سبيل الفرض والتقدير، ﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ فإنه محقق عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما ألقينا إليك، والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة وأن القرآن مصدق لما فيها.

وفي تفسير الجلالين: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ من القصص فرضًا ﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ فإنه ثابت عندهم يخبروك بصدقه. فكيف يرضى نبي الإسلام لنفسه أن يسأل قومًا حرفوا كتابهم عن شكّه إن كان قد آنس في الكتاب أثر التحريف؟ والذين يقرءون الكتاب من قبله لا يؤدون عملًا ولا يجيبون جوابًا إلا مسندًا إلى هذا الكتاب؟

---

(١) ومن العجيب أن فولتير بيعت مطبعته التي طالما قذفت إلى العالم بعشرات المجلدات التي تدعو للكفر وأصبحت المطبعة ذاتها تطبع الكتاب المقدس وتنشر نسخ الإنجيل في كل مكان!! وقد نُشر أنه في ٢٤ ديسمبر ١٩٢٣ اشترت الحكومة البريطانية من روسيا النسخة السينائية للكتاب المقدس مقابل مبلغ نصف مليون دولار، وأنه في نفس اليوم بيعت الطبعة الأولى لمؤلفات فولتير من مكتبات باريس بمبلغ ١١ سنتًا!!!

كما نرفق فقرات مما جاء في كتاب «المسيحية في الإسلام» حول تنزيه الإنجيل عن التزييف.

أما إذا اختار بعض المسلمين القول إن المقصود هو الإنجيل الحالي الذي تتمسك به الكنائس كلها فهذا من حقهم ولهم ما يرون. ونؤكد دائمًا أنه حتى مع هذا الاختلاف حول هذه النقط فإنه اختلاف لا يبرر العداوة والحروب والقتل وكلها أمور تنهى عنها الأديان جميعًا.

إن حديثنا هذا ليس تفسيرًا لآيات أو أحاديث، إنه مجرد رؤية من يسعى لتأكيد دعوة التعايش. إنه قراءة مسيحية لكلمات سماوية بنظرة غير منحازة لا ترفض بل تحاول التوفيق حيث يكون ممكنًا ومتاحًا.. وتقبل الاختلاف عندما يكون قاطعًا.

وفي كلا الحالتين لا نرى ما يمنع التعايش والاحترام المتبادل.

إن كل شخص يؤمن أن عقيدته هي الأفضل وهي الأصح وله كل الحق في أن يتمسك بذلك، ولكن ليس من حقه أن يحرم غيره من ذلك الحق. وقد نبهني بعض رجال الدين الأفاضل أن حديثي هذا قد يثير حفيظة بعض رجال الدين أو المتزمتين من الجانبين، وهؤلاء جميعًا لهم أن يرفضوا ما أكتب وأحترم رأيهم لكن ليس من حقهم أن يحرموني من كتابة ما أراه صوابًا.

لقد كتب الكثير من المستشرقين والمفكرين المسيحيين وغيرهم عن قراءتهم لبعض آيات القرآن الكريم وقُبلت منهم كفكر له ما له وعليه ما عليه، وإن كان البعض فهم من آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن المسيح روح الله وكلمته بفهم الإنجيل؛ أي بنفس ما جاء حول هذه الصفات بالإنجيل فلهم ذلك وفي المقابل فسّر بعض الفقهاء والمسلمين بعض آيات الإنجيل تفسيرًا خاصًّا له منهج إسلامي كأن يقال إن الآية التي بالإنجيل تنص على أن الحجر الذي رفضه البناءون قد صار رأس الزاوية؛ يقصد به النبي محمد صلى الله عليه وسلم.. هؤلاء أيضًا لهم ذلك.

بتعبير آخر فإن كل شخص يقرأ ويفهم بما يتفق مع عقيدته ومنهجه في التفكير، وفي حقيقة الأمر فإن القارئ لأي الكتابين إن أقبل على قراءته وهو يبحث عما ينتقد

فإنه سوف يجد ما يعترض عليه، وإن بدأ القراءة وعقله مهيأ لقبول ما يقرأ فسوف يكون أكثر تقبلًا له حتى وإن لم يقتنع به. وبتعبير أكثر وضوحًا فإن من يبحث عما يُقرب سوف يجده ومن يبحث عما يفرق سوف يجده أيضًا.

٤ـ ألقاب المسيح في القرآن الكريم

الإسلام يكرم المسيح «عيسى» كل التكريم ويؤمن بأنه رسول من عند الله أوحى الله إليه برسالة تدعو الناس إلى إخلاص العبادة لله وإلى التحلي بمكارم الأخلاق وإلى نشر روح المحبة والمودة والأمان والسلام بين الناس.

لقد تكرر الحديث عن السيد المسيح في القرآن الكريم حوالي ٤٠ مرة؛ تارة باسمه وتارة بلقبه، وهذا يدل على تشريف وتكريم الخالق عز وجل لرسول مدحه الله مدحًا عظيمًا في آيات قرآنية متعددة منها قول الله عز وجل: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾، ومنها قوله عز وجل: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، ومن الأحاديث النبوية الشريفة التي وردت في فضل «عيسى عليه السلام» ما جاء في الصحيحين قال: «ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخًا من نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمه».

والحديث القائل: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الأولى والآخرة».

والقرآن الكريم لقب المسيح بألقاب لم ينعت بها أحدًا غيره ممن ذكرهم بين سوره وآياته، ولا يصح إطلاقها على بشر ـ مهما سما قدره وارتفعت منزلته ـ لما لها من الاتصال المباشر بذات الله القدوسة. فقال إنه كلمة الله وإنه روح الله وإنه المسيح، كما سماه عيسى.

المسيح «كلمة الله»:

جاء في «سورة آل عمران: ٤٥، ٤٦» ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ

بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

وجاء في «سورة النساء: ١٧١» ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾.

فالإسلام قد تكلم في هاتين الآيتين عن المسيح كما تتكلم عنه المسيحية من قبل. فالقرآن يدعو المسيح كلمة الله، والإنجيل يقول عنه: «في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله... والكلمة صار جسدًا». (بشارة يوحنا ١:٧ و١٤)، والإنجيل حسب القرآن الكريم كتاب مُنزَّل.

والكلمة جزء من صاحبها تلصق به وتنسب إليه، وهي انعكاس له وتعبر عنه وعن حقيقته وكنهه وما له من مكانة.

لذلك يقول الشرفاء: «إني وكلمتي سواء»، ويقال: «يعرف الإنسان من كلمته»، والشخص الأمين كلمته لها مكانتها وشرفها ومقامها.. يقال: كلمته حجة أقوى من أي وثيقة مكتوبة.

والمسيح كلمة الله.. اختار الله له هذا التعبير عن ذاته وأطلق عليه «كلمته» تأكيدًا أنه امتداد له. ولم تقل الكتب السماوية إن المسيح جاء بكلمة منه؛ أي أن الله لم يأمر أن يكون فكان، بل قال إنه هو؛ أي المسيح ذاته، كلمة الله.

ولقد ذهب بعض المفسرين في تأويل هاتين الآيتين مذاهب أخرجتهما عن معنيهما الصريح، فحولوا الحقيقة إلى مجاز، فقال الرازي: «أي أنه وجد بكلمة من الله وأمره من غير واسطة ولا نطفة».

وقال البيضاوي في تفسيره: «كلمته ألقاها أي أوصلها إليها وحصلها فيها»، وفي تفسير الجلالين كلمته: «وأوصلها إلى مريم».

وحاصل هذه التفاسير أنهم يقصدون بكلمة الله هنا اللفظ، أي لفظ الكلمة ولكن الذي تصرح به الآيتان غير ذلك بالمرة. فهما صريحتان في القول بأن كلمة الله التي

ألقاها إلى مريم ليست لفظًا يقرع الأسماع ويرنُّ في الآذان ثم يذهب مع الريح بعد أن يدل على معنى يريده المتكلم، بل تُصرحان بأن الكلمة شيء له قيوميته في ذاته على ما أبان الإنجيل المقدس في آيات كثيرة.

«الكلمة» الذي بُشرت به مريم وأنزل عليها وصفٌ ذَكَرٌ عاقل كائن قائم بذاته، وقد كفانا القرآن مؤونة التدليل على صحة هذا الرأي بقوله: ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ...﴾ فهو لم يقل «اسمها» مع أن الكلمة مؤنث؛ دلالة على أن هذه الكلمة ليس لفظًا بل شخص قائم بذاته، ولو كان المقصود من الكلمة اللفظ لعاد الضمير عليه مؤنثًا أمَا وقد عاد الضمير عليه مذكرًا فهذا دليل على أن المقصود ليس اللفظ بل مسمى «اسمه المسيح عيسى ابن مريم».

إن كلمة الله أزلية لأن كل ما يتعلق بذات الله تعالى أزلي غير محدث فلا بد من أن يكون كلمة الله أزليًا وهذا واضح من قول القرآن: ﴿أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ أي أن هذه الكلمة وجدت قبل أن يلقى إلى مريم. لذلك يعتقد المسيحيون أن المسيح أزلي لأنه ـ بحسب منطوق هاتين الآيتين ـ كلمة الله. ووجدت قبل أن تنزل إلى مريم وتستمر بعدها.

المسيح «روح الله»:

هذا هو اللقب الثاني من الألقاب المجيدة التي اعترف بها الإسلام للمسيح. فقد جاء في «سورة النساء: ١٧١» ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾.

فالقرآن يدعو المسيح كلمة الله وروح منه، وهذا يدفعنا إلى أن نتساءل: أكان الله قبل أن يُبدع هذا العالم ذا روح وكلمة أم لم يكن كذلك؟ فإن قيل: له روح وكلمة منذ الأزل، قلنا: أهما ذات الله أم غيره؟ فإن قيل: هما غيره، قلنا: إذًا فمع الله اثنان ومن

كان معه غيره فهو ليس واحدًا أحدًا وهذا باطل. وإن قيل: إن الروح والكلمة مخلوقان وليسا موجودين منذ الأزل كان هذا مناقضًا للاعتقاد البديهي في الله تعالى من أنه الموجود الأزلي الحي الناطق. فلم يبق ـ والحالة هذه ـ إلا أن نقول إن الروح والكلمة هما ذات الله لهما صفاته كلها، دون تعدد أو انفصال حتى نتقي شر الشرك به تعالى والطعن في ذاته المقدسة الكاملة بحرمانها النطق والحياة حينًا من الزمن.

يرى المسيحيون أنه لما كان المسيح هو كلمة الله وروح منه فهو إذن أزلي كائن قبل حلوله في مريم. ومما يؤيد هذا أنه ما من بشر آخر قد لقبه القرآن بهذا اللقب غير المسيح فجميع الأنبياء ـ بلا استثناء ـ ليس بينهم من أَوْلاه القرآن شرف هذا اللقب العظيم، ودعاه روحًا منه.

ولقد ذهب البعض خطأً إلى أن ما قيل عن المسيح في هذا الصدد قيل أيضًا عن آدم الذي لم يكن إلا بشرًا سويًّا، على أننا عندما نتأمل ما قيل عن آدم نجده يختلف اختلافًا بيِّنًا عما قيل عن المسيح؛ فما ذكره القرآن عن آدم هو أن الله خلقه وسواه ثم خاطب الملائكة في شأنه قائلًا: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ وشتان ما بين القولين: فالمسيح «روح منه أي جزء من تلك الروح، أما آدم فإن الله سواه ثم نفخ فيه. فآدم مخلوق، أما المسيح فالعقيدة الراسخة في صلاة الإيمان أنه مولود غير مخلوق»، أي ولد ولكنه لم يخلق لأنه حسب الفكر المسيحي كان موجودًا قبل الميلاد.

يرى المسلمون أن المسيح رسول الله وهذا حق، ويرى المسيحيون أنه روح الله نزلت للأرض عن طريق العذراء مريم وله قدسيته الخاصة.. جاء الروح من الله والجسد من مريم فأطلق عليه ابن الله، ولا يقصد بذلك البنوة الجسدية التي تكون بعملية بدنية تناسلية مثل باقي البشر، بل بنوة روحية.. فالبشر يلدون أبناءهم الذين جزء منهم بدنًا أما المسيح فهو من الله روحًا.

وفي كل الأحوال أيًّا كان الفكر والتفسير حتى وإن اختلف التأويل فالسؤال هو: هل هذا الاختلاف يبرر العداء والصِّدام؟!

إن من بين الأمور السماوية ما لا يدركه العقل البشري «وكل شيء مستطاع لله، وغير

المستطاع عند الناس مستطاع عند الله». إن الإلوهية هي الكون بكل ما فيه وما حوله؛ ما هو كائن وما كان وما سيكون، أما فكر الإنسان فإنه محدود مهما اتسع، والإيمان هو عقل وقلب معًا، وثقة كاملة في قدرة الله سبحانه على كل شيء. ولكلٍّ أن يتمسك بما يؤمن به ويحترم ما يؤمن به غيره طالما أن الإيمان يقوم على وجود الإله الواحد خالق السموات والأرض وعلى محبة البشر الذين خلقهم على صورته ومثاله.

المسيح:

ذكر القرآن اسم المسيح أكثر من عشر مرات.

جاء في «سورة آل عمران: ٤٢» ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾.

ولنلاحظ أولًا أن القرآن هنا قد قال: «اسمه المسيح ولم يقل يسمونه، مشيرًا بذلك إلى تقرير تلك التسمية من الله دون علاقة البشر بها. ويحق لنا أن نتساءل: هل أخذ القرآن الاسم ممن سبقوه، أم أنه ذكره من قبيل الإلهام؟ إن القرآن لا يشير إلى ذلك وجاء في المعاجم أن هذا الاسم من معانيه أنه كثير السماحة، والممسوح بالبركة.. وأنه لقب المسيح عيسى ابن مريم لأن الله مسحه كاهنًا ونبيًّا وملكًا. وهذه الصفات الثلاث بشر بها الإنجيل من خلال زيارة المجوس (مع نقاط التلاقي).

ولسنا بحاجة إلى القول إن هذا اللقب انفرد به المسيح وحده في القرآن دون بقية الأنبياء والمرسلين فلم يُمنح هذا اللقب السامي نبيًّا سواه مما يدل على امتياز المسيح الخاص واعتراف الإسلام له بهذا الامتياز، ويدل أيضًا على أنه ندب للقيام بعمل يفوق أعمال الأنبياء والمرسلين، يميزه عنهم ومن يمتاز عن البشر كلهم ـ بما فيهم الأنبياء والرسل ـ يجب أن يكون قد ارتفع عن طبقة البشر، بمقدار ما ورث اسمًا أفضل منهم. وليس هناك إلا كائن واحد ـ لا سواه ـ يسمو على جميع البشر، وهو الله سبحانه وتعالى الذي له الكرامة والمجد والسلطان.. والمسيح روح منه.

والإمام الرازي في تأويلين من تأويلاته اعترف للمسيح بشخصية معصومة بريئة

من الذنوب والآثام، وفي التأويلين الآخرين اعترف له بمسحته الخاصة التي ـ بناء عليه ـ سمي مسيحًا. فقال أولا إنه سُمي المسيح لأنه مُسح من الأوزار والآثام ولأن جبريل مسحه بجناحه وقت ولادته ليكون ذلك صونًا له عن مس الشيطان، ومن هنا فقد اعترف الرازي أن المسيح قد أعطي هذا اللقب لأنه كان معصومًا من الأوزار والآثام ولأنه كان مصونًا من مس الشيطان له بشيء ما من الخطايا أو الهفوات. وعندما نقارن هذا الاعتراف بتصريحات القرآن المتعددة التي قضت على البشر جميعًا بلا فارق أو استثناء بسقوطهم في الخطية وباقترافهم الآثام نرى أن الإسلام قد رفع المسيح عن طبقة البشر، لأنه روح الله حسب ما يؤمن المسيحيون وحسب ما جاء في القرآن الكريم أيضًا. إذ حكم له وحده بالعصمة والصون من الدنايا بينما هو يصرح أن العصمة ليست لبشري كائن من كان. وليس هنا مجال للكلام عن حكم الإسلام على البشرية جمعاء بالسقوط في الخطية وارتكاب الإثم واستثناء المسيح وحده دون سواه. فقد جاء في سورة مريم: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ (أي جهنم) ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾. فهذه الآية قد حكمت على جميع البشر بورود جهنم ـ والعياذ بالله ـ ومعلوم أن العقاب لا يكون إلا لذنب، وإلا كان ظلمًا، وما ربك بظلَّام للعبيد. فهذه الآية تدل على أن البشر جميعًا معرضون للوقوع في أسر الشهوات والخطايا... ما عدا المسيح.

المسيح عيسى:

والمسيح يسميه القرآن «عيسى» وهذا الاسم يقرب من الكلمة اليونانية «إيسوس» (Iycouc) وفي العبرية فهو يسوع ومعناه «مخلص».

دعي عيسى كلمة الله وروح منه، وقد تكرر هذا اللقب في «سورة آل عمران: ٤٥» ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (سورة النساء: ١٧١) ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾.

لم يقتصر الأمر على كنه المسيح أو طبيعته من حيث هو «كلمة الله وروح منه ألقاها إلى مريم». وهذا ما لم يوصف به أحد من البشر، وإنما هناك معجزة ميلاده من

عذراء والتي شرحها القرآن في سورة مريم. كانت طريقة عجيبة معجزية لم يولد بها أحد غيره زادها غرابة أن ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ﴾ (سورة آل عمران: ٤٦).

وتكريم المسيح عيسى جاء بالسنة أيضًا فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:

«بينما أنا نائم أطوف بالكعبة، فإذا رجل آدم سبط الشعر يهادى بين رجلين ينطف رأسه ماء، فقلت: من هذا؟ قالوا: هذا ابن مريم».

نعت النبي محمد أخاه عيسى ابن مريم ـ عليهما السلام ـ فقال: «ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس». أي حمام: كناية عن النقاء والإشراق والوضاءة.

وقال: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة». و«الأنبياء إخوة لعلات؛ أمهاتهم شتى ودينهم واحد».

وقال: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل».. قال النووي ـ أحد علماء الإسلام الكبار ـ في شرح هذا الحديث: «هذا حديث عظيم الموقع، وهو من أجمع الأحاديث المشتملة على العقائد».

خلاصة القول إن القرآن الكريم كرَّم شخص المسيح كما كرمه الإنجيل وإن كان الإنجيل أطلق عليه ابن الله (بنوة روحية) فإن القرآن الكريم سماه رسول الله.. والرسول له مكانته والذين يعتنقون دينه ورسالته ليسوا كفارًا.

إن ما جاء بالقرآن الكريم عن شخصية المسيح وصفاته تزيد المسيحيين والمسلمين قربًا ولا يعقل أن تكون سببًا لخصومة أو اتهام متبادل.

٥ ـ خصوصية المسيح.. صفاته ومعجزاته في الإسلام

للمسيح في القرآن الكريم مركز ممتاز خاص به يجعل له مكانة ممتازة وخصوصية ينفرد بها. نذكر من تلك الخصائص بعضها حسب ما جاءت في القرآن الكريم:

١ ـ كمال المسيح الأدبي:

إن «سورة آل عمران: ٤٥» والتي تروي بشارة الملائكة بميلاد المسيح، أطلقت عليه ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ... وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾. وجاء في «سورة المائدة: ١١٠» ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى... وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ...﴾.

ويسجل كُتاب الإسلام صفات المسيح بقولهم: إن الانتماء الحقيقي يكون إلى الحق والخير وإلى حملتهما (دون التورط الجهول في منقصة التقليل من أهمية الانتساب إلى الآباء والجدود، والأوطان، إذ لا تعارض في منهج الإسلام بين الانتماءين)، نحن لم نر إدريسَ ولا نوحًا ولا موسى ولا عيسى ولا حوارييه ولا اليسع، ولكن جوانحنا تنطوي على محبتهم وإعزازهم.. لماذا؟ لأنهم أناس طيبون صالحون كرام عَلِيَّة نفوسهم، رفيعة أخلاقهم، ولأن الحقائق والمبادئ التي يحملونها جديرة بالانتماء إليهم.

وقد أعطى القرآن للمسيح مركزًا ممتازًا وخاصًا به، من وجهة الكمال، وقد بيَّنَّا أنه قد سجل على جميع البشر نقصهم الأدبي، وسقوطهم تحت سلطان الإثم بلا استثناء، ولا تفريق بين الأنبياء والرسل جميعًا، نراه قد أقر للمسيح بالتنزيه عن الآثام والعصمة من الشرور والخطايا. فالقرآن قد صرَّح بأن البشر أجمعين قد سقطوا تحت سلطان الخطية وكانوا من الآثمين وهذا واضح من قوله في «سورة مريم: ٧٢»: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾، كما أنه سجَّل على جميع الأنبياء سقوطهم في الشر المبين خلا المسيح وحده فقد أقر له بالعصمة والتنزيه.

وجاء في «سورة آل عمران: ٣٦» ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾. وقد فسر البيضاوي هذا النص استنادًا إلى حديث نقله أبو هريرة: «ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد، فيستهل صارخًا من مسه، إلا مريم وابنها». ويقول صحيحا البخاري ومسلم: «فذهب الشيطان ليطعن، فطعن في الحجاب، فلم تنفذ إليها (أي إلى العذراء مريم)».

ونورد ـ على سبيل المثال ـ شيئًا من تلك التصريحات العديدة التي سجّل فيها القرآن خطايا الأنبياء والمرسلين. فقال عن آدم في «سورة طه: ١٢١»: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ

رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾. وقال عن نوح في «سورة نوح: ٢٨»: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا﴾. فقد أثبت عليه هنا الاستغفار ولا يستغفر إلا آثم، كما سجل على إبراهيم «الإخبار بغير الواقع» في حادثة تكسير الأصنام، إذ يقول في «سورة الأنبياء: ٥٨-٦٣»: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾. وقال في «سورة الشعراء: ٨٢» على لسانه: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ وأثبت على موسى الضلال بقوله في «سورة الشعراء: ٢٠»: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾. وشهد على داود بسقوطه العظيم ثم استغفاره وتوبته بقوله في «سورة ص: ٢٤، ٢٥» ﴿... وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾.

ونكتفي بهذا القدر القليل الذي أوردناه ـ على سبيل المثال ـ عن اعتراف القرآن بوقوع الأنبياء والمرسلين في بعض المحظورات مما نستطيع معه أن نقول إن الإسلام قد صرّح بنقص البشر الأدبي وسجل على أفاضل الناس وخيرة الأنبياء والمرسلين ارتكاب بعض الأوزار وإتيان الخطايا ومناجاتهم البارئ يطلبون الصفح والغفران.

أما المسيح فالقرآن من هذا الوجه يرفعه إلى أعلى عليين، ويخلع عليه مقامًا خاصًا ومركزًا ممتازًا، إذ يثبت له عصمته من الآثام وحده من البشر أجمعين، ويقر له بتنزيهه عن الشرور والهنات. فهو من جهته لا يسجل له خطية ولا يذكر له وزرًا كباقي الرسل والأنبياء، ومن الجهة الأخرى يورد عنه ما ينطق بعصمته وكماله، فقد ذكر في «سورة مريم: ٣١، ٣٢» على لسانه: ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا﴾، وذكر في «سورة آل عمران: ٣٦» ﴿وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾.

قال الرازي في تفسيره كلمة المسيح: «في ذلك مذاهب نأتي بملخص بعضها؛ منها أنه مُسح من الأوزار والآثام... ومنها أنه مسحه جبريل بجناحه وقت ولادته ليكون ذلك صونًا له عن مس الشيطان». كما قال عند تفسيره آية: ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾: «أنه وجيه في الدنيا بسبب أنه مُبرّأ من العيوب، وفي الآخرة بسبب كثرة ثوابه وعلوِّ درجته عند الله تعالى».

٢ ـ الشفاعة:

جاء في «سورة آل عمران: ٤٥» ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾. وقد فسر الرازي هذه الآية بقوله: «وجيها في الدنيا بسبب النبوة، وفي الآخرة بسبب علوّ المنزلة عند الله تعالى، بسبب أنه يجعله شفيع أمته، ويقبل شفاعته فيهم»، وفي تفسير الجلالين: ﴿وجيهًا﴾: ذا جاه ﴿في الدنيا﴾ بسبب النبوة ﴿والآخرة﴾ بالشفاعة والدرجات العلا». وفي تفسير البيضاوي: «الوجاهة» في الدنيا النبوة، وفي الآخرة الشفاعة». وقال الزمخشري في كشافه: «الوجاهة» في الدنيا النبوة والتقدم على الناس، وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة».

٣ ـ المسيح الديان:

روى البخاري قال: «لا تقوم الساعة حتى ينزل فيكم ابن مريم حَكَمًا مقسطًا»، فهذا الحديث ناطق بأن المسيح سيأتي ديانًا عادلًا، وهذا ما يعلنه الوحي الإلهي في الإنجيل المقدس؛ قال المسيح: «لأن الآب لا يدين أحدًا بل قد أعطى كل الدينونة للابن». وفي ختام سفر الرؤيا: «وها أنا آتي سريعًا وأجرتي معي، لأجازي كل واحد كما يكون عمله». فالإسلام ـ كما يُرى في الحديث السابق ـ قد تكلم عن المسيح كديان عادل رهيب، فصادق بذلك على صحة المعتقد المسيحي فيه، ووافق قول الإنجيل. ولا ريب في أن الدينونة هي عمل داخل دائرة سلطان الله القيوم، ولن يستطيع إنسان ـ مهما سما قدره ـ أن يتجرأ على أن يشارك الله تعالى هذا السلطان الخاص به. والإسلام قد نسب للمسيح هذا الحق شهادة منه على احتمال صدق العقيدة المسيحية عن لاهوت المسيح في صلة لصيقة بالله.

٤ ـ المسيح الحياة:

ذكرنا عند الكلام عن ألقاب المسيح في القرآن أن الرازي فسر لقب ﴿روح منه﴾ بأنه كان سببًا لحياة الخلق في أديانهم، وأن البيضاوي قال: «سُمي روحًا لأنه كان يحيي الأموات والقلوب».

وإذًا فالمسيح ـ بحسب إقرار هذين الإمامين ـ لم يكن سلطانه للأحياء مقصورًا على إقامة الموتى بالجسد، ولكنه أيضًا كان ـ كما هو كائن وسيكون إلى الأبد ـ ذا سلطان على إحياء القلوب، ومنح النفوس سر الحياة الداخلية، وهذا بعينه ما أعلنه عن نفسه بقوله: «أنا هو القيامة والحياة. من آمن بي ولو مات فسيحيا» وقوله جل شأنه: «وأما أنا فقد أتيت لتكون لكم حياة، وليكون لهم أفضل»، وهذا أيضًا ما أعلنه الرسول بولس بقوله: «صار آدم الإنسان الأول نفسًا حية وآدم الأخير روحًا محييًا».

وإذًا فالإسلام ما كان في شهادته هذه إلا مصدقًا لما جاء به الإنجيل عن المسيح كواهب الحياة. ومن الأمور البديهية أن سلطان إحياء القلوب حق من حقائق الله تعالى، ولا يسمح بأن ينسب لبشري هذا السلطان، ولذلك فنحن لا نعدو الصواب حين نقول إن شهادة الإسلام للمسيح بأنه مصدر الحياة تتفق مع العقيدة المسيحية.

ويكتب الأستاذ الركابي[1]: لقد بشر سيدنا المسيح ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمنظومة من القيم والتعاليم والمفاهيم والأخلاق، بشر بها وثابر على أن تنساب في ضمير الإنسان، وحياة المجتمع:

١ ـ **الرحمة والمحبة**: وهي الخاصية الأولى والأجلّ في شخصية المسيح في رسالته بنص القرآن: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾، ونفى التجبر ـ النقيض للرحمة ـ عن نفسه: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا﴾. وكان المسيح يقول: «طوبى للودعاء الرحماء، تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والمثقلين، فتجدوا راحة لنفوسكم، لأن نِيري هين وحملي خفيف».

٢ ـ **السلام**: ومما لا ريب فيه أن المسيح عيسى ابن مريم كان داعية سلام. ولا عجب،

---

(١) زين العابدين الركابي: مرجع سابق.

فهو سلام كله، من الميلاد إلى البعث، بنص القرآن: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾.

٣ ـ **الإيمان الصحيح:** ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾.

٥ ـ معجزات المسيح:

إن معجزات السيد المسيح تتكرر في الإنجيل والقرآن، ولعل ميلاد المسيح هو بذاته أول وأكبر معجزة، ولا يقدر عليها سوى الله وحده. وقد بيّنّا أن الإسلام والمسيحية متفقان عليها. وانفرد القرآن ببعضها. ونشير هنا إلى قليل منها:

هناك معجزة «كلامه في المهد» لأن الطفل العادي لا يتكلم إذا كان لا يزال في المهد. أما المسيح فإنه تكلم فور ميلاده عن رسالته وعن موته وعن بعثه حيًّا حيث جاء ذلك في «سورة مريم: ٢٩ - ٣١» ﴿فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا﴾.

بل إن القرآن أشار إلى قدرة المسيح الفائقة؛ فقد جاء في «سورة آل عمران: ٤٩» ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾.

ومن المعجزات التي وردت في القرآن الكريم على يد المسيح:

أولا: معجزة الأشكال التي كان يصنعها عيسى من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيها فتتحول إلى طير يطير في الهواء، وتلك معجزة من عند الله على يد عيسى لأنها بإذن الله، وقد وردت هذه المعجزة في القرآن ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ (سورة آل عمران: ٤٩).

ثانيًا: معجزة عيسى كونه يستطيع إبراء الأكمه والأبرص، وقد وردت هذه المعجزة في القرآن ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ﴾ (سورة آل عمران: ٤٩). ومن المعلوم أن هذه الأمراض من الأمراض المستعصية؛ فالأكمه هو الذي ولد أعمى، والبرص هو ابيضاض بقعة في الجلد، وهذان المرضان ما زالا عسيرين حتى الآن لا علاج لهما من الناحية الطبية فالمولود أعمى لا يرى ولا يمكن شفاؤه، والأبرص لا يعالج جلده رغم التطور التكنولوجي عند علماء الأدوية الآن، ولكن عيسى أعطاه الله الآية أو المعجزة بأن يجعل الأعمى يرى والأبرص يبرأ من مرضه، وعيسى عندما يبرئ الأعمى والأبرص فهو يقوم بمعجزة لأنه يبرئ بالكلمة والدعوة لهما بالشفاء فيتم شفاؤهما وهذه المعجزة من عند الله.

ثالثًا: معجزة عيسى في إحياء الموتى قد وردت في القرآن: ﴿وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ (سورة آل عمران: ٤٩)، فإن الله من عنده جعل عيسى يقوم بإحياء الموتى كمعجزة ليثبت لهم أنه رسول من عند الله.

رابعًا: معجزة عيسى بالإخبار بالغيب بما يأكلون أو يدخرون في بيوتهم، وقد وردت هذه المعجزة في القرآن: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ (سورة آل عمران: ٤٩). فهذه المعجزة وهي إعلام المسيح ماذا أكلوا في بيوتهم أو ما يدخرونه في منازلهم دون أن يدخل بيوتهم فهذا إعلام بالغيب يشكل معجزة لإثبات أنه رسول موفد من عند الله.

كل هذه المعجزات التي سبق أن ذكرناها وردت في القرآن في «سورة آل عمران» لكي يثبت بهذه المعجزات والعجائب أنه يملك قوة قاهرة من عند الله حتى يصدقه الناس، وقد ورد في القرآن الكريم ذلك عندما قال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (سورة آل عمران: ٤٩).

خامسًا: معجزة عيسى بإحضار مائدة من السماء قد وردت بالقرآن: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (سورة المائدة: ١١٢). وقد طلب الحواريون

المحيطون بعيسى أن ينزل الله من عنده مائدة يأكلون منها حتى يصدقوا أن عيسى رسول من عند الله فيتبعوه ويؤمنوا برسالته وقد ورد بالقرآن ﴿نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (سورة المائدة: ١١٣). ولذلك طلب عيسى ابن مريم من الله أن ينزل من عنده مائدة من السماء عليها ما يرزق الله به من أنواع المأكولات وقد ورد بالقرآن: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ ۖ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (سورة المائدة: ١١٤). وهنا بناء على طلب الحواريين طلب عيسى ابن مريم من الله أن ينزل عليهم مائدة بها من الخير الكثير وتكون المائدة عيدًا يفرح به الأولون والآخرون وتكون آية ومعجزة بأمر الله، وقد أنزل الله المائدة من السماء وقد ورد ذلك في القرآن: ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ «سورة المائدة: ١١٥». وقد أنزل الله المائدة من السماء ولا يقدر على ذلك إلا الله وحده القادر على كل شيء فيقول للشيء كن فيكون، فقد ورد بالقرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (سورة يس: ٨٢). ولذلك ورد في «سورة المائدة: ١١٥» أنه بعد نزول المائدة من السماء بناءً على طلب الحواريين فإن لم يؤمنوا فإن الله سوف يُنزل بهم العذاب الأليم.

سادسًا: هذه المعجزات التي وهبها الله لعيسى لكي يثبت لقومه أنه رسول من عند الله، والتي وردت في القرآن لم ترد في الإنجيل مثل معجزة عيسى ابن مريم في تحويل الطين إلى طير، وكذلك معجزته في إنزال مائدة من السماء، والعكس صحيح، إذ وردت معجزات في الإنجيل لم ترد في القرآن مثل معجزة شفاء ابن خادم الملك، ومعجزة إخراج روح شيطان نجسة من بعض اليهود، ومعجزة شفاء حماة سمعان من الحمى، ومعجزة اصطياد السمك بكثرة، ومعجزة شفاء مشلول، ومعجزة شفاء مريض بِرْكة حِسدا، ومعجزة تهدئة العاصفة، ومعجزة إشباع خمسة آلاف شخص بخمسة أرغفة وسمكتين، ومعجزة سير السيد المسيح على ماء البحر، ومعجزة إطعام أربعة آلاف شخص من سبعة أرغفة وبعض السمك، ومعجزة شفاء عشرة مرضى.

فهل مَن تظهر هذه المعجزات على يديه يستحق أتباعه الإهانة أو الإساءة إلى عقيدتهم؟!

هذه وغيرها كثير، معجزات قام بها المسيح وهي كلها تؤكد نفس الحقيقة؛ أن من يأتي هذه الأفعال لا يمكن أن يأتيها كبشر إنما الروح التي به، وهي روح الله التي كانت تفعل ذلك الإعجاز.

وهناك صفات أخرى كثيرة جاءت في القرآن، كلها إجلال لشخصه وتأكيد لخصوصيته منها: وصفه بعلم المغيبات وبالخلق وأنه رسول... إلخ. ذلك هو المسيح الذي تشهد الأناجيل أنه قال: «من رآني فقد رأى الله»، ولكن هل ممكن رؤية الله؟!

وهذه قضية هامة نتناولها في الحديث عن التوحيد.

٦ـ حقيقة التوحيد ومقولة التثليث

سبق أن أشرت إلى ما حدث أثناء الدراسة بالخارج عندما أراد البعض إقناعي بنظرية التراث المسيحي اليهودي المشترك.

وأذكر هنا واقعة أخرى صادفتني أيضًا أثناء الدراسة بالخارج. موقف تعرضت له، زاد من إيماني بضرورة الاهتمام بموضوع هذا البحث لأنه جاء تعبيرًا صادقًا صارخًا على مدى الجهل وسوء الفهم الذي يحيط بالعقائد في الغرب، وبخاصة بالإسلام، تمامًا كما أن هناك سوء فهم بالنسبة للمسيحية في كثير من دول الشرق. واقعة لمستُ منها تأثير ذلك الجهل وما ينتج عنه من رفض ومواجهة.

أثناء إحدى جلسات النقاش حول التنمية الاجتماعية والتكافل والتراحم، فاجأني معيد بالجامعة؛ شاب نابه في مقتبل العمر كنت أعتبره من المثقفين الذين يُقبلون على القراءة والبحث، فاجأني بسؤال صريح هو: هل الإسلام يؤمن بالتوحيد؟! تعجبت كثيرا لكنني قدرت فيه إقدامه على توجيه السؤال رغبة في المعرفة.

تعجبت لأن التوحيد من أهم أركان الإسلام، وكثير من المسلمين يتباهون بذلك، وبعضهم يعتقد أن الإسلام بذلك يختلف عن المسيحية ويتفوق عليها. بل إن كثيرين

من المسلمين الذين لا يتفهمون صحيح الإسلام وتعاليمه يعتقدون أن المسيحيين مشركون!!

سألته: لماذا تقول ذلك؟ قال: لأن هناك ظنًّا بأن الإسلام به ٩٩ إلهًا!! تعجبت لحظة ثم أدركت ما لديه من خلط واضح بين الإيمان بالله الأحد الصمد الذي لا يوجد سواه، ذلك الإيمان الذي هو من أركان الإسلام، وبين صفات الله الحسنى التي يُطلَق عليها أحيانًا أسماء الله الحسنى. واجهت سؤاله بسؤال آخر قلت له: أنت مسيحي؟ قال: نعم. سألته: هل عندما تقول الآب ـ الابن ـ الروح القدس، أنت تتحدث عن ثلاثة آلهة أم إله واحد؟ قال سريعًا: «بالطبع إله واحد لا غيره». قلت له: إذا كان بمقدورك الوصول إلى حقيقة أن هذه الجوانب الثلاثة لله الواحد الآب في السماء والروح الذي أرسله والمسيح الذي هو روح الله، إله واحد وامتداد متكامل غير منقسم ولا متعدد، لماذا يصعب عليك قبول أن هذه الصفات والأسماء هي كلها لإله واحد لا سواه؟! وهي مجرد صفات أو أسماء؟ قال ببساطة وصراحة بليغة: لأني «كنت لا أعرف والآن أعرف». كانت إجابته مفتاحًا لفهم أسباب كثير من المفاهيم الخاطئة السائدة عن الإسلام.. إنهم لا يعرفون.

* * *

وبقدر ما تعجبت بأن شابًّا مثله كثير القراءة والبحث، لم يدرك حقيقة التوحيد في الإسلام، ولم يفهم ما جاء به من أوصاف لله والتعبيرات عنه، أُعجبت أنه سأل وأراد أن يعرف، واعترف أنه لم يعرف، وأنه اقتنع وأضاء ذهنه بالحقيقة التي كثيرًا ما تغيب عن الإنسان فيُصدق ما يشاع أو يرفض ما لا يفهم.

كانت هذه الواقعة من الأمور التي جعلتني أتلقى بكثير من التسامح ظن بعض المسلمين أن المسيحية لا تقوم على التوحيد.. فقد رأيت أنه إذا كان دارس في جامعة كبرى وفي دولة «متقدمة» قد اختلط عليه الأمر بالنسبة للإسلام بدون سوء قصد فإنه من الممكن، وبسهولة، أن يختلط الأمر وبدون سوء قصد على المسلمين الذين ليسوا على نفس القدر من العلم والمعرفة، فيتصورون أن الإيمان بالآب والابن والروح القدس يعني وجود ثلاثة آلهة في المسيحية.. خاصة وأن كثيرًا منهم معرضون لحملات غير كريمة تتهم المسيحية بالشرك.

وقد صادفت بالفعل كثيرين من غير المسيحيين الذين يظنون أن المسيحية لا تؤمن بالتوحيد. وأن الثالوث المسيحي يعني تعدد الآلهة فيتصورون أن المسيحيين يؤمنون بثلاثة آلهة: الله اسمه الآب وآخر اسمه الابن وثالث اسمه الروح القدس، ولكني لم أغضب. وقد يكون لبعضهم العذر في ذلك لأن العقل البشري يتصور أول ما يتصور، ويفهم أول ما يفهم من كلمة الابن أنها عملية أبوة وبنوة بشرية جسدية تناسلية وهؤلاء على خطأ جسيم. إن الفكرة ببساطة هي أن الله ظهر في حجاب الجسد. إن خالق الكل قادر على كل شيء وهو يحب البشر، وظهر لهم في صور شتى وكلمهم خلال معجزات وعن طريق الأنبياء، وإن أراد أن يظهر لهم في حجاب الجسد ليعطيهم القدوة في كيف يجب أن تكون الحياة على الأرض، فمن الذي يمكنه أن ينكر عليه ذلك؟!

إن التوحيد بلا جدال أحد أركان المسيحية، وذلك من واقع القرآن الكريم، وأيضًا من واقع الكتاب المقدس. إن أحد النقاط الأساسية التي تشترك فيها المسيحية والإسلام معًا هي التوحيد والإيمان بالله الواحد. إن المسيحية ترى أن تثليث أقانيم الله لا يعني أي تعدد في ذاته الواحدة. والتثليث الذي يرفضه القرآن ليس التثليث لأقانيم الله الواحد الذي تدعو إليه المسيحية ويؤمن به المسيحيون، بل لبدع وانحرافات ظهرت مع ظهور المسيحية لكنها اندثرت[1].

رغم ذلك فإن من أكثر القضايا صعوبة وتعقيدًا ومثارًا للجدل والرفض في دراسة المسيحية والإسلام هي نقطة التوحيد والتثليث. بينما الواقع والثابت من آيات الكتابين الكريمين أن كلتاهما ديانة سماوية تؤمن بالتوحيد.

وسوف نعالج هذه القضية بإيجاز في نقاط أربعٍ: التوحيد من واقع المسيحية، توحيد المسيحية من واقع الإسلام، رأي بعض فقهاء الإسلام في توحيد المسيحية، ثم سؤال هل يمكن رؤية الله أو الحديث معه؟

---

(١) منها تيار ظهر فترة يقول إن الثلاثة هم: الله، والمسيح، والعذراء مريم. وهو تيار ظهر في العصور الوسطى المظلمة لم يستمر طويلًا وأنكرته الكنيسة.

التوحيد في المسيحية:

مما لا شك فيه أن المسيحية تقوم على التوحيد. تؤيد ذلك أقوال المسيح، ومبادئ المسيحية، وكتابات الرسل، إلى جانب أساس منطق الإيمان المسيحي.

- سئل المسيح يومًا عن أهم آية في التعاليم كلها فقال: «إن الرب إلهك إله واحد».
- وصلاة الإيمان التي تقام في الكنائس تبدأ بعبارة «أؤمن بإلهٍ واحد».
- وعبارة «باسم الآب ـ الابن ـ الروح القدس» لا تصح ولا تتم ولا تقبل إذا لم يعقبها عبارة «الإله الواحد».
- ويقول الرسول يوحنا (٥ : ٧): «الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة: الآب والكلمة والروح القدس؛ وهؤلاء الثلاثة هم واحد».
- يؤمن المسيحيون أن روح الله هو الآب ومنها نزلت الروح إلى مريم وبها جاء المسيح، ولا يمكن إلا أن يكون الثلاثة واحدًا لا يتعدد لأن روح الله لا تتجزأ وإلا أصبح كل جزء منها هو إله مستقل وفي هذه الحالة يكون الشرك والتعدد وينتفي التوحيد.

أي أن القول بأنها ليست نفس الشيء بل ثلاثة هو الذي يعتبر تعددًا وليس توحيدًا.

وبتعبير آخر فإن الله الذي هو الروح الأول والأكبر والأوحد...نزَّل روحه على مريم، وجاء المسيح الذي هو روح الله وكلمته. إن روح الله هي الإلوهية وهذه الروح نفسها حلت على العذراء، ومنها جاء المسيح.. فهذه الروح واحدة.

إن التثليث الذي يرفضه الإسلام هو نفسه التثليث الذي ترفضه المسيحية وحاربته ضمن ما حاربت من بدع، ويقوم ذلك التثليث الخاطئ على أن الله سبحانه كائن مستقل والروح الذي نزل على مريم كائن آخر والمسيح الذي جاء به كائن ثالث.

بينما التوحيد الحقيقي يقوم على أسس ذكرها الإنجيل والقرآن معًا؛ فالله خالق الكل وهو الكل والله أرسل روحه إلى العذراء مريم، فجاء المسيح الذي هو أيضًا كلمة الله ألقاها إلى مريم.

والقول بغير ذلك؛ أي بأن روح الله التي أرسلت إلى مريم تختلف عن إله الكون وليست جزءًا منه وتختلف عن الروح التي عاش بها المسيح واعتبارها شيئًا مستقلًا فإن هذا يعني أن هناك ثلاث وحدات مستقلة كلها من روح الله. وهذا هو ما يؤدي إلى التعدد وليس التوحيد.. وهذا ما ترفضه الكنيسة المسيحية والعقيدة المسيحية؛ فالكل واحد. الكل روح الله وحدة واحدة لا تنقسم ولا تتعدد.

التوحيد المسيحي في الإسلام:

القرآن الكريم ينزه المسيحية عن الشرك وبه آيات كثيرة تدل على أن الإسلام نظر إلى المسيحية نظرة خالية من تهمة الشرك وعدم التوحيد، أشرنا إلى بعضها ونوردها هنا تفصيلًا. جاء صراحة أن الله سبحانه قال لعيسى عليه السلام ﴿... وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾.

هذه الشهادة القوية المقدسة كافية لكنها ليست الوحيدة نذكر غيرها:

- جاء في «سورة البقرة: ٦٢» ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

ولو أن الإسلام يعتقد أن النصارى آمنوا بالله في غير توحيد، وأن إيمانهم إيمان تعدد وإشراك، فكيف صرح إذن أن لهم أجرهم عند ربهم، وأنهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، لأنه يكون بتصريحه هذا قد وعد المشركين بالأجر والثواب، وهذا باطل إذ إن المعقول والمنقول أن الإسلام قد حارب الشرك والمشركين وأنذرهم عذابًا أليمًا من بين أيديهم ومن خلفهم، فهذه الآية قد دلت على أن الإسلام ميز بين النصارى والمشركين، ولم ينظر إلى المسيحية كدين تعدد وإشراك.

- ثم إن الإسلام قد حرم على من يدينون به أن يتزوجوا بالمشركات دون أن يتخذن الإسلام لهن دينًا. في حين أنه ساوى بين المرأتين؛ المسيحية والمسلمة، في هذا، فأباح للمسلم أن يتزوج من المسيحية دون أن يشترط إسلامها لتمام هذا الزواج

وصحته، فقال في «سورة المائدة: ٥»: ﴿أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾.

فهذه الآية قد أجازت للمسلم التزوج من المرأة المسيحية، مع الحرص على حقها أن لا يُهضم، جاعلًا إياها في مرتبة المرأة المسلمة. ولو كان الإسلام اعتبر المسيحية مشركة لحظر الزواج بها، ولحرمه تحريمًا أو على الأقل لجعل الإسلام شرطًا ضروريًا لتمام هذا الزواج كما فعل مع المشركات اللاتي قال في حقهن، في «سورة البقرة: ٢٢١»: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾. فهذه الآية قد حرمت على المسلم الزواج من المشركة وهي باقية على شركها، وأجازه له بعد إسلامها.

- وهناك أيضًا الآية التي تكلم فيها القرآن عن المسيحيين كمؤمنين بالله تقاة ساجدين آمرين بالمعروف وناهين عن المنكر مسارعين في الخيرات ومن الصالحين «سورة آل عمران: ١١٣، ١١٤» التي أشار فيها أولًا إلى اليهود ثم قال: ﴿لَيْسُواْ سَوَآءًۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

- وجاء في «سورة التوبة: ٥» ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ «فإذا تأملنا هذه الآية تأكد لدينا ـ ولدى كل مفكر ـ أن النصارى هم غير المشركين الذي أمر الإسلام بقتلهم، لأن الإسلام قد حقن دماء أهل الكتاب؛ ومنهم النصارى، إذا هم دفعوا الجزية. ومن غير المعقول أن هذه الجزية تؤخذ عوض البقاء على الكفر، وبدل الاستمرار على الشرك، وإلا أضحى آخذوها ـ وهم المسلمون ـ شركاء في الكفر والإشراك بالله، لما يكون في عملهم هذا من التجاوز عما لا يجوز التجاوز فيه من حرام ومحظور، وحاشا أن يدعو الإسلام لذلك. فالكفر لا يُشترى والإيمان لا يُباع.

إن الآية الكريمة تقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾، وذلك يتفق مع قول الإنجيل: «في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله... كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان» (بشارة يوحنا ١: ١ ـ ٣).

يشرح الإمام الغزالي التوحيد في المسيحية بأفق واسع وإدراك للحقيقة. إذ يقول: إن رسائل بولس الرسول وأخبار الحواريين، وهذه الكتب، وأقوال علماء النصارى المنبثقة في آفاق الأرض تشهد بتوحيدهم وبأن أسماء الآب والابن والروح القدس إنما هي خواص لذاته الواحدة، ولولا حب الإيجاز لأتيت على إثبات عقيدتهم مفصلًا، ولكنني مع ذلك أقتضب من أقوالهم الناطقة بصحة معتقدهم وقويم إيمانهم، ما لا يخلو من فائدة فأقول: يرى النصارى أنّ البارئ تعالى جوهر واحد موصوف بالكمال، وله ثلاث خواص ذاتية كشف المسيح عنها القناع، وهي الآب والابن والروح القدس، ويشيرون بالجوهر ذاته الذي يسمونه البارئ ذا العقل المجرد إلى الآب. والجوهر نفسه الذي يسمونه ذا العقل المعقول من ذاته إلى الروح القدس ويريدون بالجوهر ـ هنا ـ ما قام بنفسه مستغنيًا عن الظرف.

- ويقولون أيضًا: «إنّ الذات من حيث هي مجردة لا موصوفة، عبارة عن معنى العقل، وهي المسمى عندهم بأقنوم الآب».
- «وإن اعتبرت من حيث هي عاقلة ذاتها، فهذا الاعتبار عبارة عن معنى العاقل: وهو المسمى بأقنوم الابن والكلمة».
- «وإن اعتبرت من حيث إنّ ذاتها معقولة منها، فهذا الاعتبار عبارة عن معنى المعقول، وهو المسمى بأقنوم الروح القدس».
- فعلى هذا الاصطلاح يكون العقل عبارة عن ذات الله فقط، والآب مرادفًا له، والعاقل عبارة عن ذاته بمعنى أنها عاقلة ذاتها، والابن أو الكلمة مرادفًا له، والمعقول عبارة عن الإله المعقول ذاته منه، وروح القدس مرادفًا له أيضًا.
- ثم عقب قائلًا: إذا صحت المعاني فلا مشاحة في الألفاظ ولا في اصطلاح المتكلمين.

- ويبسط الأستاذ الركابي كل ذلك بقوله إن منهج المسيح يدعو إلى توحيد الله جل ثناؤه ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾.

- الخلاصة من تفسير الإمام الغزالي لعقيدة التثليث المسيحية وتعليقه عليها يتضح أنّ فلاسفة الإسلام وعلماءه قد أدركوا أن عقيدة المسيحية الصحيحة في التثليث هي غير تلك العقيدة المبتدعة التي أشار إليها القرآن وندد بها. ومعنى هذا أن الإسلام لم يحارب التعليم الصحيح عن عقيدة التثليث المسيحية، بل حارب التعليم المبتدع فيها وأن علماءه وفلاسفته قد شهدوا بأن تعليم المسيحية عن التثليث لا يناقض التوحيد.

* * *

- إن التثليث الذي يرفضه الإسلام هو نفسه الذي ترفضه المسيحية، وهو القول إن هناك ثلاثة أحدهم اسمه الآب والآخر الابن والثالث الروح القدس. فالرب ـ الروح الأزل القدوس الخالد ـ أرسل منه إلى مريم وجاء المسيح.. الثلاثة واحد هم روح الله، واحد لا ثلاثة. ويشرح الأب أنجليوس هذه الحقيقة بوضوح وبساطة بقوله: إن ١ + ١ + ١ = ٣ لكن ١ x ١ x ١ = ١ والحال هنا هو المعادلة الثانية ليست الأولى.. أي ليست إضافة بل تأكيدًا.

نعم إن الله لا يلد ولا يولد وحاشا أن يكون له ولد قول صحيح صادق، وإذا قلنا إن المسيح جاء بولادة طبيعية مثل سائر البشر فإننا بذلك ننكر ونناقض المسيحية ذاتها وهي لا تدعو إلى أن المسيح ابن الله بالمعنى البشري؛ أي بنفس وسيلة وطريقة ميلاد البشر وبمفهوم الأبوة والبنوة الجسدية البشرية.. بل هي تحرم ذلك تمامًا.

إن العقل الذي يتصور فكرة البنوة البشرية يقوم على تصور أن الله كائن محدد أو كيان مادي، لكن الحقيقة غير ذلك والأساس الذي تقوم عليه المسيحية هي أن الله خالق الكل ليس كائنًا لكنه الكون كله وأنه روح وليس بدنًا، وأنه قوى عُليا تـَخلق ولا تـُخلق إن أراد التمثل في رسله وأنبيائه له ذلك، وإن أراد أن تتجسد روحه له ذلك أيضًا.

نؤكد ونعتذر عن التكرار.. إن الكلمة الإلهية التي جاء بها المسيح جزء من الذات

الإلهية، وهي واحدة في النوع وفي العدد «لأن كل شيء في الله واحد» ثم إن الطبيعة في أي موجود لا تنقسم إلى موجودات كثيرة بمقتضى العدد، بل بحكم المادة التي تتشخص بها، والطبيعة الإلهية منزهة عن كل مادة: فمن المحال أن تكون واحدة في النوع ومتعددة في العدد. فكلمة الله التي بشر بها الملاكُ العذراءَ مريم تشترك مع الله في طبيعة واحدة عددًا، فليس الله وكلمته إلهين اثنين، بل إله واحد.

إن الأمر الذي يبدو معقدًا هو في الحقيقة في غاية البساطة والمنطق. إن الإلوهية واحدة فقط ولا تتعدد.. لا يمكن أن تكون روح الله التي في السماء منفصلة عما حل على السيدة العذراء، وهذه وتلك مختلفتين عن المسيح الذي هو أيضًا روح الله.

فالروح في السماء ـ وكل مكان ـ وتلك التي نزلت إلى مريم وتلك التي جاء منها المسيح هي روح الله. ولا يمكن أن يكون هؤلاء ثلاثة، بل لا بد أن يكون الكلّ واحدًا، وذلك تأكيد للتوحيد وعدم الشرك. أما إذا قلنا إنهم يختلفون أو منفصلون أو كلٌّ منفصل بذاته.. هنا يكون التثليث الذي هو المرفوض من المسيحية ومن الإسلام معًا.

الخيط متصل ومتواصل.. إنه يتسع ليشمل ما يريده الله أن يشمل، لكن لا ينفصل أو يتعدد ونحن إذا فرقنا بينهم أصبحوا ثلاثة وإذا قلنا إنهم ليسوا نفس الشيء فمعنى هذا أن هناك تعددًا وأكثر من روح إله تعددت وكل جزء منها لا بد أنه إله. بتعبير آخر إذا قيل إنه ليس جزءًا من الله وإن الله الآب شيء والروح القدس آخر والمسيح ثالث... فهذا يعني أن روح الله ثلاثة أرواح منفصلة، وأن الله ثلاثة وليس واحدًا، أما إذا كان الله أرسل من «روحه» «كلمة» وكلاهما جزء دائمًا من الذي أرسل.. فإن تلك الروح القدس هي التي جاء بها ومنها المسيح، والكل واحد.

* * *

جاء البشر جميعًا من التقاء الأم والأب.. وجاء السيد المسيح من التقاء العذراء مريم وروح الله الذي نزل عليها، لذلك يقال مجازًا: إن الله أباه ولا يقصد بذلك المعنى البدني التناسلي البشري المعتاد.

هذه هي المعجزة التي بدأت بها المسيحية والتي يؤمن بها الإسلام.

وترتبط قصة التجسيد والبنوة لله التي تؤمن بها المسيحية بمسألة أشمل وأعم،

تلك هي النظرة لله وتصوره، أي كيف يراه الإنسان وما هو الشكل الذي يستوعبه العقل عند ذكر كلمة الله؟!

والإنسان منذ بدء الخليقة وهو يبحث عن الخالق.. اختلف شكل ذلك الخالق على مر العصور حتى بعد أن أدرك الإنسان حقيقة التوحيد، قال البعض إنه النار، وقال الآخرون إنه الماء، وقال غيرهم إنه الجبل، وقال كثيرون إنه الشمس، بل قال البعض إنه من وبين المخلوقات فقدسوا البقرة أو القطط... وجاءت الأديان السماوية تبين أن الله ليس «شكلًا» محددًا مثل الإنسان والمخلوقات وعناصر الطبيعة التي تشغل حيزًا بيننا في الوجود ويمكن أن تراها العين أو تمسك بها الأيدي... إنه ليس جزءًا من الوجود، إنه الوجود كله إنه الخالق الذي لم يُخلق.

أقدم الإنسان على إسباغ صفة الله لظواهر أو أشياء محددة لأن هذا أقرب إلى فهم عقله المحدود ولأنها ملموسة أمامه يراها ويعرفها؛ لذلك فإنه عندما يذكر تعبير ابن الله فإنهم يتصورون المعنى البشري للبنوة؛ أي الزواج، ارتباط بين رجل وامرأة وهذا قطعًا ما ترفضه المسيحية بل تُحرمه. لكننا في عصر انتشر فيه الفكر المادي البدني على غيره فتغلب على الروحانيات والإيمان بقدرة الخالق، وعندما تساءل البعض عن معجزة المسيح روح الله كان الرد في الإنجيل: «غير المستطاع عند الناس مستطاع عند الله، وليس شيء غير ممكن لدى الله». (لوقا ١).

ويختلف الأمر بالنسبة لمن يدرك أن الله هو الأحد الصمد الذي ليس له كفوًا أحد ولم يلد ولم يولد... ويُغلبون الجانب الروحاني على الجانب البدني المادي... فالله حياة وروح وقوة تعبر عن نفسها في كل شيء وبأي شيء. خلق البشر وسائر الكائنات والكون والطبيعة وما وراءها. وهو يحب البشر ويتواصل معهم بأكثر من صورة، يبعث إليهم برسائله ورسله، يهديهم إلى ما هو خير لهم وللكون، وينهاهم عما يسيء إليهم أو للطبيعة، خلقهم على صورته ومثاله وأراد أن يتواصل معهم في هذه الصورة حتى يتقارب معهم، ويزيد من فهمهم له وإدراكًا لإرادته.

المسيح إذن جزء من روح الله «لذلك يدعى ابن الله»، والقول مجازي؛ أي روحاني، لكنه غير مستغرب في وقت أصبح فيه التفسير البدني المادي هو السائد في كل الأمور.

إن الكون كله جزء من الله، والبشر جميعًا يمكن أن يقال إنهم أبناء لله، لكن الفرق هنا هو أن الإنسان يأتي نتيجة تفاعل بدني للبشر أما المسيح فجاء ـ حسب كلٍّ من القرآن والإنجيل ـ بروح الله، فأصبح بذلك الابن الوحيد الخالص روحًا. إن الأنبياء روح وجسد، الروح فيهم أقوى من الجسد الذي جاءوا به. لكن المسيح روح خالص لأنه لم يأت بتفاعل بدني للإنسان بل بمعجزة لم تتكرر وهو روح خالص.

يقول البعض إن المسيح وُجد من روح الله مثله مثل آدم. لكن الحقيقة هي أن الفرق كبير جدًا بين الحالتين. فآدم خلقه الله من طين ونفخ فيه، والميلاد بعد ذلك كان دائمًا ميلادًا تناسليًّا من رجل وامرأة. إلا مولد السيد المسيح.

أما السيد المسيح فيقول القرآن الكريم... ونفخنا «فيه» وليس «فيها» (أي العذراء) من روحنا فجاء المسيح.. وتقول صلاة الإيمان: مولود غير مخلوق، بينما آدم مخلوق وأول المخلوقات.

والواقع أن هناك بعض العذر لمن يتصورون غير ذلك ويرفضون أن المسيح ابن الله؛ لأنهم يفكرون فيها حسب طبيعة البشر ويتناسون قدرة الخالق على كل شيء وأي شيء... إن الله القادر على كل شيء قادر على أن يرسل للعالم من جاء من روحه وجزءًا منه. وعبارة ابن الله من السهل قبولها بالقلب والإيمان، ومن الناحية الروحية وليست بالفكر البشري أو الجسدي.

هذا ما يراه البعض ولهم مطلق الحرية في ذلك. وهو أيضًا ما يرفضه البعض الآخر.. ولهم أيضًا مطلق الحرية في ذلك.

إن الاختلاف والتأويل وتباين التفسير في أمور الدين أمر وارد ومنتشر، وأحيانًا محير.. المهم هو أن يكون الرفض أو القبول بعد التمعن والتأمل، وأن يكون موضوعيًّا بلا مواقف مسبقة، فلا يقرأ المسيحي المتعصب القرآن الكريم ليبحث فيه عما يرفضه ويتحفز مسبقًا لإيجاد ما لا يوافق عليه. ولا يقرأ المسلم الإنجيل وفي ذهنه رفض لما به فيفسر ما يقرأ بما يؤيد رفضه.

* * *

باختصار ووضوح فإن التثليث الذي يرفضه الإسلام هو نفسه التثليث الذي ترفضه المسيحية؛ بمعنى أن المسيحية ترفض أن يكون الآب غير الابن غير الروح القدس ثلاثة لكلٍّ ألوهيته وقدسيته المنفصلة، فذلك يعني أن هناك ثلاثة ينطبق عليهم صفة إله. والمسيحية ترفض أيضًا التثليث الذي قالت به بعض أصحاب البدع في فترة ما عندما نادوا أن الله والابن والعذراء مريم هم الثالوث المقدس؛ وهي بدعة ظهرت ثم اندثرت.

أما التثليث الذي يؤمن به المسيحيون ويؤيده القرآن الكريم فهو أن الله واحد وظهر في الآب وفي الروح الذي حل على العذراء وفي الابن الذي ولدته الذي هو روح لله والثلاثة واحد.

ولو أراد الله أن يكون المسيح ابنًا بالمعنى البدني كان قادرًا أن يجعل له أبًا ماديًّا بدنيًّا لكنه جاء من مريم التي أرسل الله لها روحه ليأتي المسيح منه.. ويطلق عليه أيضًا أنه روح الله. إذن الروح القدس روح الله والمسيح أيضًا روح الله، وهي لا تتعدد ولا تنفصل بل هي واحدة دائمًا أبدًا.

وهذه أكبر نقط ذلك الاختلاف المزعوم والخلاف الذي لا سند له.

* * *

ويمكن تبسيط هذه القضية بإعطاء مثل الشمس: فالشمس هي قرص في السماء وهي أيضًا أشعة النور التي تخرج منها، وكذلك الحرارة التي تأتي بها. القرص والأشعة والحرارة كلها وحدة واحدة هي الشمس، لا يوجد واحدة منها بدون الأخرى ومهما استخدمنا أو أخذنا من الحرارة، فإن هذا لا ينتقص من قدرها وكميتها، ولا يمكن القول إنهم ثلاثة؛ لأن الشمس واحدة وإن اختلفت الأسماء والوظائف والصفات. والله أرسل شعاعه وكلمته وروحه إلى مريم فجاء الضوء الذي غمر العالم نورًا وبصيرة والحرارة التي ملأت القلوب بالدفء والمحبة.

إن «الآية ١٧٠ في سورة النساء» ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ

أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾.

هذه الآية كثيرًا ما تستعمل وكأنها تهدر التعاليم المسيحية عن المسيح.. مع أنها في حقيقة الأمر تتضمن إثبات الوحدة في المسيحية ومعنى التثليث.

فالآية تذكر الله وكلمته وروحه، وهي تنادي بالتوحيد وترفض التثليث؛ وهذا بالضبط ما يراه المسيحيون؛ يرون أن الله الآب وكلمته المسيح الابن وروحه القدس الذي أرسله لمريم وحدة واحدة وليس ثلاثة. يؤكده ما جاء في إنجيل يوحنا «فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة: الآب والكلمة والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد».

إن «كلمة» الله «وروحه» وجدت قبل المسيح وبعده فهي أزلية لا ترتبط بعملية الميلاد، فلا يجوز القول إن المسيح جاء فقط مع عملية الميلاد، لأنه وجد قبلها واستمر بعدها فكلمة الله أزلية وروحه روح الله؛ لذلك يؤمن المسيحيون بأزلية المسيح. نكرر أن ما يؤدي إلى بلبلة الأفكار هو فهمهم كلمة الابن بمفهوم جسدي مادي تناسلي، وهذا هو ما لا تؤمن به بل ترفضه المسيحية والإسلام معًا؛ فالعذراء لم يمسسها بشر حسب العقيدتين.

* * *

وقد تعرض عدد من الباحثين من المسيحيين والمسلمين إلى هذه القضية؛ قضية التوحيد ومعنى التثليث، لعل أوفاها ما كتبه الأب إبراهيم لوقا[1] بشرح رأيه، وأيضًا آراء غيره من المفكرين المسلمين ونشير إليها ليس لإقناع أحد إنما نعرض وجهة نظر أكثر إنصافًا للمسيحية مما يشاع عنها ورغبة في التقريب وليس التفرقة أو مساندة طرف على حساب طرف آخر. ونشير هنا لبعض آراء علماء الإسلام في هذه القضية.

---

(١) القمص إبراهيم لوقا: المسيحية في الإسلام، سويسرا، الطبعة الرابعة.

شهادة علماء الإسلام في حقيقة تثليث المسيحية:

تعرّض علماء الإسلام وفلاسفته إلى عقيدة التثليث المسيحية، وأعلنوا أنها غير العقيدة التي حاربها الإسلام، وندد بها القرآن. مثلًا يقول القاضي محمد بن الطيب المعروف بابن الباقلاني في كتابه «الطمس في القواعد الخمس» ما يأتي: «إننا إذا أمعنّا النظر في قول النصارى إن الله تعالى جوهر واحد في ثلاثة أقانيم لا نجد بيننا وبينهم خلافًا إلا في اللفظ فقط فهم يقولون إنه جوهر ولكن لا كالجواهر المخلوقة ويريدون بذلك أنه قائم بذاته».

وحسبنا هنا أن نورد ما ذكره صاحب «المشرع» نقلًا عن نسخة قديمة من كتاب «أصول الدين» لأبي الخير بن الطيب الذي عاصر الإمام أبا حامد الغزالي، وهو: «قال بعض المسيحيين لأبي الخير بن الطيب: إنّ الإنجيل بقوله: امضوا وتلمذوا كل الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس؛ قد أوجب عليكم الاعتقاد بثلاثة آلهة. فأجابه: لا ريب في أنّ لباب الشريعة المسيحية هو الإنجيل».

إن التوراة والقرآن والإنجيل تؤكد جميعها أن المسيح هو كلمة الله وروحه، والمسيحيون يرون أن الله وكلمته وروحه هو الله الواحد الأحد بلا تعدد ولا تركيب، هم الأقانيم الثلاثة في الله الواحد بدون تركيب ولا تعدد.

يصبح السؤال إذن هو: هل يمكن رؤية الله أو الحديث معه؟

هل يقدر الله أن يظهر في الجسد؟

هل يمكن رؤية الله أو الحديث معه؟

تنبيه هام

هذا الفصل يشرح بعض الفكر المسيحي. لا يفرضه على أحد ولا يطالب بقبوله، لكن من حق أي مفكر وأي قارئ أن يعرف كيف يفكر الآخر. ومن حق ذلك الآخر أن يشرح الفكر الذي يؤمن به ويظل يحترم من يخالفه.. وحتى ومن يرفضه.

من هنا فإن الهدف من طرح هذه الأفكار ليس الجدل حولها.. ولا هو محاولة تأكيدها من البعض أو رفضها وتفنيدها من البعض الآخر، إنه مجرد سرد لرؤية أو

رؤى قد توضح ما يرى البعض منا تقديمه، ونحن ندرك تماما أن هناك من يرفضونه ونحترم حقهم في هذا الرفض.

* * *

نعود لنسأل: هل يمكن رؤية الله أو الحديث معه؟

الرد: فيما يعتقد المسيحيون.. نعم من وراء حجاب. ويرون أن الله خاطب العالم من وراء حجاب ذلك الحجاب هو جسد السيد المسيح الذي هو روح الله ثم صعد الجسد المقدس إلى السماء.

وإذ يقتضي الأمر توضيحًا نقول: يؤمن المسيحيون أن الكلام الذي تكلم به المسيح والأفعال والمعجزات التي جاء بها والقدوة التي قدمها في كيف تكون الحياة والعطاء والفداء، وكيف يكون قيامه وصعوده للسماء.. هذه كلها أتاها روح الله الذي كان في جسد يسوع. وهي بذلك أكثر قدسية من تعاليم أرسلها الله لرسله ليقولها للناس، بل تكلم بها سبحانه وتعالى من خلال المسيح. ونحن هنا نعرض ما يراه الفكر المسيحي ليس بهدف إقناع أحد إنما للتوضيح. ومن حق كل شخص وأي شخص أن يرفض ذلك الفكر. المطلوب ليس قبوله إنما قبول مبدأ حق الغير في قبوله.

ونقطة البداية هي أن الله جل جلاله خالق الكل، على كل شيء قدير، وأنه إن أراد أن ينزل إلى البشرية بروحه كما أنزل الوحي على أنبيائه ورسله فلا يوجد من شيء أو شخص أو قوة أو سلطان يمنع ذلك أو تنكره عليه. وهناك سوابق وحالات مهدت لمجيء المسيح تثبت أن الله سبحانه وتعالى يمكن ـ إذا أراد ـ أن يكلم البشر ويظهر لهم في صورة أو أخرى من وراء حجاب أو آخر، وفي هيئة أو أخرى. أصبح السؤال إذن: هل يمكن أن يظهر الله في الجسد؟

- قال علماء المسلمين ـ ومنهم الشيخ محمد متولي الشعراوي ـ بوقوع رؤية الله لمحمد ليلة الإسراء بعيني رأسه على الراجح خلافًا لمن قالوا بقلبه واستدلوا على أن الرؤية وقعت فعلًا لقول ابن الفارض: «وأباح طرفيّ نظرة أملتها... فغدوت معروفًا وكنت مُنكَّرا».

● وورد أيضًا في الحديث قـول النبي صلى الله عليه وسلم: «رأيت ربي في أحسن صورة فوضع يده بين كتفي فأحسست ببرد أنامله بين ثدييّ». وورد في الحديث أيضًا، قال الرسول: «فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون». وفي الحديث أيضًا: «فيأتيهم الله في غير صورته التي يعرفون».

● وهناك الحديث الخاص بالفروض الخمسة لما دخل محمد على ربه وقابل موسى الذي جعله يراجع ربه مرات عديدة لكي يخفض عدد الصلوات من خمسين صلاة إلى خمس صلوات وكان ذلك حقيقيًا وليس تخيلات.

وهناك شهادة القرآن نفسه في «سورة البقرة: ١٤٤» قوله: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾.

● وهناك ما ذكره القرآن عما أبصره موسى في الوادي من نـار وناداه ربه منها قائلا ﴿أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ...﴾، وقد جاءت قصة موسى هذه في ثلاث سور قرآنية: «سورة طه: ٩ - ١٤» و«سورة القصص: ٢٩، ٣٠»، وفي «سورة النمل: ٧ - ٩»، فقد جاء في هذه الآيات القرآنية أن الله ظهر لموسى في شكل نار في عليقة؛ أي شجرة مشتعلة ولم تحترق وقال له أنا ربك، وقد جاء فيهـا ترتيب زمان ومكان مما جعل الله بشهادة القرآن نفسه في حيز القيد في زمن ما وبالمكان المقدس الذي حلّ الله فيه وطلب من موسى أن يخلع نعليه.

هذه ليست خيالات لا وجود لها إلا في مخيلة موسى. منها أيضا حكاية عن موسى لقوله في «سورة الأعراف: آية ١٤٣»: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾.

إعلان الله لذاته: العقائد الإسلامية مبنية على أساس إمكانية الظهور الإلهي وإعلان ذاته لخلائقه العاقلين. وإيمان المسلمين بالوحي اعترافًا جليًا صريحًا بأن الله يظهر ويتجسد ويعلن ذاته كل يوم بصور وأنواع شتى منها الوحي ومنها القرآن الكريم والكتب المنزلة والمعجزات.

ويُرى بنص الكتابات الإسلامية أن ظهور الله في جسد إنساني بشري مستحيل

على جلاله وقدسيته وعظمته؛ لأن الجسد يجوع فيحتاج إلى الطعام ويعطش ويتألم وله حاجات بدنية، وهذا كله لا يليق بالجلال الإلهي، ولا يتفق مع التنزيه المطلق ولا مع عظمته وجلاله وقدرته اللامحدودة... ولعل هذا منطق بشري مقبول.. لكن الفكر المخالف يقوم على أن السؤال الأساسي هو: هل يقدر الله أن يظهر في جسد إنسان؟ إن قلنا إن هذا غير مستحيل عليه وممكن لأنه قادر على كل شيء ـ تصبح هذه القدرة المعترف بها لله ليست مجرد قدرة نظرية بل قدرة فعلية ممكنة، قدرة تظهر بالفعل أيضًا؛ أي عاملة متفاعلة وليست قدرة إمكانية جامدة.

وهنا لا يجوز الحكم بكفر من يقولون إن الله ظهر في حجاب الجسد وظهر في صورة الإنسان في شخص المسيح له المجد. أليس هذا يتفق مع قول القرآن في «سورة الشورى: ٥١» قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾. فالله لا يمكن أن يراه أو يكلمه أحد إلا من وراء حجاب لأن البشرية ضعيفة لا تحتمل حضرة الله والنظر إلى جلاله وعظمته الفائقة.. فلا بد لظهور الله وتقربه لنا وتحدّثه معنا ومعاشرتنا أن يكلمنا من وراء حجاب؛ فهذا الحجاب هو المسيح له المجد وهو الذي يسميه القرآن بأنه ﴿وَكَلِمَتُهُۥ... وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ في «سورة النساء: ١٧١» و«سورة آل عمران: ٣٩، ٤٥».

وإن قلنا إن الله لا يقدر أن يتجسد، لأن هذا مستحيل عليه تعالى إذ يقلل هذا من علو جلاله وعظمته، وإنه كيف يترك السموات والعالم والكون كله وينزل ويحل في جسد إنسان ويأكل ويتحدث؟! فإننا ننسب له بدون قصد العجز ونجعله بكل بساطة محدودًا في دائرة غير الممكن والمستحيل. نجعله إلهًا غير مطلق الحرية، لا يستطيع أن يتعدى حجب الخفاء عاجزًا عن إعلان ذاته... إننا بذلك نجعله جل جلاله أقل حرية وقدرة من مخلوقاته على الظهور والإعلان عن نفسه بالتجسد، إذ إن الملائكة وهى مخلوقات الله تتجسد حسب القرآن وما روته الأحاديث؛ فالملائكة مخلوقات الله تقدر أن تتجسد.. وهى أرواح لطيفة مجردة عن المادة تستطيع أن تظهر بهيئات متعددة ومتنوعة حتى تنظر إليها الناس وتسمعها وتلمسها. جاء في القرآن الكريم في

«سورة مريم: ١٧» قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾، وجاء أيضًا في «سورة ص: ٢٢» في قصة داود لما ظهر له الملكان قوله: ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا ...﴾.

وجاء في الحديث (حديث للبخاري جزء أول ص ٣) قال رسول الله للحارث ابن هشام عن كيفية إتيان الوحي: «أحيانًا يأتيني مثل صلصة الجرس وهو أشده عليّ فيفصم عني وقد وعيت ما قال، وأحيانًا يتمثل لي رجلًا يكلمني فأعي ما قال». وعن زيد بن ثابت قال: «كان إذا نزل الوحي على محمد ثقل لذلك ـ قال ـ ومرة وقع فخذه على فخذي فوالله ما وجدت شيئًا أثقل من فخذه». وفي «البخاري الجزء الثاني ص ١٤٢» يقول محمد: «فإذا الملَك الذي جاء إليّ بحراء، قاعد على كرسي بين السماء والأرض».

إن كان الملاك والشيطان والمادة يمكن أن يتجسد فلماذا ننكر ذلك على خالقها كلها وخالقنا؟

يُبين كلٌّ من القرآن والسنة أن الملاك رغم أنه روح مجردة، عن المادة، يظهر لأعين الناس ويتجسد في صورة الرجل ويتشكل بالحجم الذي يسد ما بين الأفق ويجلس على كرسي، وله فخذ يقع على فخذ فيشعر بثقله زيد بن ثابت، ويمسك جرسًا له صلصة. وحسب ما جاء في سيرة ابن هشام فإن الرسول فور نزول أول السور القرآنية له في غار حراء أنه قال: «فخرجت من الغار حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتًا من السماء يقول: يا محمد أنت رسول الله، وأنا جبريل. قال محمد: فذهبت أرفع رأسي فإذا رجل صافٌّ قدميه في أفق السماء يقول: يا محمد، أنت رسول الله وأنا جبريل. قال محمد: فوقفت أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخر، وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء... فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك. فما زلت واقفًا ما أتقدم أمامي وما أرجع ورائي، حتى بعثتْ خديجة رسلها في طلبي»[1].

عاد محمد إلى بيته بعد هذه التجربة الفريدة وأخبر زوجته بما حدث، فقالت له

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، المجلد الأول، ص ١٢٣.

خديجة: أبشر يا ابن العم واثبت، ثم قامت وانطلقت إلى ورقة ابن عمها، فأخبرته بما حدث، فقال لها ورقة النصراني: والذي نفس ورقة بيده، لئن كنت صدقتيني يا خديجة لقد جاءه الناموس (صاحب سر الملك)... إنه لنبي هذه الأمة.

كذلك الشياطين لها ذات القدرة على التجسد والظهور بهيئات جسمية فقد جاء في حديث «البخاري جزء أول ص ١٤٣» عن أبي هريرة عن النبي أنه «صلى صلاة فقال: إن الشيطان عرض لي فشد عليّ يقطع الصلاة عليّ فأمكنني الله منه فذعتُّه، ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية حتى تصبحوا فتنظروا إليه... وقال الخازن على ما ورد في تفسير «سورة الحشر: ١٦» قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. قال الخازن: «إن الشيطان المسمى الأبيض تصدّى لمحمد وجاءه في صورة الملاك جبريل فدفعه إلى أقصى الهند. وكذلك الإنسان له قوة على تجسد عقله وتشكيل أفكاره وتصوراته فيعلن عقله ويعبره ويظهر في أقوال وأعمال وصناعات واختراعات كثيرة.

والأشياء غير العاقلة لها نفس القدرة على التجسد والظهور بصورة ما. مثلًا الكهرباء تتجسد في أسلاك خاصة بحلولها فيها وتظهر في أعمالها مثل الإنارة أو التدفئة وتحريك الآلات. وكذلك المغناطيسية وهي قوة كامنة محجوبة لا صورة لها ولا لون لها، ولكنها إذا تجسدت في الحديد ظهر فعلها العجيب في جذب الحديد الأمر الذي لم يبد قبل تجسدها. كذلك الطاقة الذرية التي ظهرت بعد أن كانت كامنة دهورًا طويلة ثم اكتشف هذا العنصر بعصر الذرة. فإذا كانت الملائكة والجن والشياطين والإنسان والنار والكهرباء والمغناطيس والطاقة الذرية والجمادات قادرة على الظهور والتشكيل بما يشاء لها البشر سواء بقوتهم الذاتية أو بقوة الله فكيف يكون الله خالقها عاجزًا عن الظهور والإعلان عن نفسه؟! وهل يعقل أن الذي يعطي خلائقه قدرة التجسد والظهور يكون عاجزًا عن الظهور والتجسد والإعلان عن نفسه؟! لذلك فإنه طبقًا لما جاء في الكتاب المقدس المنزل بوحي الله فإن الله ظهر وأعلن عن نفسه للبشرية من وراء حجاب الجسد في شخص يسوع المسيح.

إن التساؤل حول إمكانية أن يظهر الله في صورة بشر، يغضب ويعطش ويحزن مثل البشر، وكيف ذلك؟! ليس صعبًا.

والواقع أن القصد وبيت القصيد في الرسالة المسيحية أن الله لو أراد أن يظهر في صورة ملاك أو قديس أو رسول أو روح فقط لكان ذلك ـ لكنه ظهر في صورة بشر وظهر وعاش كالبشر في أكثر وسائل الرسائل إقناعًا ـ فعل ذلك ليثبت لهم أن البشر بكل ما فيهم من صفات واحتياجات ومتطلبات وأحاسيس وضعف يعرضهم للتجربة.. رغم كل ذلك فإنهم يمكنهم أن يعيشوا حياة طاهرة نقية تسعد بإسعاد الناس، وترى أن العطاء هو قمة الأخذ. أعطاهم القدوة التي هي أبلغ رسالة.

إنها رسالة تقول إن الحياة التي تقوم على الحب والخير والمحبة والعطاء حتى الفداء لا تقتصر على الملائكة والقديسين لكنها أيضًا هدف البشر، ولا يجوز لهم التنصل بحجة أنهم بشر، بل عليهم محاولة الوصول إلى تلك القدوة الحية.

وسبحانه لو أراد أن يظهر لنا في صورة ملاك أو نور أو نار أو من وراء حجاب مادي لفعل ذلك ـ وقد فعله ـ لكنه اختار بعد كل ذلك جسد الإنسان حجابًا لظهوره تكريمًا للإنسان وتكريمًا للجسد الذي خلقه وخلقنا به وعلينا احترامه وصيانته.

هذا ما يعتقده المسيحيون ويستريحون له وللإيمان به مع تمسكهم بإيمانهم بالله الواحد القادر على كل شيء الذي يحب البشر ويهتم بهم والذي ظهر لهم في صورتهم.. وهو على كل شيء قدير.

إن كان ذلك إيمانهم فليكن ذلك لهم، وإن اختار غيرهم عدم الاعتقاد به فذلك أيضًا حقهم... لكلٍّ التمسك بما يعتقد لكن ليس لأيهما اتهام الآخر أو الإساءة إليه بسبب ما يعتقد.

كلمة أخيرة واجبة:

إن ظهور الله في حجاب الجسد يعتبره المسيحيون من أهم رسائل الله للبشر. لقد كان في إمكانه سبحانه أن يظهر في أي صورة أخرى؛ ملاك أو روح أو ما يريد، لكنه اختار حجاب الجسد ليعطي البشر رسالة أساسية حيوية يتجاهلها من يتساءلون كيف يمكن أن يظهر الله بجلاله في صورة بشر مثلنا يعطش ويجوع و... إن ذلك ـ في رأي البعض ـ جاء عن قصد وليس صدفة أو بلا هدف؛ إنه جوهر الرسالة الموجهة للبشرية

تلك هي أن البشر بكل ما بهم من نزعات واحتياجات يمكنهم أن يعيشوا حياة صالحة ـ خالية ما أمكن من الخطيئة والانحراف، حياة مثل البشر يفرح ويحزن ويجوع ويتألم ويتعرض للتجربة ولعداء الآخرين، ومع ذلك لم يشعر بالحقد أو الكراهية أو الرغبة في الانتقام بل نادى بمحبة الأعداء، ومع صفات البشر عاش حياة تقية نقية. وأعطى مثلًا في العطاء لدرجة الفداء الذي وعد به الله إبراهيم عندما أعفاه من تقديم ابنه فداءً ووعد البشرية بإرسال ابن الله ذاته.

كذلك أثبت للبشر أن الموت يأتي لا محالة، لكن يكون بعده قيامة وصعود للسماء للأبرار.

كلم الله البشر من خلال «كلمته» من خلال حياة المسيح الذي عاش كالبشر ليقول لنا إن كل أمور الحياة البشرية مقبولة عندما نفهمها ونقبلها ونحترمها، وهي جزء من الحياة على الأرض. الفرح والحزن والجوع والعطش.. كلها أرادها الله للبشر، وهي لا تمنعه من حياة الخير والعطاء. كانت حياة المسيح خالصة تمامًا لله خالية من كل شر أو سوء أو إثم ومن كل كراهية وغضب أو رغبات دنيوية محددة. كان يعيش كالبشر ليعطيهم رسالة ودروسًا وعظة في كيف تكون الحياة.

كان يشفي ويهدي وينقذ ويعلم بالمواعظ والأقوال، لكن قبل ذلك بالقدوة وأسلوب الحياة التي تقهر التجربة والغواية وتتمسك بالمبادئ والفضيلة.

جاءت حياة المسيح في الجسد لتكسِر شوكةَ الموت وتؤكد أن هناك بعد الموت القيامة والصعود للسماء.. أكدت حياته «القيامة» وحسمت الموقف إذ تصدت لمذاهب «الصديقيون» التي انتشرت في ذلك الوقت بين اليهود وتنادي أنه لا توجد قيامة بعد الموت ولا حساب. وكان قبل ذلك الفكر منقسمًا بين من يؤمنون بالقيامة ومن ينكرونها.

إنها تعني أن الله يحب البشر وخلقهم على صورته ومثاله، وأن كونهم بشرًا لا يعني أنهم في مرتبة دنيا، أو مبرر لهم ارتكاب المعاصي.

يحب البشر ويريد أن يرتقي بصورتهم. لقد خلقهم على صورته، ولا يجوز أن يرتكب الإنسان الخطأ أو الخطيئة ثم يجد لنفسه عذرًا بالقول المنتشر: «نحن بشر».

البشر هم الإنسان.. وهو أكمل ما خلق الله وأسمى ما يمكن أن يكون، وهذا بالضبط ما عبرت عنه معجزة ميلاد المسيح مثل البشر وحياته على الأرض.

بتعبير آخر نقول إن الله أراد أن يأتي في صورة بشر ويعيش حياة البشر بلا خطيئة أو خطأ، حياة لا تشمل إلا الخير والبر والمحبة والنقاء وهداية الناس.. وهو بذلك يقول لنا إن البشر أيضًا ـ وليس فقط الرسل والأنبياء والملائكة ـ عليهم الالتزام بتعاليم الله. إن حياته على الأرض كبشر أقوى رسالة تقول لنا إن البشر يمكن أن يكونوا بشرًا وفي نفس الوقت تكون حياتهم بعيدة عن الشر.. وإن كون الإنسان بشرًا لا يمنعه من حياة البر.

أعطى لنا بذلك مثلًا حيًّا صادقًا ملموسًا عن إمكان تطبيق المبادئ التي أرساها الله لنا وأرسلها برسله وأنبيائه.. وليكون قدوة نتطلع إليها، ونحاول أن نقتدي بها، وسيرة توجه مسيرة الحياة للاتجاه الصحيح.

إن الحياة التي تقوم على الحب والخير والمحبة والعطاء حتى الفداء لا يقتصر على الملائكة والقديسين، لكنها أيضًا هدف البشر، لا يجوز لهم التنصل بحجة أنهم بشر، بل عليهم محاولة الوصول إلى تلك القدوة الحية.

نكرر.. هذا ما يؤمن به المسيحيون وليكن لهم ما يختارون الإيمان به، وهو ما قد لا يؤمن به غيرهم وليكن أيضًا لهم ما يختارون.

إن التعايش السلمي والتعاون لا يتطلب التطابق في الأفكار والمعتقدات إنما أساسه أن يترك كلُّ جانب لغيره حرية الاعتقاد بما يختارون دون التدخل في العلاقة بالخالق أو وسيلة التوجيه إليه، طالما أن ذلك الغير يترك لهم نفس الحرية ونفس الحقوق دون اعتداء من طرف على الآخر.

هذا القبول المتبادل هو وسيلة السلام. أما البحث في عقيدة الآخر عما قد يبرر الانتقاد أو الرفض فإنه سبيل من لا يريدون السلام والآية الكريمة تقول: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾.

نقاط التلاقي والاختلاف

يتضح من دراسة كلٍّ من المسيحية والإسلام أن العلاقة بينهما تتراوح بين أشكال متنوعة. هناك نقاط بينها تشابه تصل أحيانًا درجة التطابق، وهناك أمور بينها تقارب، وهناك أخرى بينها اختلاف.

وتوجد أحيانًا بعض المحاولات لإعطاء تفسيرات تزيد من التقارب أو أخرى تسعى لأن تجعل الاختلاف أكثر حدة.

والدارس يمكن أن يختار التركيز على واحدة من هذه المجموعات دون الأخرى فهناك من يبحثون عن التقارب لتأكيده، وهناك من يبحثون عن الاختلاف لتعميقه، بينما النظرة العلمية الموضوعية هي توضيح التقارب وقبول التباين.

إن محاولات التوفيق مطلوبة.. فالتركيز على الاختلاف وحده خطأ وبتر للحقيقة وأهدافه قد لا تكون سوية. ومحاولات التطابق الكامل وإن كان هدفها نبيلًا إلا أنها تقوم على أساس عدم قبول التعدد فالعبرة في التعايش هي احترام الآخر رغم اختلافه وليس لتطابقه. والإسلام يشرح التلاقي والتواصل والحوار من أجل التعريف، ومن الكُتاب المسلمين من يؤكدون أن منهجه ودعوتـه تدعو إلى توحيد الله جل ثناؤه: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ...﴾، وهو منهج يُعلم الناس الحكمة، ويبصرهم بمعايير رفع الخلاف: وسوف نحاول هنا بيان بعض أوجه التشابه وكذلك بعض أوجه الاختلاف. وقوله: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾.

أولًا: أوجه التقارب:

نشير إلى بعض أوجه التقارب بين العقيدتين بالنسبة للأحداث وكذلك بالنسبة للتعاليم التي أتت بها الآيات. وذلك على النسق التالي:

■ الميلاد:

ـ سبق أن بيّنّا شِبْه التطابق بين مَا جاءت به الكتب المقدسة المسيحية والإسلامية

بالنسبة للبشارة بميلاد السيد المسيح وورد فعل العذراء مريم، وكذلك بالنسبة لمعجزة الميلاد. وكلها حقائق تؤكد عدم تعارض العقيدتين بصورة شاملة تُحتم الصراع والمواجهة وتبرر الحروب والإرهاب.

■ رحلة العائلة المقدسة إلى مصر:

ومن أوجه التلاقي بين المسيحية والإسلام أيضًا قصة رحلة العائلة المقدسة إلى مصر والتي سردها الإنجيل، ورأى البعض أن القرآن الكريم قد أشار إليها وذلك في ضوء ما جاء في الآية «٥٠» من سورة «المؤمنون»: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ[1]﴾، وقد فُسرت الربوة ذات القرار المعين إلى أنها مصر؛ وهذه بالتالي إشارة واضحة إلى رحلة العائلة المقدسة إلى مصر.

■ زكريا وميلاد ابنه:

● تتفق العقيدتان حول زكريا الكاهن الذي رزقه الله بابنه النبي بمعجزة يتفق عليها الكتابان. ورغم أن المسيحيين يطلقون عليه «يوحنا» والمسلمين يسمونه «يحيى»، فالواقعة تتفق في نقاطها الأساسية:

- كان زكريا كبيرًا في السن وزوجته عاقرًا، ولكنه كان يعلم أنه لا يوجد شيء فوق قدرة الله؛ لذلك طلب من الله أن يرزقه بالولد لتكون له ذرية طيبة. جاء ذلك في «سورة آل عمران: ٣٨» ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾.

- وقد استجاب الله لدعاء زكريا فوهبه الله ابنه يحيى... «سورة آل عمران: ٣٩» ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾، وقد أخبره الملاك جبريل بأن الله استمع إلى دعائه واستجاب له ووهبه ابنه يحيى وأن قدرة الله الإعجازية فوق كل تصور بشري، فرغم أن زكريا كبير في السن وأن زوجته عاقر إلا أن قدرة الله تأتي المعجزات.

---

(١) الربوة: وهي المكان العالي، أما ذات القرار المعين: أي ذات أرض وماء نابع من الأرض.انظر: محمد فريد وجدي: المصحف المفسر؛ القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٦م، ص ٤٥٠.

- وهب الله زكريا وزوجته إيشاع ابنهما الوحيد وحدد لهما اسمه ومهمته في الحياة بأنه سوف يكون مصدقًا بكلمة الله ومناديًا لوحدانية الله وأولَ من يؤمن بالسيد المسيح وحدد صفاته بأنه سيكون سيدًا وأنه سيكون حصورًا؛ أي لا يرتكب أي معصية حرمها الله وسيكون نبيًّا. «سورة آل عمران: ٣٩» ﴿... أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

- ولم يصدق زكريا ما سمعه من الملاك من فرط فرحته، ولكن الله يقول للشيء كن فيكون، فيتساءل في «سورة آل عمران: ٤٠»: ﴿رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾.

- وقد طلب زكريا من الله أن تكون له علامة أو آية تدل على حمل امرأته؛ علامة من العلامات المتعارف عليها دنيويًّا، وقد ورد ذلك في «سورة آل عمران: ٤١»: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾.

■ **الفداء:**

تؤمن المسيحية والإسلام ـ واليهودية ـ بفكرة الفداء، وأن إبراهيم أراد أن يقدم ابنه فداءً للبشرية، لكن الله أرسل له شاة يذبحها بدلًا من ابنه. ويرى المسيحيون أن الله أنقذ ابن إبراهيم، وحقق وعده أن يرسل من يكون ابنًا له ـ أي ابنًا لله ـ لفداء العالم، فجاء المسيح الذي جاء من روح الله، وأعطى مثلًا للحياة الصالحة والتحمل والموت والقيامة والرجاء.. والفداء. كما أن النبوءات في اليهودية التي تتحدث عن مجيء المسيح «الفادي» عديدة.

تلتقي الأديان السماوية الثلاثة إذن حول فكرة الفداء واستعداد سيدنا إبراهيم على تقديم ابنه فدية.. لكن الله أعفاه من هذه التضحية. وترى المسيحية أن الله حفظ وعده لإسرائيل وأرسل من هو ابن لله؛ أي روحه وكلمته لإتمام ذلك الفداء.

كذلك هناك اختلاف حول من كان الابن... إسماعيل أو إسحاق.. وهناك رفض يهودي أن السيد المسيح هو الفداء الموعود، لكن الأصل وهو الإيمان بالواقعة التي تقوم على الفداء لا خلاف عليه. والاختلاف مهما كان لا يستدعي العداء.

يضاف إلى ذلك أن الفداء هو أساس عيد الأضحى؛ لذلك فهو عيد يجمع في أساسه بين العقيدتين. كما يجمع بينهما ميلاد السيد المسيح.. وإن كانت الأعياد تجمع رغم الاختلاف، لماذا يحاول البعض التركيز على ما يفرق؟!

■ **الصعود إلى السماء:**

تتفق العقيدتان أن المسيح صعد إلى السماء، وأنه سلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيًّا. كما ورد في «سورة آل عمران:٥٥» ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ...﴾.

وجاء في إنجيل «مَرْقُس: ١٩» أن المسيح كان مع التلاميذ يعلمهم، وأنه بعدما كلمهم ارتفع إلى السماء. وجاء في لوقا «٥١» أنه باركهم وانفرد عنهم وصعد إلى السماء.

■ **المعجزات:**

تؤمن كلا العقيدتين بالمعجزات وتفرق بينها وبين الخزعبلات التي تنتشر أحيانًا في عصور مظلمة. بل إن الإسلام يؤمن بمعجزات المسيح. يروي معجزة الإسراء بقوله: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (سورة الإسراء: ١)، ويرى المسلمون أن الإسراء معجزة وحدث عظيم كانت له مقدمات كثيرة تدل على الحكمة والتدبير الإلهي. ومن عادات القرآن ألا يبدأ بـ«سبحان» إلا في الأمور العظام الجسام التي تتحير عقول البشر في إدراكها أو الإحاطة بأبعادها؛ فيكون قوله سبحانه دليلًا على تنزيه الله تعالى وتعظيمه ووحدانيته، وبالقدرة المطلقة يوجِد سبحانه تلك الأمور المحيرة والعجيبة التي لا يقدر عليها سوى الله الرب الواحد الأحد، ويرى المسيحيون أن حياة السيد المسيح كلها كانت معجزة ميلاده.. وتعاليمه.. ومعاناته.. كذلك كان الصَّلْب والقيامة والصعود كلها أمور الله وحده القادر عليها.

ويؤمن الإسلام بعدد من معجزات المسيح أشرنا إليها ونعيد ذكر بعضها:

أولا: معجزة تحويل الطين إلى طير. وردت هذه المعجزة في القرآن ﴿أَنِّىٓ أَخْلُقُ

﴿لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ (سورة آل عمران آية: ٤٩)، وقيام عيسى بهذه المعجزة بأن يأتي بقطعة من الطين ويشكلها على هيئة الطير وينفخ فيها فتتحول إلى طير يطير في الهواء.

ثانيًا: معجزة شفاء الأكمه والأبرص التي وردت في «سورة آل عمران: ٤٩» ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ﴾. ومن المعلوم أن هذه الأمراض من الأمراض المستعصية، فالأكمه هو الذي ولد أعمى والمولود أعمى لا يرى ولا يمكن شفاؤه، والأبرص لا يعالج جلده رغم التطور التكنولوجي عند علماء الأدوية الآن، ولكن عيسى أعطاه الله الآية أو المعجزة بأن يجعل الأعمى يرى والأبرص يبرأ من مرضه، وعيسى عندما يبرئ الأعمى والأبرص فهو يقوم بمعجزة لأنه يبرئ بالكلمة والدعوة لهما بالشفاء فيتم شفاؤهما بمعجزة من عند الله.

ثالثًا: معجزة عيسى في إحياء الموتى قد وردت في القرآن: ﴿وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ (سورة آل عمران: ٤٩)، فإن الله من عنده جعل عيسى يقوم بإحياء الموتى كمعجزة ليثبت لهم أنه رسول من عند الله.

رابعًا: معجزة عيسى بالإخبار بالغيب بما يأكلون أو يدخرون في بيوتهم، وقد وردت هذه المعجزة في القرآن: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ (سورة آل عمران: ٤٩)، فهذه المعجزة وهي إعلام المسيح ماذا أكلوا في بيوتهم أو ما يدخرونه في منازلهم دون أن يدخل بيوتهم فهذا إعلام بالغيب يشكل معجزة لإثبات أنه رسول موفد من عند الله.

خامسًا: معجزة عيسى بإحضار مائدة من السماء: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (سورة المائدة: ١١٢)، طلب الحواريون المحيطون بعيسى أن ينزل الله من عنده مائدة يأكلون منها حتى يصدقوا أن عيسى رسول من عند الله فيتبعوه ويؤمنوا برسالته وقد ورد بالقرآن: ﴿نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ (سورة المائدة: ١١٣)، ولذلك طلب عيسى ابن مريم

من الله أن ينزل من عنده مائدة من السماء عليها ما يرزق الله به من أنواع المأكولات، وقد ورد بالقرآن: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (سورة المائدة: ١١٤)، وقد أنزل الله المائدة من السماء وقد ورد ذلك في القرآن: ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ (سورة المائدة: ١١٥)، إنزال الله المائدة من السماء أمر لا يقدر عليه إلا الله وحده القادر على كل شيء والذي يقول للشيء كن فيكون فقد ورد في القرآن: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (سورة يس: ٨٢)، ولذلك ورد في «سورة المائدة: ١١٥» التهديد بأنه بعد نزول المائدة من السماء بناء على طلب الحواريين فإن الله سوف ينزل بهم العذاب الأليم إن لم يؤمنوا بذلك.

كل هذه المعجزات التي سبق أن ذكرناها قد وردت في القرآن في سورة آل عمران لكي يثبت بهذه المعجزات والعجائب أنه يملك قوة قاهرة من عند الله حتى يصدقه الناس، وقد ورد في القرآن الكريم ذلك عندما قال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (سورة آل عمران: ٤٩).

* * *

ومما تقدم من المعجزات التي وهبها الله لعيسى لكي يثبت لقومه أنه رسول من عند الله فإن بعض هذه المعجزات التي وردت في القرآن لم ترد في الإنجيل.

ثانيًا: نقاط الاختلاف:

كل ما سبق لا يعني أن أوجه الاختلاف غير موجودة بين العقيدتين.. الاختلاف موجود بين مذاهب العقيدة الواحدة. هناك بعض المذاهب المسيحية تعترض على المكانة الخاصة التي تعطى للعذراء مريم مؤكدين أنها بشر عادي، مع أن بعض المذاهب الأخرى تعطيها مكانة متميزة مع الاعتراف أنها بشر، وهو ما يأتي به الإسلام أيضًا.. الذي يؤكد أن الله «اصطفاها».

وهناك فروق جوهرية بين السُّنة والشيعة وبين الفِرق والطوائف تتعلق بنزول

الوحي والرسالة للنبي «محمد»... وتفضل سيدنا «علي» على كل من سواه.. ومكانة عمر بن الخطاب... إلخ.

وليس غريبًا أن يكون هناك اختلاف بين العقائد. فما هي أبرز نقاط الاختلاف؟

* * *

ساد التصور فترة أن أهم ما يفرق بين المسيحية والإسلام هو قصة التوحيد والتثليث، لكن ذلك أمر قد استقر بعد أن أكدت البحوث والدراسات وكلمات الإنجيل وتعاليم المسيح أن الإيمان المسيحي يقوم على الإيمان بإله واحد لا غيره؛ وهو ما يراه أيضًا بعض المفكرين والعلماء المسلمين الذين يدركون معنى تعدد الأقانيم مع الوحدة.

ويمكن القول إن نقطة الاختلاف الحقيقية تكمن في مسألة الصلب والقيامة. ويحاول البعض التوفيق بين العقيدتين حتى في هذه المسألة الخلافية بالقول: إن الآية القرآنية ﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾ صحيحة تمامًا لأن المسيح روح الله وروح الله لا تموت، وأن الإنجيل يؤكد أن «لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين»، إنما هو كان موت الجسد استكمالًا لرحلة حياة البشر على الأرض التي أراد المسيح السير فيها، وآية قيامه جاءت لتؤكد أن هناك قيامة. وهو قام بالفعل لأنه حسب العقيدتين صعد إلى السماء، وما كان يمكن أن يصعد إن كان مات ذلك الموت البدني الذي يعرفه الإنسان.

إن ميلاد المسيح كان معجزة لم تعرف البشرية مثلها.. ولذلك فإنه من غير المستغرب أو البعيد عن قدرة الله أن يكون صَلبه ودفنه وقيامته، أيضًا بدورها معجزة *أرادها الله ولا رادّ لإرادته.*

إن صَلب المسيح وموته على الصليب أمر خارق مثل ولادته.. لا يتبع المسيرة المعتادة للحياة. وكما أن ولادته كان لها صفة خاصة وصيغة خاصة تختلف عن غيرها فإن الصَّلب أيضًا لا بد أن يُنظر إليه بهذا المفهوم.

لقد كان الصَّلب في تلك المرحلة من التاريخ هو وسيلة العقاب والإعدام.. كان

أمرًا يتصل بالأمور الدنيوية وأسلوب معاقبة المخطئين والمنحرفين. لم يكن للصليب المكانة أو التكريم الذي أصبح له اليوم. بل كان المحكوم عليهم بالصَّلب يصلبون ليتخلص المجتمع من سلوكهم ويموتون ليعيش المجتمع حياة كريمة آمنة.

وعندما حاكم بيلاطس السيد المسيح الذي قبض عليه اليهود وأسلموه إليه، لم يجد به علة وأراد أن يطلق سراحه لكن شيوخ اليهود حرضوا الشعب اليهودي أن يطالب بتقديمه للصَّلب صارخين: «دمه علينا وعلى أولادنا». حدث ذلك وتمت عملية الفداء التي وردت في نبوءات الأنبياء منذ إبراهيم. وأصبح الصليب رمز الفداء والعطاء وتأكيد القيامة والحياة بعد الموت.

* * *

إن الإيمان بمعجزة الميلاد يكمله في المسيحية معجزة الصَّلب و«الموت» والقيامة.

والتوفيق بين هاتين الحقيقتين يرتبط بالإيمان بأن روح الله نزلت إلى مريم وجاء منها، وروح الله لا تموت، أما الجسد فيموت وينتهي، وهذا ما حدث للمسيح إشارة إلى أن الجسد فانٍ لكن الروح سوف تصعد وأنه سوف يموت ويبعث حيًّا.

أصبح الصليب الذي كان رمز الموت ووسيلته رمزَ الحياة وبرهانَ الحياة الأبدية. يؤيد الاتجاه إلى التوفيق بين ذلك قولهم بالآية الكريمة ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ ...﴾ بمعنى أنه «توفي» لكن الله رفعه إليه. وكذلك بالآية: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ بدعوى أنه صعد فلم يمت والموت المقصود هو ذلك الذي على الصليب.

من هنا تأتي الآية ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡ...﴾ لأن موت المسيح على الصليب لم يكن قتلًا إنما كان فراقًا مؤقتًا بين الجسم والروح يعطي بها الله إشارة للناس أن ذلك الموت ليس النهاية بل هو الطريق إلى القيامة لذلك قام المسيح ثم رفع جسده إلى السماء حيث سيلحق به كل إنسان بار حفظ تعاليم الخُلق والدين. وكما أن ولادته كانت غير عادية ولا يمكن تفسيرها بالفكر البشري.. تحتاج لفهم

خاص، فإن موته على الصليب أيضًا أمر غير عادي ويحتاج لفهم خاص. إن المسألة في نهاية الأمر مسألة إيمان وتقبل الروحانيات بالنفس والقلب والإيمان، وكما أن ولادته تختلف عن ولادة البشر فإن «موته» أيضًا له معنى وأبعاد خاصة مختلفة.

* * *

على أية حال، ليس من الضروري أن يقبل المسيحي ما جاء به الإسلام ولا حتى أغلبه. ولا أن يقبل المسلم ما جاءت به المسيحية فالاختلافات موجودة ويمكن أن تستمر موجودة ولا داعي لفرض التقارب في كل المجالات قسرًا. المهم هو ألا يصبح الاختلاف سببًا للعداء، بل يظل هناك اختلافات نعترف بها ونقبلها.. لكنها لا تصبح مبررًا للصراع.

المهم هو أن يكون لكلٍّ الحق في الاختلاف، وأن يحترم الكل ذلك الاختلاف، وهذا أكثر نبلًا من ضرورة التوفيق والتوافق الذي يقوم على أساس أني أحترمك فقط إذا قلتَ مثلي تمامًا مع أن المقصود هو قبول التباين واحترام الآخر رغم الاختلاف.

* * *

وهناك القصص الكثيرة المشتركة بين الأديان الإبراهيمية الثلاثة مثل قصة سيدنا موسى، وسيدنا يوسف، وسيدنا إبراهيم، وقصة لوط، وقصة الملك داود وغيرها كثير.

ومن المبادئ المشتركة:

التوحيد:

جاء بالإنجيل: «للرب إلهك نسجد وإياه وحده نعبد» (إنجيل متّى ٣ : ٤).

ويقول القرآن الكريم: ﴿... ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾.

السلام:

﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (سورة الأنفال:

٦١) والسلام من أسماء الله الحسنى، ومن أوامره: أفشوا السلام. وغير ذلك كثير. (انظر الجزء الأول).

«وأي بيت دخلتموه فألقوا على أهله سلامًا» (إنجيل متّى: ١٠)، وغير ذلك كثير. (انظر الجزء الأول).

الدعوة للعمل:

﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ (سورة التوبة: ١٠٥).

وجاء في إنجيل متّى: «ليروا أعمالكم الحسنة فيمجدوا أباكم الذي في السماوات».

و«أرني إيمانك بدون أعمالك وأنا أريك بأعمالي إيماني» رسالة يعقوب (٢: ١٨).

العدل:

جاء في الإنجيل، قال المسيح: «لا تحكموا حسب المظاهر بل احكموا حكمًا عادلًا» (يوحنا: ٧).

وجاء في القرآن: ﴿...وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ...﴾ (النساء: ٥٨).

البر والرحمة:

قال السيد المسيح: «من سقى أخاه كأس ماء بارد لا يضيع أجره، وإن الديانة النقية عند الله الآب هي مساندة اليتامى والأرامل وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس في العالم».

من أقوال السيد المسيح لتلاميذه أنه: «في يوم الحساب يجمع الله الأبرار إلى الملكوت ويقول لهم: «لأني جعت فأطعمتموني، عطشت فسقيتموني، كنت غريبًا فآويتموني، وعريانًا فكسوتموني، مريضًا فزرتموني، محبوسًا فأتيتم إليّ.. فيجيبه الأبرار حينئذ قائلين: يا رب، متى رأيناك جائعًا فأطعمناك أو عطشانًا فسقيناك، ومتى رأيناك غريبًا فآويناك أو عريانًا فكسوناك، ومتى رأيناك مريضًا أو محبوسًا فأتينا

إليك؟! فيجيب الملك ويقول لهم: الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم» (متّى: ٢٥).

وجاء في صحيح مسلم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مَرضت فلم تعدني. قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟! قال: أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟! يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني. قال: يا رب وكيف أُطعمك وأنت رب العالمين؟! قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟! يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني. قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟! قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي».

وجاء في «سورة البقرة: ١٧٧» ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ ...﴾.

تحرير العبيد:

قال المسيح إن رسالته بشرى للمساكين وشفاء المنكسرين... وإطلاق المأسورين وحرية المنسحقين (العبيد). (لوقا: ٤).

ومن أجمل أقوال عمر بن الخطاب: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا».

النهي عن الغضب:

من أقوال الرسول: «ألا وإن الغضب جمرة في قلب ابن آدم؛ أما رأيتم إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه؟! فمن أحس بشيء من ذلك فليلصق بالأرض».

وجاء في الإنجيل: «لا تغرب الشمس على غضبكم». (أفسس: ٤ ـ ٦).

ومن أقوال الرسول يعقوب: «ليكن كل إنسان متسرعًا في الاستماع مبطئًا في التكلم مبطئًا في الغضب».

الحساب.. والدينونة:

إن الحساب والدينونة له وحده وليس من حق البشر إدانة بعضهم بعضًا. جاء في الإنجيل «لا تدينوا كي لا تدانوا»، «لأنه بالكيل الذى تكيلون به يكال لكم» (متّى ٧: ١)، «أنت بلا عذر... كل من يدين. لأنك في ما تدين غيرك تحكم على نفسك. لأنك أنت الذي تدين تفعل تلك الأمور بعينها».(رومية ٢:١).

وجاء في القرآن الكريم: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾، والله الديان من أسمائه الحسنى.

وجاء في «سورة الحج: ١٧» ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾.

وتشترك العقيدتان في الإيمان بالوصايا العشر:

قال عنها المسيح: «من نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلّم الناس هكذا، يدعى أصغر في ملكوت السماوات، وأما من عمل وعلّم فهذا يدعى عظيمًا في ملكوت السماوات». وجاءت في القرآن آيات لها نفس المعنى[1].

وهناك دراسة تبين آيات من الإنجيل وما يقابلها في آيات القرآن في المعنى العام وهو أمر جدير بالتسجيل[2].

* * *

إن التعاليم المشتركة كثيرة. كلها تمنع التفرقة وتدعو للخير والمحبة وليس للصراع وفي ذلك يقول الشيخ فوزي الزفزاف: «إن الديانات السماوية كلها متفقة

---

(١) انظر: الوصايا العشر في المرفقات. ملحق رقم (٥).

(٢) نتيجة دراسة عن آيات في الإنجيل والقرآن تقوم على معانٍ مشتركة. في ملحق رقم (٦).

المصدر والأصول، وبينها من التآخي والترابط والتماسك الكثير... بحيث لا تشذ لبنة فيها عن سائر اللبنات، يؤكد ذلك حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة علات ـ أولاد الرجل من أمهات متفرقة ـ أمهاتهم شتى ودينهم واحد».

وبناء على ذلك فإن الفطرة السليمة تدعو أتباع الديانات السماوية إلى أن يكونوا مظهرًا لهذا التآخي والترابط والتماسك، فلا يحدث بينهم من الخلاف والشقاق، والفرقة والخصام ما تنكره طبيعة الدين بمعناه العام، لأن الدين السماوي بطبيعته جاء لصالح الإنسان، وإنقاذ البشرية من الظلمات إلى النور، وإلى هداية الناس إلى طريق رب العالمين.

فإذا كان المبدأ واحدًا وهو النزول من عند الله تعالى، وإذا كانت النهاية واحدة وهي هداية الناس إلى الصراط المستقيم فكيف يحدث الخلاف والتنافر والتباعد والقطيعة؟!

قولٌ صادق أمين يؤيد رسالة السلام والمحبة والاحترام المتبادل.

وإلهنا الواحد الذي نعبده جميعًا، مِلِك السلام، يهدي قلوبنا إلى ما أرسل لنا من مبادئ نبيلة سامية.. إنه على كل شيء قدير.

مصر.. المسيحية ـ الإسلام

نختتم حديثنا بموضوع له أهمية تاريخية وطنية ودينية وعاطفية كبيرة؛ ذلك هو مصر مع المسيحية والإسلام.

وإن كان الإسلام أعطى المسيحيين مكانة كريمة حسب ما أوضحنا، فإنه أعطى مصر ومواطنيها الأقباط مكانة متميزة، جاءت في الآيات والأحاديث وروايات التاريخ. فقد ورد ذكر مصر في القرآن الكريم حوالي ٣٠ مرة كما تردد في الكتاب المقدس حوالي مائة مرة.

ولعل هذا يوضح مكانة مصر خاصة في كل من المسيحية والإسلام وهي مكانة تفرض على أبنائها التواصل والتعايش وصلابة القربى والمحبة.

* * *

جاء دخول المسيحية إلى مصر على يد مَرْقُس الرسول[1]. والذي حضر إلى الإسكندرية حوالي عام ٤٥م، ولم يكن يحمل سلاحًا ولا عتادًا ولا مالًا؛ لكنه حمل رسالة سماوية نبيلة هي الرسالة التي جاء بها السيد المسيح. بدأت المسيحية في الإسكندرية ومنها دخلت مصر وإفريقيا. تجمَّع حوله ـ وبالأحرى حول رسالته ـ المئات الذين كانوا يجتمعون في كهوف ما زال يُعتز بها في تاريخ الإسكندرية. وكانت هذه الكهوف عبارة عن مخابئ يهربون إليها خوفًا من بطش الرومان. ومن الإسكندرية انتشرت رسالة مَرْقُس الرسول في ربوع مصر والتي كان بها العديد من الديانات ما بين المصرية القديمة والإغريقية والعبادة الرومانية والديانة اليهودية؛ مما يعني أن الديانة المسيحية كان عليها أن تواجه كل تلك المعتقدات، وتحمّل المصريون ـ أي الأقباط ـ بطش قوى بيزنطة التي حاربت تلك «الديانة الجديدة الغريبة» التي تنادي بالمساواة والرحمة والتسامح وتحرير العبيد، وكلها أمور تهدد كيان الإمبراطورية... فاضطهدوا المسيحيين أينما وجدوا على أراضي إمبراطوريتها.. ومن بينها مصر.

وبذلك فإن الكنيسة القبطية أقدم كنائس العالم. أسسها القديس مَرْقُس في الإسكندرية حوالي سنة ٤٥م، ولم تكن كنيسة روما قد أنشئت بعد على يد بولس الرسول. وظل أهل مصر من المسيحيين يعانون من حكم الدولة الرومانية حتى بعد أن تحولت الإمبراطورية البيزنطية إلى المسيحية سنة ٣١٣م عندما أصدر الإمبراطور قسطنطين إعلان ميلانو الذي ينص على أنها أصبحت الديانة الرسمية لإمبراطوريته؛ إذ لم ينته الصراع وقام تنافس بين أساقفة روما، والإسكندرية، لكن الكنيسة لم تسمح لأحد أن يتسلط عليها، فقد ظلت مصرية خالصة قبطية مخلصة رغم ما تعرضت له من مشاكل، وأصبح صمودها جزءًا من تراث مصر وتاريخها.

---

(١) محمود مدحت: مصر القبطية، تقديم يونان لبيب رزق، مراجعة: سليمان نسيم (القاهرة: مركز الدراسات والمعلومات القانونية لحقوق الإنسان، ١٩٩٨م) ط١، ص ٣١.

إن تاريخ الكنيسة القبطية المصرية ـ الذي كاد يقرب من ألفي عام ـ جزء من تراث مصر يعتز به كل مصري يحب وطنه، حافظت خلاله على تقاليدها وتعاليمها ومواقفها الوطنية، كُتب عنه الكثير بعدة لغات منها: كتابات السندباد المصري حسن فوزي الذي يخصص لذلك التاريخ قسمًا هامًا. وكان في مصر يومًا وزير «للمعارف»؛ أي التعليم، اسمه «علي باشا الشمسي» عرف باعتزازه بتاريخ الكنيسة المصرية، وأن ضيوف مصر والشعراء إليها كانوا يسعون لمكتبه للتعرف على ذلك الجزء من التاريخ الوطني لمصر.

ويسجل الدكتور طبيب أمين مكرم عبيد في كتابه «أثر الأقباط على الحضارة» جزءًا من ذلك التاريخ، كما تسرده بإسهاب الأستاذة إيزيس المصري في مجلدها «أقباط مصر» الذي تُرجم لأكثر من لغة.. هذه وكثير غيرها من كتب وأبحاث تُدرَس وتُدرّس في بعض المعاهد والجامعات حول العالم كجزء من تراث الإنسانية.

إنها الكنيسة المصرية التي هي بالفعل جزء من التراث العالمي، ولا يمكن إلا أن تكون محل تقدير واحترام كل مصري.

وتحتل رحلة العائلة المقدسة إلى مصر مكانة هامة في الفكر المسيحي والتاريخ المصري. وهي رحلة جاء ذكرها في كل من الإنجيل والقرآن الكريم، وكتبت حولها الأبحاث والدراسات.

* * *

عاشت «الأسرة المقدسة» في مصر ثلاث سنوات ونصف حيث أقامت في أماكن عديدة، اهتمت بها الحكومة المصرية، وقامت مع الكنيسة بتتبع هذه الرحلة والأماكن التي باركتها العائلة المقدسة وهي اليوم مزارات لكل ضيوف مصر من جميع الأديان، وتحظى مصر بمكانة خاصة في التاريخ المسيحي. ومن أشهر آيات الكتاب المقدس عن مصر آية «مبارك شعب مصر»، «من مصر دعوت ابني»، سفر التكوين يقول: «كانت جميلة كجنة الرب كأرض مصر».

وكان عبد الله بن عمرو بن العاص من أشهر المعجبين بمصر حيث قال فيها: «من أراد أن ينظر إلى الفردوس أو ينظر إلى مثلها في الدنيا فلينظر إلى أرض مصر حين

تخضر زروعها ويزهر ربيعها»... وقال رسول الله: «خير أجنادكم أهل الغرب منكم، فاتقوا الله في القبط لا تأكلوهم أكل الخضر».

وحينما فتح عمرو مصر أحسن إلى أهلها، وكان تعامله مع المصريين أثناء ولايته مثار إعجابهم، وبعد نقله عاصمة البلاد من الإسكندرية إلى الفسطاط ألقى ابن العاص خطبة الجمعة ذات يوم وبحسب ما أورده ابن الحكم: قام عمرو بن العاص على المنبر ووعظ الناس وأمرهم ونهاهم ثم قال لهم: استوصوا بمن جاورتموهم من القبط خيرًا... فقد حدثني عُمرُ أميرُ المؤمنين أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله سيفتح عليكم بعدي مصر، فاستوصوا بقبطها خيرًا؛ فإن لكم منهم صهرًا وذمة». فعفوا أيديكم وفروجكم وغضوا أبصاركم...

هذا وقد ظلت اللغة القبطية هي اللغة الرسمية للبلاد سنوات طويلة، ثم جاء المأمون مصر لمواجهة «ثورة القبط»؛ أي ثورة المصريين بكل معتقداتهم، اعتراضًا على تسلط الحكام.

نزل المأمون الشوارع ليتقصى الحقائق ويستمع للشكاوى لكنه وجد نفسه يتحدث مع رعاياه من خلال المترجمين فقد كان الشعب يتحدث لغته القبطية وهو أمر أزعجه كثيرًا فأمر أن يتعلموا اللغة العربية التي أصبحت اللغة الرسمية في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان نهاية القرن السابع للميلاد، واستمر استخدام القبطية إلى جانبها حتى العصر العباسي عندما أصبحت لغة الدواوين، ولم تصبح العربية لغة الشعب إلا بعد مائتي عام. وظلت اللغةُ القبطية المستعملة في صلوات الكنيسة إلى أن أُدخلت اللغةُ العربية أيضًا في الصلوات حتى يفهمها من لا يتكلمون المصرية القبطية.. وكما أصبح معروفًا فإن كلمة «قبطي» تعني أساسًا «مصري» ولا تقتصر على ديانة معينة.

وقد تفاوتت مكانة الأقباط المسيحيين صعودًا وهبوطًا سواء في ظل الإمبراطورية البيزنطية وحكم روما التي سيطرت على مصر سنة ٣٠ قبل الميلاد بعد حكم الفراعنة الذي استمر أكثر من ثلاثة آلاف عام. كان الرومان يعتبرون مصر إقليمًا رومانيًّا لا يتمتع فيه الأقباط بأي كيان سياسي ولا توجد حكومة مصرية، وعندما تمكن عمرو بن العاص من هزيمة الروم البيزنطيين انتقلت مصر إلى سلطة الدولة العربية الإسلامية

وعاصمتها المدينة بنفس الأحوال التي سادت أيام الرومان[1]، وانتقلت عاصمة الدولة الإسلامية من المدينة إلى دمشق في عهد الدولة الأموية، ثم إلى بغداد أيام العباسيين، ثم خضعت مصر للأسرة الطولونية، ثم الإخشيديين، ثم الفاطميين، وبعدهم للدولة الأيوبية إلى أن استولى المماليك على الحكم.

ظل أفراد الشعب المصري القبطي طوال هذه الفترة ـ مسيحيين ومسلمين ـ ينحصر دورهم في دفع الضرائب وزراعة الأرض، لا يشاركون في الحكم ولا في الجيش. وبعد أن ظلت مصر تحت سيطرة الدولة العثمانية ثلاثمائة سنة، جاء محمد علي ليستقل بها عن العثمانيين ويطالب لها بهوية وقومية، وأصبح المصريون؛ أي الأقباط، مواطنين في هذه الدولة الجديدة ـ وكان قد بلغ عددهم آنذاك ستة ملايين شخص لهم حق دخول الجيش وتولي المناصب. وبدأ محمد علي مرحلة جديدة تمامًا في مصر؛ لذلك يطلق عليه مؤسس مصر الحديثة.. أخرجها من الإمبراطورية العثمانية وساوى بين المصريين جميعًا.

لم يفرق محمد علي بين المصريين؛ مسلمين كانوا أو مسيحيين، ويقال إن قبطيًّا مسيحيًّا وهو جرجس الجوهري كان ضمن من ساعد محمد علي باشا على تولي حكم مصر سنة ١٨٠٥. وكان محمد علي قد استعان بالأقباط ضمن مستشاريه وعيّنهم في مناصب حُرِم منها المصريون زمنًا طويلًا، وسمح للأقباط ببناء كل ما يلزمهم من كنائس، وألغى أي قيد يتعلق بممارسة شعائرهم.

واستمرت الأسرة العلوية في معاملة المصريين كمواطنين بالتساوي، ويذكر لسلالته -خاصة الخديوي سعيد ـ مواقف عادلة تقوم على المساواة بين المصريين جميعًا منها: إلغاء الجزية، ودخول الأقباط الجيش والقضاء، والترشيح في الانتخابات فنشر مناخًا من التعاون والإخاء ساهم فيما حققته مصر من تقدم.

وجاءت تعاليم الطهطاوي الذي لم يفكر في أمة إسلامية أو عربية إنما في أمة مصرية لا تتحدد على أساس الدين أو اللغة إنما على أساس الأرض والموطن، ويمكن بذلك اعتباره رائد مبدأ المواطنة، التي أكدت المساواة بين المصريين جميعًا

---

(١) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها. (ليدن: هولندا: مطبعة بريل، ١٩٢٠م).

على اختلاف عقائدهم الدينية وتؤكد الانتماء للوطن. ثم كانت ثورة ١٩١٩ وزعامة سعد زغلول وسياساته دعوة جمعت بين المصريين جميعًا الذين هم عنصر واحد وإن كان مختلف الديانات، وأصبح شعار مصر «الدين لله والوطن للجميع». كان الحديث في تلك الفترة عن وحدة «عنصري الأمة» وهو تعبير - في تقديري - خاطئ غير دقيق. مصر ليس بها عنصران إنما شعب واحد من عنصر واحد، ليس هناك أي فروق عنصرية إثنية أو عِرقية.. بعضهم يعتنق المسيحية وبعضهم يعتنق الإسلام.

أقباط المسيحيين قبِلوا رسالة القديس مَرْقُس وظلوا مصريين قبل دخول المسيحية مصر وبعدها. والأقباط المسلمون قبِلوا رسالة عمرو بن العاص ودخلوا الإسلام وهم مصريون قبل الفتح الإسلامي وبعده. وعمرو بن العاص لم يأت معه بشعب من جزيرة العرب أصبحوا المصريين المسلمين.. جاء معه فقط ٤٠٠٠ محارب.

في سنة ١٩٢٣ صدر الدستور الذي يؤكد أن مصر دولة ذات سيادة ويضمن حرية العقيدة والرأي وأن السلطات مصدرها الأمة، وأنه لا تمييز بين المصريين بسبب اللغة أو الأصل أو الدين. تُرجمت النصوص إلى واقع جمع بين المصريين جميعًا بصورة علينا أن نستعيدها تعبيرًا عن هذه الوحدة وعن استقرار المسيحية والإسلام في مصر، واستقلال الوطن من الأجنبي المستعمر في وطن حر مستقل عن كل مستعمر أيًّا كانت جنسيته أو عقيدته.

* * *

والفتح الإسلامي لمصر له تاريخ يستحق الإشارة إليه وهو تاريخ تحوُّل مصر من الحكم الروماني والمسيحية إلى العروبة والإسلام، سجلت فيه كتب كثيرة نشير إليه بإيجاز:

كان عمرو بن العاص أول من فكّر في فتح مصر، حيث إنه قد زارها عدة مرات للتجارة قبل الإسلام، مما أمكنه من التعرف على ثرواتها وطرقها وأحوالها وأعجب بها حسب ما ذكرنا.

عندما بدأت الفتوحات الإسلامية وخرجت جيوش العرب شمالًا إلى آسيا الصغرى لم يكن غزو مصر ضمن خطة عمرو بن العاص الذي اتجه إلى الشام واستقر

في فلسطين. ذهب إليه عمر بن الخطاب عندما طلب بطريرك المدينة المقدسة أن يأتي عمر بن الخطاب بنفسه ليتسلم مفاتيح مدينة القدس. عندئذ اقترح ابن العاص عليه فتح مصر وحاول إقناعه بسرد مزايا مصر وتراثها لكن عمر بن الخطاب لم يقبل خوفًا على الجيوش أن تزداد إرهاقًا. وبعد محاولات كثيرة طلب ابن الخطاب أن يعطيه ابن العاص فرصة للتفكير وأنه سوف يخطره بقراره. وكما يذكر ابن عبد الحكم في كتابه «فتوح مصر وأخبارها» قال له: «سر وأنا مستخير الله في مسيرك وسيأتيك كتابي سريعًا إن شاء الله، فإذا أدركك كتابي آمرك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخلها... وإن أنت دخلتها قبل أن يأتيك كتابي فامضِ لوجهك».

سار عمرو بن العاص في جوف الليل ولم يشعر به أحد من الناس، وكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص أن ينصرف بمن معه من المسلمين، فأدرك الكتاب عَمْرًا وهو في رفح، فتخوف عمرو إن هو أخذ الكتاب وفتحه أن يجد فيه أمر الانصراف.. فلم يأخذ الكتاب من الرسول ودافعه حتى نزل قرية بين رفح والعريش فقال عمرو لمن معه: ألستم تعلمون أن هذه القرية من مصر؟ فقالوا: بلى، وهكذا تحايل عمرو فلم يقرأ خطاب الخليفة إلا بعد تأكده من الوصول إلى مصر، حتى لا يضطر إلى العدول عن فتحه للبلاد. وبهذه الحيلة تمكن عمرو بن العاص من استكمال سيره نحو مصر لفتحها.

اتجه من العريش إلى الفرما التي حاصرها مدة شهر حتى فتحت أبوابها في ٢ يناير ٦٤٠م، وقد اتفق المؤرخون العرب على أن القبط؛ أي المصريين، ساعدوا العرب في تحقيق هذا النصر. بعد ذلك تقدم عمرو ناحية مدينة بلبيس بشرقي الدلتا فوصل إليها في ١٦ يناير ٦٤٠م فحاصرها شهرًا وتمكن من فتحها، ثم بلغ قرية «أم دنين» التي عرفت بـ«المقس» وهي قرية تقع على النيل شمال حصن بابليون، وموقعها الحالي عند حديقة الأزبكية وما حولها.

وهناك شن الروم الذين تحصنوا ببابليون عدة هجمات على المسلمين وإزاء هذا طلب عمرو بن العاص الإمدادات من عمر بن الخطاب فأرسل إليه في يونيو ٦٤٠م أربعة آلاف رجل. وتذكر بعض المراجع أن جموع الأقباط لم تشترك في الحرب

مع الدولة الرومانية، بل يقال إنهم رحَّبوا بالغزو الإسلامي لِما وصلهم من شائعات بأنه دين يحترم المسيحية ويدعو للمساواة وهو ما أثبته عمرو بن العاص في أول خطاب لهم.

بهذه القوات تمكن عمرو بن العاص من ملاقاة الروم خارج حصن بابليون عند مدينة «عين شمس» وهزمهم شر هزيمة واتجه بعد ذلك لمحاصرة جيوش الروم المتبقية داخل حصن بابليون لمدة سبعة أشهر مما دفع بالمقوقس حاكم مصر لطلب الصلح، إلا أن ذلك أغضب هرقل إمبراطور الروم الذي طلب منه الاستمرار في القتال، لكن ما لبث أن توفي هرقل، وتمكن المسلمون من فتح حصن بابليون ١٦ إبريل ٦٤١م. وهنا اتجه عمرو إلى الإسكندرية التي حاصرها لعدة أشهر ثم وقع اتفاقًا مع الروم على تسليم المدينة بدون قتال ٨ نوفمبر ٦٤١م ورحيلهم عنها، فدخلها عمرو في ٦٤٢م وكتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب يصف له المدينة فقال: «أما بعد، فإني فتحت مدينة لا أصف ما فيها غير أني أصبت فيها أربعة آلاف بنية بأربعة آلاف حمام وأربعين ألف يهودي عليهم الجزية وأربعمائة ملهى للملوك». ويضيف السيوطي[١] نقلًا عن ابن عبد الحكم أن عمرو بن العاص لما فتح الإسكندرية وجد فيها اثني عشر ألف بقال يبيعون البقل (الفول الأخضر). بعد ذلك حاولت الروم القيام بهجوم مضاد ليستعيدوا الإسكندرية إلا أن محاولاتهم باءت بالفشل. وفي نحو عامين أصبحت مصر كلها جزءًا من الإمبراطورية الإسلامية، وأعلن العرب ضمانهم لحرية العقيدة لأهل الكتاب من المسيحيين واليهود، وبعد ذهاب الروم جاءوا بالأسقف القبطي بنيامين الأول من مخبئه وسلموا إليه كنائس الإسكندرية وأخذ يعمل بلا كلل لتقوية الكنيسة. كما سمح للمصريين بتأسيس الأديرة والكنائس التي هدمت قبل الفتح الإسلامي[٢]. كما أمّن عمرو بن العاص الأقباط على أرضهم وأموالهم؛ بحيث لا يتعرض لهم في شيء منها.

---

(١) حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، وضع حواشيه خليل المنصور. (بيروت ـ لبنان: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م ج١ ط١، ص ٩٩.

(٢) قاسم عبده قاسم: أهل الذمة في مصر من الفتح الإسلامي حتى نهاية المماليك. (القاهرة: دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٣م) ص ٢٩.

ويكتب ابن عبد الحكم: وأحصوا عدد القبط يومئذ، وبخاصة من بلغ منهم الجزية وفُرض عليه الديناران (لم يكن يفرض على الشيخ والفاني ولا الصغير والنساء) فكان جميع من أحصي يومئذ بمصر، أعلاها وأسفلها، فقط من استحقت عليه الجزية أكثر من ستة ملايين نفس، فكانت فريضتهم يومئذ ١٢ مليونًا كل سنة.

آيات قرآنية وأحاديث في وصف مصر:

ورد ذكر مصر في القرآن الكريم في أكثر من موضع منها خمسة بصريح اللفظ، والباقي ما دلت عليه القرائن والتفاسير مثلما جاء في قوله تعالى في «سورة البقرة: ٦١» ﴿... ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ...﴾.

وفي «سورة يونس: ٨٧» ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا ...﴾.

وفي «سورة يوسف: ٢١» ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ...﴾.

وجاء أيضًا في «سورة يوسف: ٩٩» ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾.

وفي «سورة الزخرف: ٥١» ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾.

وهناك العديد من الآيات الأخرى.

وقد وردت مصر كذلك في أحاديث للرسول منها ما ذُكر بصريح اللفظ، ومنها بالكناية، فمن هذه الأحاديث التي وردت بصريح اللفظ ما رواه مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم:

- «إنكم ستفتحون مصر، وهي أرض يسمى فيها القيراط، فإذا اقتحمتموها فأحسنوا إلى أهلها؛ فإن لهم ذمة ورحمًا».
- «الله الله في قبط مصر؛ فإنكم ستظهرون عليهم ويكونون لكم عدة وأعوانًا في سبيل الله».

- «إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندًا كثيفًا؛ فذلك الجند خير أجناد الأرض. فقال له أبو بكر: ولم يا رسول الله؟ قال النبي: لأنهم وأزواجهم في رباط إلى يوم القيامة».

كما أشار إليها في أقواله:

- «الله في أهل الذمة أهل المدرة والسوداء، السحم الجعاد، فإن لهم نسبًا وصهرًا. والمقصود بالنسب هنا أن أم إسماعيل عليه الصلاة والسلام من أهل مصر؛ وهي السيدة هاجر أم العرب من قرية أما الفرما «في شمال سيناء»، أما بالنسبة لكلمة الصهر فهي تعني أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد صاهرهم؛ أي أهل مصر، حيث تزوج من السيدة ماريا القبطية التي أنجبت له آخر أبنائه؛ إبراهيم.
- «إنكم ستكونون أجنادًا وإن خير أجنادكم أهل الغرب منكم فاتقوا الله في القبط لا تأكلوهم أكل الخضر».
- «من ظلم معاهدًا أو انتقصه حقًا أو كلَّفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس فيه فأنا حجيجه يوم القيامة».

موقف الإسلام من أهل الذمة وبناء الكنائس:

التزم عمرو بن العاص عند فتح مصر بمبدأ حرية العقيدة، وكانت العدالة تميز سلوكه تجاه أهل الذمة جميعًا، ويرى «ترتون» «أ. س»[1] «أن أحوال القبط آنذاك (أي أيام الفتح الإسلامي لمصر) كانت خيرًا منها تحت حكم البيزنطيين». دعى عمرو ابن العاص بطريرك الأقباط بنيامين وأمّنه على نفسه وكنيسته، فقام البطريرك ببناء الكنائس والأديرة وأرسل مطرانًا إلى الحبشة وأسس كنيسة للقديس مكاريوس في وادي النطرون[2] كما أعطى للمقوقس مساحة من بركة الجيش لتكون جباية للقبط، وبنيت كنيسة مار مَرْقُس بالإسكندرية فيما بين عامي ٣٩ ـ ٥٠ هـ. وكانت أول كنيسة

(١) أهل الذمة في الإسلام، ترجمة: حسن حبشي. (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م) ص ٤١.

(٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، مصدر سابق.

بنيت في الفسطاط كما يشير المقريزي[1] في حارة عرفت بحارة الروم في ولاية مَسْلمة بن مخلد فيما بين عام ٤٧ ـ ٦٨ هـ.

أضف إلى هذا أن أهل الذمة في مصر قد تُركت لهم حرية تنظيم جماعاتهم داخليًّا، حيث كان البطريرك الذي يعين بالانتخاب من شعبه يتوجه بعد رسامته من الإسكندرية إلى العاصمة برفقة الأساقفة لمقابلة الوالي بوصفه ممثل الخليفة في مصر مما يدل على أن البطريرك اعتبر من موظفي الدولة. إلا أن ذلك الإجراء[2] لم يكن سوى مسألة شكلية بحتة إذ لم يثبت أن أحد الولاة قد تدخل في تعيين أو انتخاب أحد البطاركة إلا إذا طلب منه النصارى ذلك.

ومن الأدلة أيضًا التي تبين موقف الإسلام من احترام المسيحيين وعدم المساس بكنائسهم وحقهم في العبادة أنه حدث على عهد الخليفة «المعتز» العباسي أن أرسل البطريرك شنودة (وهو البطريرك الخامس والخمسون من بطاركة الكرسي السكندري) بعض الرهبان يَشْكون للخليفة العباسي في بغداد من أن الكنائس قد تهدمت نتيجة تعسف «أحمد بن المدبر» عامل الخراج. فكتب المعتز مرسومًا بإعادة تعميرها، ولكنه مات قبل التوقيع عليه فنفذه خليفته «المستعين بالله»، ويفهم من هذه القصة التي أوردها ساويرس بن المقفع أن الأمر قد وُضع فعلًا موضع التنفيذ[3].

كما أن المسلمين قد سمحوا غداة الفتح الإسلامي لمصر للأهالي باستخدام لغتهم القبطية لأول مرة في الوثائق القانونية.. وهو ما لم تسمح بها الحكومة البيزنطية.

وفي العصر الفاطمي مارس أهل الذمة حياتهم بشكل أفضل؛ حيث استمرت احتفالاتهم بأعيادهم التي شارك فيها كبار رجال الدولة، حيث كان رؤساء الأقباط يضربون عملة من الذهب ويفرقونها على أرباب الدولة على سبيل التبرك[4]. وفي سنة ٧١٧ هـ/ ١٣١٧م تم عزل قاضي القضاة الحنفي عن قضاء مصر لأنه بالغ في

(١) المقريزي: الخطط المقريزية: ج١، ص ١٢٤، ج٢، ص ٤٩٢.
(٢) قاسم عبده قاسم: أهل الذمة ص ٣١.
(٣) قاسم عبده قاسم: نفس المرجع السابق، ص ٣٣.
(٤) قاسم عبده قاسم: نفس المرجع السابق، ص ٥٠.

الحط على الكُتاب النصارى، وكان إذا رأى ذميًّا راكبًا أنزله وأهانه، وإذا رأى عليهم ثيابًا غاليًا نكّل بهم.. فَسُعي فيه فعُزل.

ويزخر تاريخ مصر بأمثلة كثيرة عن علاقات تعايش وسلام ومحبة بين المصريين المسيحيين والمسلمين، نشير إلى واحد منها يتعلق بتاريخ دير سانت كاترين في سيناء الذي بني حوالي عام ٤٠م وكان يلاصقه مسجد يرجع إلى سنة ١٠٩٧م.

وكثيرًا ما أشارت وثائق الدير إلى قيام رهبان الدير بترميم المسجد تبرعًا منهم بعد صدور الإذن لهم بذلك، وإقامة مؤذن للجامع، كما كان الرهبان يقدمون للمسجد كل ما يحتاجه من زيت الوقود ومئونة المؤذن، وكلما مات مؤذن يقيم الرهبان غيره.

وبعد أن استمرت مصر تحت الخلافة الإسلامية وعصورها المتعاقبة ثم المماليك استقل بها محمد علي الذي أكد على الهوية المصرية، وعملت أسرته على تأكيد المواطنة بين المسيحيين والمسلمين حسب ما أسلفنا.

* * *

هذه بعض مواقف العرب والمسلمين الأوائل الذين دخلوا مصر، وهي مواقف تعزز ضرورة التعايش والتواصل والتضامن من أجل الوطن دون تمييز ديني أو عرقي.. والمسلمون الذين كافحوا وحاربوا من أجل عقيدتهم لإيمانهم القوي بها لم يحرموا أقباط مصر من ممارسة شعائرهم وحقوقهم، بل عملوا على حماية المسيحية والمسيحيين، وهي قيم علينا أن نحافظ عليها والاستشهاد بها تصديًا لكل محاولات الفرقة والتعصب. ذلك هو تاريخ مصر وبذلك التضامن والتكافل والتآزر تصنع مستقبلها.

كل هذا لا ينفي أنه وُجدت فترات وقعت خلالها أحداث شغب وصِدام بين المسلمين والمسيحيين أو غيرهم، لكنها لم تستمر طويلًا، والملاحظ أنها ارتبطت بفترات التخلف والكساد والتسلط من الحكام أو السلطة الدينية، أما حالات الازدهار أو خلال تعرض الوطن لما يضيره من هجمات أو استعمار أو كوارث فإن المصري دائمًا يرتبط بوطنه ومواطنيه قبل كل شيء، فهو يذهب للحرب والدفاع ويموت

ليس لأنه مسلم أو مسيحي.. ولكن لأنه مصري، ويساهم في إزالة آثار الكوارث ليس بسبب عقيدته بل بواقع وطنيته التي لا تفرق.. وهذه هي مصر وهذا هو معدنها الأصيل الذي وإن طمسته الأحداث فترة فإن عزيمة أبنائها تزيل ذلك الصدأ لتظهر الحقيقة مشرقة لامعة.

لقد كانت مصر دائمًا وأبدًا مطمعًا للغزاة والفاتحين الذين نزلوا على أرضها، ذلك لما شاهدوه بها من الخيرات الوفيرة، ولِما حظيت به من موقع جغرافي فريد، أتاح لها حضارة متفوقة وشهرة واسعة. وكان من بين هؤلاء العرب ومن بعدهم العثمانيون[1]، وقد اختلفت أساليب كل منهما في التعامل مع مصر وشعبها حيث أثروا وتأثروا، وإزاء هذا ظهرت اختلافات عديدة حول تأثير هذه الفتوحات على مصر، فذكر البعض ومنهم «ماسبيرو»[2] أن الموجة العربية على مصر لم تؤثر في كيان المصريين، وقد نهج على هذا الرأي الدكتور طه حسين الذي أشار إلى أن المصريين لم يتغيروا قط، وأن الذي تغير وتمصر هو من هبط عليهم من الخارج.

ويرى فريق آخر؛ منهم عبد الوهاب عزام، تعريب مصر[3].غير أن أغلب المؤرخين قد خلصوا إلى رأي مغاير له تمامًا، ألا وهو أن مصر وإن كانت قد احتضنت الهوية العربية الإسلامية إلا أنها لم تتخل أبدًا عن الهوية الفرعونية المسيحية حيث يعيش الاثنان معًا جنبًا إلى جنب في الوجدان المصري، وقد أدى هذا إلى التكامل الذي يعد مصدرًا لتراث مصر.

هذا وقد تصدى المؤرخ «ألفرد بتلر»، وكذلك المستشرق الإيطالي «كيئتاني» لأحداث ـ وأحيانًا تفاصيل ـ فتح العرب لمصر، حيث يلاحظ من دراسة الوثائق التي تقصاها «كيتتاني» أن هناك اختلافًا بين ما كان يبغيه المفاوضون العرب، وما كان يرمي إليه القبط والبيزنطيون من تفاوضهم ـ وإن كان هذا الاختلاف لا يعدو الشكل

---

(١) تعرضت مصر في نهاية العصر الفرعوني إلى ثلاث هجرات ضخمة: الهجرة الإغريقية، الهجرة العربية ثم الهجرة المغولية بمشتقاتها الكردية والشركسية والتركية. انظر صبحي وحيدة: في أصول المسألة المصرية. (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٠م) ص ٤٥ هامش «٢».

(٢) Maspero: Les Egyptiens

(٣) عبد الوهاب عزام: «أثر الثقافة العربية في الثقافة المصرية الحديثة»، مجلة الثقافة، عدد ٢٣٥.

أو يؤثر في النهاية التي انتهت إليها الأمور - يسجل كيتاني أن العرب كانوا يريدون أن يستضيفهم القبط حينًا من الزمن، كما هي عادة البدو إذا نزلوا أرضًا زراعية، ويُبدون ميلًا ظاهرًا إلى الحصول على قيمة الضيافة نقدًا بدلًا من التمتع بها عينًا، بينما كان المفاوضون القبط يطلبون أن يمسك الغزاة عنهم أذى الحرب نظير التمتع بما كانت تتمتع به حكومة القسطنطينية من حق الحصول على نصيب معين من خراج البلاد. أما البيزنطيون فكانوا يعرضون الالتزام بدفع جزية معينة، وهو أمر كانت الإمبراطورية الرومانية اعتادت عرضه وقبوله في الغرب والشرق[1].

* * *

إن مصر المسيحية الإسلامية ذات الهوية المستقلة والخصوصية المصرية ارتبط تاريخها بالعقائد الإبراهيمية الثلاث.

إنها أرض الحضارة والأديان، مهد التوحيد والبعث، مصدر الأديرة والرهبنة والانقطاع للخدمة والتعبد. ارتبط تاريخها بأسماء إبراهيم وأبنائه وأحفاده، وبكل من يوسف وموسى، قصدها المسيح طفلًا مع العذراء مريم للحماية، وأوصى بها محمد وصاهر أهلها. منها دخل كلٌّ من المسيحية والإسلام إلى إفريقيا. وإن كانت المسيحية والإسلام عليهما التعايش والتعاون في كل أرجاء العالم إلا أن لهما في مصر تاريخًا مشتركًا وجذورًا متشابكة في رباط لا ينفصم، ولا يمكن إلا أن يزدهر من أجل الوطن الذي يجمع بيننا جميعًا.

أما بعد

أستودعك الله أيها القارئ العزيز، لقد عشتُ معك رحلة فكرية تهدف لتآلف المؤمنين وتقارب البشر أجمعين.

لقد قلت ما في نفسي، وسجّلت ما في عقلي، وعبّرت عما في قلبي بصدق وإيمان. لقد اقتضت الكتابة بحثًا ودراسة لم تكن أحيانًا سهلة، وكانت أحيانًا شاقة، لكنها

---

(١) صبحي وحيدة: مرجع سابق، ص ٣٥، ٣٦ هامش «١».

كانت دائمًا ممتعة مفيدة غمرتني بإحساس من الصفاء والسلام مع النفس، وبمشاعر من الودِّ والأخوة.

لقد خرجت من ذلك البحث بتقدير واحترام لعقيدتين سماويتين، إذا ما تعاون المنتمون إليهما معًا على الخير والسلام سوف يتقدم العالم خطوة بعد خطوة نحو نور المعرفة وجمال السلام.

ولك عزيزي القارئ تمنياتي بقوة الإيمان بالله أيًا كان طريقك إليه. ولعلك ترى معي أن الكراهية التي يُكنها «الإسلاميون» المتطرفون اليوم للمسيحيين والمسيحية لا مجال لها ولا أساس، والقرارات السياسية لبعض الساسة المسيحيين لا علاقة لها بانتمائهم الديني، بل تأتي على عكس تعاليمه. وأن ذلك «الازدراء» الذي يُكنه «المسيحيون» المتطرفون وضحايا الإرهاب للإسلام لا مبرر له؛ فالإسلام كما بيَّنَّا لا يدعو إلى هذه الجرائم، بل ينهى عنها، وهو أكثر رقيًّا ونُبلًا وتسامحًا من ذلك الانطباع السلبي الذي انطبع في الأذهان، وبريء من الأعمال الإرهابية التي تُرتكب باسمه.

إن اتهام المسيحية كعقيدة ـ وليس بعض المسيحيين ـ بمساندة الظلم. واتهام الإسلام كعقيدة ـ وليس بعض المسلمين ـ بالعنف والإرهاب، تعميم ظالم لا بد من وضع حد له تحاشيًا لنتائجه ولتجنب نتائج انتشاره ورسوخه.

العقيدتان المسيحية والإسلامية مشتركتان في أنهما عقيدتان سماويتان تؤمن كلٌّ منهما بالله الواحد واليوم الآخر وتفرق بين الخير والشر. وهناك بينهما تقارب كبير في كثير من الوقائع والتعاليم. وتشير الدراسات الموضوعية أن التقارب بين المسيحية والإسلام أكثرُ بكثير منه بين أي عقيدتين، ورغم ذلك يشير الواقع والأحداث أن «الصراع» المزعوم بينهما هو أيضًا حسب نظريات مُروِّجي «الصِدام بين الأديان» أكثرها شدة بين أي عقيدتين، وهذا تناقض ما كان يمكن أن يمر عليه الفكر الإنساني دون وقفة تحليل وتفهم وبحث عن الحقيقة، وعن أوجه التقارب والتشابه.. مع الإشارة إلى أوجه الاختلاف، وهو اختلاف لا يبرر العداوة ولا يدعو إلى الصِّدام.. هذا ما حاولنا تأكيده.

لي مطلب واحد وأخير أُنهي به لقائي معك، هو أن تعتبر حديثي هذا نداءً ورجاءً:

نداء لك ولغيرك للمساهمة في التصدي لمقولات خاطئة انتشرت واستقرت وتغلغلت في الأذهان، ومهّدت الطريق لصِدام نحن جميعًا ضحاياه؛ نظريات استغلت ما للأديان من مكانة كبيرة وحساسية خاصة، واستخدمتها لأهداف سياسية ودوافع غير إنسانية لا علاقة لها بتعاليم الأديان.

إن الذين نشروا المقولات المضللة لم يعتمدوا فقط على نشر مقال أو كتاب عنها.

إن ما جعلها تنتشر وتتغلغل في العقول لم يكن مجرد كتاباتهم وتقاريرهم ومؤتمراتهم.. بل كان إصرارهم على نشرها حتى في أحاديثهم الشخصية.

ونحن من جانبنا علينا اليوم واجب هامٌّ هو أن نقوم بدورنا بنشر الحقائق وتعميق المفاهيم.

لقد هالني ما سمعت خلال حياتي من اتهامات للمسيحية واتهامات للإسلام.. كلها غير صحيحة، تصحيحها أمانة في عنق كل من يؤمن بهما.. ويؤمن بالسلام.

كنا نهدف إلى تصحيح صورة الإسلام لغير المسلمين بعد أن سيطرت في الأذهان صورة مشوهة عنه.. وكذلك لأعداد كبيرة من المسلمين الذين لا يفهمون صحيح تعاليمه فيرتكبون باسمه ما تنهى عنه.

ونهدف أيضًا تصحيح صورة المسيحية بعد أن استقرت في الأذهان صورة مشوهة عن المسيحية والمسيحيين، وكذلك توضيح الفكر المسيحي لأعداد كبيرة من المسيحيين الذين لا يفهمون صحيح تعاليمه فيرتكبون ما تنهى المسيحية عنه.

إنه ليس دعوة للمقارنة أو لتفضيل عقيدة على الأخرى. إنه دعوة لفهم كليهما؛ موجه لأتباع كل منهما ويقيني أنه إن تمسك المسلم بصحيح عقيدته وتمسك المسيحي بصحيح عقيدته أمكن أن يسود التعايش والتعاون والسلام.

لقد كتبت هذه الأفكار بعقل متفتح، وقلب يتسع لكل فكر، ووجدان يحترم جميع العقائد.. كان هدفنا رفع اللبس وتقليص سوء الفهم والتصدي للدعاوى والنظريات التي تشجع الصدام بين الأديان.

جاءت كتابتنا بهذا المفهوم من أجل السلام والتعايش والتعاون والتكامل، وثقتي في القارئ تدعوني إلى أن أطمئن إلى أنها محاولة سوف تقابَل بعقل مستنير وقلب يتسع لقبول التعدد والاختلاف الذي يقوم على الاحترام المتبادل. والله الواحد الذي نؤمن به جميعًا هو الذي يهدي البشر.. يضيء العقول، ويرشد النفوس.

إن الله محبة ورحمة وسلام،

فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

ملاحق الكتاب

ملحق رقم (١)

لا إكراه في الدين

الدكتور الشيخ: محمد سيد طنطاوي

العقائد لا إكراه عليها، ولا تُباع ولا تُشترى، لأنها مرتبطة بالقلب وبالذات الإنسانية، وما كان كذلك لا سلطان لشيء من القوى الخارجية عليه. ومن الأدلة على أن العقائد لا إكراه عليها ما يأتي:

(أ) أن هناك آيات متعددة صرحت بأنه لا إكراه ولا إجبار على الدخول في عقيدة ما أو في دين ما لأن هذا الإجبار أو الإكراه لا فائدة من ورائه؛ إذ التدين والاعتقاد إذعان قلبي واتجاه بالنفس والجوارح إلى ما يعتقده الإنسان حقا بإرادة حرة مختارة، فإذا أكره الإنسان على الدخول في عقيدة معينة أو في دين معين ازداد كرهًا لهما ونفورًا منهما، فالإكراه والاعتقاد نقيضان لا يجتمعان ولا يمكن أن يكون أحدهما ثمرة للآخر.

قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

وقد ذكروا في سبب نزول هذه الآية روايات: منها ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنه: «أن رجلًا من بني سالم بن عوف يقال له «الحصين» كان له ابنان غير مسلمين وكان هو قد دخل في الإسلام فقال للنبي صلى الله عليه وسلم: ألا أُكرههما على الدخول في الإسلام؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وشبيه بهذه الآية قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾.

(ب) ذكر القرآن الكريم في آيات متعددة أن وظيفة الرسول صلى الله عليه وسلم إنما هي التبليغ والتذكير والتبشير والإنذار، وليس من وظيفته الإكراه أو الإجبار على الدخول في الإسلام، ومن الآيات التي قررت هذه الحقيقة قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾.

ومنها قوله سبحانه: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾.

ومنها قوله عز وجل: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًاۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُۗ﴾.

ومنها قوله سبحانه: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

ومنها قوله عز وجل: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾.

فهذه الآيات الكريمة واضحة كل الوضوح في أن رسالة الرسل جميعا عليهم الصلاة والسلام وعلى رأسهم خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم هي التبشير لمن آمن وعمل صالحا بالسعادة والفلاح، والإنذار لمن أصر على كفره وفسوقه بالشقاء والخسران، وليس من وظيفتهم إكراه غيرهم على اتباعهم.

(ج) شريعة الإسلام تهدر كل قول أو فعل أو اعتقاد يأتي عن طريق القسر أو الإجبار أو ما يشبههما ولا تعتد إلا بما يصدر عن الإنسان عن اختيار ورضا واقتناع، بل إنها قد أباحت لأتباعها أن يتلفظوا بما يتنافى مع عقيدتهم عند الأذى الشديد

والتعذيب الذي قد يؤدي إلى الموت ولا يقدح هذا التلفظ في إيمانهم ما دامت قلوبهم عامرة به والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾.

وقد ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية روايات منها أن المشركين أكرهوا عمارًا وأبويه «ياسر وسمية» على الارتداد عن الإسلام فأبوا فربطوا سمية بين بعيرين ثم قتلوها وقتلوا «ياسر» فكانا أول شهيدين في الإسلام، وأما عمار فأعطاهم بلسانه ما أكرهوه عليه. فقيل: يا رسول الله، إن عمارا قد كفر. فقال صلى الله عليه وسلم: «كلا، إن عمارا ملئ إيمانًا من قرنه إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه».

فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال له: «إن عادوا فعد لهم بما قلت».

وفي رواية أخرى قال له: «كيف تجد قلبك؟ فقال: مطمئن بالإيمان. فقال له صلى الله عليه وسلم: إن عادوا فعد». ونزلت هذه الآية الكريمة.

وقد أخذ العلماء من هذه الآية الكريمة جواز التكلم بكلمة الكفر عند الإكراه الذي يُخشى معه فقدان الحياة ولا يعد ذلك من باب الارتداد إلى الكفر ما دام هذا المكره قلبه مطمئن بالإيمان، وما دامت عقيدته ثابتة على الإسلام.

ملحق رقم (٢)

نبذة موجزة عن التلاميذ الأربعة الذين كتبوا قصة السيد المسيح، كلٌّ من منظوره

١ ـ إنجيل متّى:

يستهل متّى إنجيله بالحديث عن الأنباء السعيدة بمجيء السيد المسيح الذي طال انتظاره ليخلص البشرية ويعطهم مثلًا في الحياة سواء كانوا من اليهود أو غيرهم. والمفروض أنه كتبه قبل سنة ٧٠ ميلادية.

وتختلف كتابات متّى عن غيره بأنه يشير كثيرًا إلى الآيات بالتوراة التي تنبأت بمجيء المسيح ويشير إلى مملكة السماء؛ لذلك يسود الظن أن إنجيله كان موجهًا إلى الشعب اليهودي (الذين جاء المسيح إليهم؛ لأنها كانت أولى الديانات السماوية لأبناء إبراهيم والديانة السماوية الوحيدة الموجودة في ذلك الوقت).

يقدم متّى شخصية المسيح «المعلم العظيم» الذي يساعدنا على فهم قوانين الله والكتب وعن مملكة السماوات ـ أي الآخرة ـ التي على البشر الالتزام بقواعد معينة في السلوك حتى يصلوا إليها. وهو لذلك يتضمن الكثير من إرشادات ونصائح المسيح ودروسه مثل الموعظة على الجبل، وتعاليمه للتلاميذ، ومعاني الأمثلة وتوضيح نهاية العالم ثم الحياة الأبدية.

٢ ـ إنجيل مَرْقُس:

كَتبه القديس مَرْقُس، وهو في الغالب أول من سجّل وقائع حياة المسيح. وهو نفس الشخص الذي عمل مع بولس وبرنابا لسنوات طويلة. ويركز إنجيل مَرْقُس

على الوقائع والأحداث أكثر مما يركز على القضايا والـ«Themes». وهو أدق تسجيل لحياة المسيح مع التلاميذ وأكثرها اهتمامًا بالتفاصيل مع أنه أقصر الأناجيل، ومنذ بدايته يسجل رسالة المسيح ومعجزاته ويعكس شخصية المسيح كصاحب إنجاز وسلطان. وثلث الإنجيل يتحدث عن الأسبوع الأخير في حياة المسيح على الأرض والصلب والقيامة.

٣ ـ إنجيل لوقا:

وهو أطولها؛ كَتبه لوقا وهو الذي كتب أيضًا فصل أعمال الرسل، ولوقا كان شخصًا ذا تعليم عالٍ يكتب من خلفية ووجهة نظر يونانية. يستهل لوقا إنجيله فيقول: «لما كان كثيرون قد قاموا بتسجيل قصة الأحداث المتيقنة لدينا وكانوا معاينين للكلمة رأيت أن أكتب إليك لتعرف صحة الأمور»، كتبه بهدف أن يكون لدينا القصة الكاملة الحقيقية عن حياة المسيح. ويعتبر إنجيله أكثرها تكاملا وتنسيقًا.

من أهم النقاط التي يركز عليها لوقا هي المحبة، وأن المسيح أحب جميع أشكال وأنواع البشر بكل ما بهم من قوة أو ضعف أو مشاكل، ويؤكد اهتمامه بالفقراء والأطفال والمقهورين في أمثلة كثيرة. وهو يعكس صورة المسيح المنقذ الذي جاء ليعيد للبشرية ما فقدت.. وينقذها.

وهو يؤكد بهجة الحياة بإعطاء أمثلة عن الإحساس بالسعادة والفرح سواء في ترنيمة مريم، أو أغنية المجوس عند ميلاد المسيح، أو فرحة التلاميذ عند عودتهم لأورشليم القدس بعد أن صعده السيد المسيح.

ويبدو واضحًا أنه يريد أن يقنع البشر أن المسيح جاء ليس فقط من أجل الفداء والأمل ولكن أيضاِ لنشر السعادة بين الناس.

٤ ـ إنجيل يوحنا:

كَتبه يوحنا؛ واحد من تلاميذ المسيح الاثنى عشر، وهو التلميذ الذي عهد إليه المسيح أن يعتني بالسيدة العذراء مريم. كتب يوحنا إنجيله حوالي سنة ٩٠ ميلادية موضحًا أنه يكتبه «حتى تؤمنوا أن المسيح هو ابن الله، وبهذا الإيمان تكون لكــم

حياة باسمة» (٢٠ : ٣١)، ورغم أن يوحنا يسجل في إنجيله حياة أعمال السيد المسيح إلا أنه يختلف في مدخله عن بقية الأناجيل وهو يسجل خمس معجزات لم تذكرها الأناجيل الثلاثة الأخرى. وهو لا يشير إلى الأمثلة التي سردها المسيح واستعملها في أحاديثه مع التلاميذ ومع الناس.

ويركز يوحنا على «العلاقات» التي تطلق عليها الأناجيل الأخرى المعجزات.. ليؤكد أنها علامات وأدلة تشهد أن المسيح روح الله ولديه قدرات خارقة تتجاوز قدرات أي إنسان. وهو يحرص في نفس الوقت على إظهار الجوانب الإنسانية في المسيح وأنه جاء في صورة بشر يحب ويحزن ويسعد ويتساءل ليثبت للبشر أن الله يعلم تمامًا ما تمر به في الحياة على الأرض وأن المشاعر الإنسانية يمكن ألا تكون عقبة في سبيل حياة طاهرة نقية.

ملحق رقم (٣)

آيات من القرآن الكريم تشير للإنجيل على أنه كتاب مُنزل

- ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (سورة البقرة: ١ : ٥).

- ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ (سورة البقرة: ٤٠، ٤١).

- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ...﴾ (سورة البقرة: ٨٧).

- ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ (سورة البقرة: ١٠١).

- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ (سورة البقرة: ٩١).

- ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ (سورة البقرة: ٩٧).

● وجاء في «سورة آل عمران: ٣، ٤» ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ﴾.

● ﴿ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ (سورة آل عمران: ٨١).

● ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ (سورة آل عمران: ٨٤).

● ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم﴾ (سورة النساء: ٤٧).

● ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ (سورة النساء: ١٣٧).

● ﴿وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ﴾ (المائدة: ٤٣).

● ﴿وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ (سورة المائدة: ٤٦، ٤٧).

● ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۚ مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ﴾ (المائدة: ٦٦).

● ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم ...﴾ (سورة المائدة: ٦٨).

● ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُ﴾ (سورة الأنعام: ٢٠).

- ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ... أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ...﴾ (سورة الأنعام: ٨٩، ٩٠).
- ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ (سورة الأنعام: ٩٢).
- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِ﴾ (سورة التوبة: ١١١).
- ﴿تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (سورة يونس: ٣٧).
- ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾ (سورة يونس: ٩٤).
- « لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ (سورة يوسف: ١١١).
- ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا﴾ (سورة مريم: ٣٠).
- ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ (سورة الأنبياء: ٧٠).
- ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ﴾ (سورة العنكبوت: ٢٧).
- ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ﴾ (سورة العنكبوت: ٤٦).
- ﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ (سورة فاطر: ٣١).

- ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (سورة فصلت: ٤٣).
- ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (سورة المائدة: ٤٧).
- ﴿... وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ...﴾ (سورة النساء: ١٣١).
- ﴿وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ (سورة الشورى: ١٥).
- ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (سورة الأحقاف: ١٠).
- ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ...﴾ (سورة الحديد: ٢٧).

ملحق رقم (٤)

ورقة تدحض صحة إنجيل برنابا وتعتبره إنجيلًا مزورًا

د. طبيب: هاني لبيب

ذكر الكاتب في تقديمه أن القديس برنابا له إنجيل استبعدته الكنيسة بقرار اتخذ في مجمع بنيقية عام ٣٢٥ ميلادية ثم حرمه البابا جلاسيوس الأول عام ٤٩٢ تمامًا. والحقيقة هي أن المجمع المسيحي الذي انعقد في نيقية سنة ٣٢٥ كان مخصصًا لبعض خلافات عقائدية. وتتلخص نتائج وقرارات المؤتمر في «قانون الإيمان» المسيحي والذي يُتلى إلى يومنا هذا، ويبدأ بعبارة «أؤمن بإله واحد خالق الكل». ويمكن الحصول على نص قرارات ذلك الاجتماع من منبعه الصحيح وهو كتب ووثائق الكنيسة.

هذه الوثائق التاريخية تثبت أن هذا الاجتماع لم يتطرق إطلاقًا إلى موضوع إنجيل برنابا حيث إنه لم يكن معروفًا عندئذ لسبب بسيط هو أنه لم يكن كتب بعد. وما كان من الممكن بحثه أو الحديث حولـه لأنه لم يظهر إلا في القرن السادس عشر ـ كما يذكر الكاتب نفسه ـ والاجتماع عقد في القرن الرابع.

يمكن بكل ثقة التأكيد على أنه لا يوجد أي دليل مادي أو تاريخي أقره أو قدمه أي من المؤرخين المعروفين يؤدي إلى الاعتقاد أن ذلك الكتاب ظهر قبل القرن السادس عشر. ويدحض مترجم الكتاب الأصلي وهو الدكتور خليل سعادة مقولة أن البابا جلاسيوس حرمه أو علم عنه ـ إذ يقول الدكتور سعادة: «هناك أقوال تزعم أن البابا جلاسيوس حرم الكتاب نهائيا» كما يوضح أن العلماء المدققين ذهبوا إلى أن

أمر البابا جلاسيوس المنوه عنه إنما هو برمته تزوير وهو ما تؤكده أيضا موسوعات بريطانية لها مصداقية راسخة عبر السنين.

يؤكد الكاتب الفاضل في مقاله عدم ظهور ذلك الكتاب في القرون الأولى إذ يقول: «لم تشر أية مصنفات للمسلمين من قريب أو بعيد إلى هذا الإنجيل. الأمر الذي يؤكد أن المسلمين لم يسمعوا عنه». ومعروف أن كثيرًا من هؤلاء المسلمين الأوائل كانوا نصارى ثم أسلموا ولو كانوا يتداولون أو يعرفون عن هذا الكتاب في جيلهم فإنه من المنطقي والمؤكد أنهم كانوا سوف يظهرونه بعد إسلامهم بكل الفخر على أنه الإنجيل الذي يدّعي أن السيد المسيح «بشّر بقدوم نبي من بعده اسمه محمد» وهو الذي اعتنقوا رسالته. بالإضافة إلى ذلك فلو كان هذا «الإنجيل» موجودًا حقًا وكلامه موحى به من الله لأشار إليه النبي الكريم ودعا المسلمين إلى الاعتراف به على أساس أنه الإنجيل الذي أنزل على عيسى كما أن القرآن الكريم لم يتنبأ أن مثل هذا الكتاب سوف يظهر في القرن السادس عشر وهو الكتاب الذي كما يقول كاتب المقال كان يمكن أن ينقلب العالم المسيحي بسببه رأسًا على عقب.

إن القرآن الكريم جاء بأدق التفاصيل في العقائد والمعاملات واهتم بحياة المؤمن وهدايته، ولو وجد مثل هذا الكتاب لجاء ذكره وما كان ليغفل الإشارة إلى كتاب منزل من عند الله له هذه القوة والتأثير، وينبئ بقدوم النبي الكريم. والقرآن الكريم جاء فيه ذكر الإنجيل الحقيقي بالتكريم إذ يقول: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾. وغير ذلك كثير من آيات كريمة.

ومع احترامي لكل رأي وكل كاتب إلا أني أتعجب كثيرًا عندما يرفض الكاتب التسليم بأمانة كبار الباحثين المسلمين الذين فحصوا هذا الكتاب ثم استبعدوا سلامته ووصف كتاباتهم أنها من نوع «الدفاع العاطفي».

من هؤلاء الكُتاب فطاحل مثل عباس العقاد في تصريحه لجريدة الأخبار ٢٦/ ١٠/ ١٩٥٩ حيث يسوق بموضوعية واضحة أسباب رفضه الكتاب ومنها:

- أن عباراته كتبت بصيغة لم تكن معروفة قبل شيوع اللغة العربية في الأندلس وما جاوره؛ ما معناه أنه كتب بعد الفتح الإسلامي للأندلس.

ـ أن وصف الجحيم يستند إلى معلومات متأخرة لم تكن شائعة بين اليهود والمسيحيين.

ـ أن بعض العبارات الواردة تسربت لأوربا عن مصادر عربية.

ـ أنه ليس من المألوف أن يعلن البشارة أمام الألوف باسم «محمد رسول الله».

ـ تتكرر أخطاء كثيرة لا يجهلها اليهودي ولا يرددها المسيحي المؤمن ولا يتورط فيها المسلم الذي يفهم ما في إنجيل برنابا من المناقضة بينه وبين نصوص القرآن.

ومن هؤلاء أيضا الدكتور محمد شفيق غربال في الموسوعة العربية الميسرة حيث يذكر تحت كلمة «برنابا»: «إنجيل مزيف وضعه أوربي في القرن ١٥، وفي وصفه للوسط السياسي والديني في القدس أيام المسيح أخطاء جسيمة».

فهل العقاد وشفيق غربال كُتاب متهورون، أم أنهم بشهادة التاريخ أساتذة أجلاء لهم الخبرة والمصداقية والإيمان الإسلامي الصحيح الذي يدعو للحق؟!

كنت أتمنى أن أستفيض في الرد على المقال كاملًا مع شرح أسباب الحكم على كتاب برنابا أنه مزور، ولكن سوف أكتفي بالإشارة إلى ثلاثة كتب بها شرح وافٍ حول الموضوع، آمل أن يستعين بها من يريد معرفة الحقيقة قبل التعرض للحديث عنه وهي:

- إنجيل برنابا هل هو الإنجيل الصحيح؟ القس عبد المسيح أبو الخير.
- إنجيل برنابا من منظور مسيحي؛ ميخائيل إسكندر.
- إنجيل برنابا هل يُعقل تصديقه؟

ملحق رقم (٥)

الوصايا العشر

التوراة	القرآن الكريم
لا يكن لك آلهة أخرى أمامي	﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ (الإسراء: ٢٣).
لا تصنع لنفسك آلهة مسبوكة	﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ (الحج: ٣٠).
لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا	﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ﴾ (البقرة: ٢٢٤).
	﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ (المائدة: ٨٩).
أكرم أباك وأمك	﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (الإسراء: ٢٣).
لا تقتل	﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ (النساء: ٢٩).
لا تزنِ	﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ... وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ (النور: ٣٠، ٣١).
لا تسرق	﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ (المائدة: ٣٨).
	﴿وَلَا يَسْرِقْنَ ...﴾ (الممتحنة: ١٢).
لا تشهد على قريبك شهادة الزور	﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ (الحج: ٣٠).
لا تشتهِ بيت قريبك ولا شيئًا مما لقريبك	﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ (النساء: ٣٢).

ملحق رقم (٦)

دراسة عن آيات في الإنجيل والقرآن تقوم على معانٍ مشتركة

الإنجيل	القرآن
طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السماوات (متّى ٥: ٣)	﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (البقرة: ٢١٢). ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ (آل عمران: ١٤).
طوبى للحزانى لأنهم يتعزون (متّى ٥: ٤)	﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ (البقرة: ١٥٥).
طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض (متّى ٥: ٥)	﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران: ١٣٣).
طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يشبعون (متّى ٥: ٦)	﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (الجاثية: ٢١).

	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ﴾ (المطففين: ٢٩). ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ (المطففين: ٣٤).
طوبى للأنقياء القلب (متّى ٥: ٨)	﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء: ٨٩). ﴿مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ (ق: ٣٣).
طوبى لصانعي السلام (متّى ٥: ٩)	﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ (النساء: ١١٤).
طوبى للمطرودين من أجل البر (متّى ٥: ١٠)	﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (البقرة: ٢١٤). ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ (آل عمران: ١٨٥).
طوبى للرحماء لأنهم يرحمون (متّى ٥: ٧)	﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ (البلد: ١٧، ١٨).
ليس فحسب «لا تقتل» وإنما لا تغضب من أخيك وتقول له «رقا» أو «يا أحمق» (متّى ٥: ٢١، ٢٢)	﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ (آل عمران: ١٣٤). ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ (الشورى: ٣٧).

فإن قدمت قربانك إلى المذبح وهناك تذكرت أن لأخيك شيئًا عليك فاترك هناك قربانك واذهب أولا اصطلح مع أخيك (متّى ٥: ٢٢- ٢٤)	﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ (الحجرات: ١٠). ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ (الأنفال: ١). ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ﴾ (المائدة: ٢٧).
قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تزنِ وأما أنا فأقول لكم إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه (متّى ٥: ٢٧ _ ٢٩).	﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ ... وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ...﴾ (النور: ٣٠، ٣١).
قد سمعتم.. لا تحنث وأما أنا فأقول لكم لا تحلفوا البتة (متّى ٥: ٣٣ _ ٣٤)	﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ (البقرة: ٢٢٤).
سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك، وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم (متّى ٥: ٤٤)	﴿هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ (آل عمران: ١١٩).
أحسنوا إلى مبغضيكم (متّى ٥: ٤٤)	﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ (الرعد: ٢٢). ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ (فصلت: ٣٤).
وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم (متّى ٥: ٤٤)	﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨).

احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس (متّى ٦: ٥)	﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾ (الماعون: ٦).
لا تكنزوا لكم كنوزًا على الأرض (متّى ٦: ١٩)	﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ (الفجر: ٢٠).
بل اكنزوا لكم كنوزًا في السماء (متّى ٦: ٢٠)	﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾ (الشورى: ٢٠).
لا يقدر أحد أن يخدم سيدين (متّى ٦: ٢٤)	﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ (الزمر: ٢٩).
لا تدينوا... ولماذا تنظر إلى القذى الذي في عين أخيك وأما الخشبة التي في عينك فلا تفطن لها (متّى ٧: ١ ـ ٣)	﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ الحجرات: ١١).
فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم أيضًا بهم (متّى ٧: ١٢)	﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ﴾ (البقرة: ٢٦٧).
احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة (متى ٧: ١٥).	﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾ (البقرة ٢٠٤ ـ ٢٠٦).

المصادر والمراجع

أولًا: الكتب المقدسة:

- التوراة.
- الإنجيل المقدس.
- القرآن الكريم.

ثانيًا: المراجع العربية:

- السيوطي: (جلال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عثمان السيوطي، ت: ٩١١هـ).
- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، وضع حواشيه: خليل المنصور (بيروت ـ لبنان: دار الكتب العلمية،١٩٩٧م) ط١، ٢ مجلد.
- ابن عبد الحكم:(أبو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله بن عبد الحكم، ت:٢٥٧هـ/ ١٨٧م): فتوح مصر وأخبارها (ليدن:هولندا: مطبعة بريل،١٩٢٠م).
- المقريزي: (تقي الدين أحمد بن علي المقريزي ت: ٨٤٥ هـ): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية (بولاق: ١٢٧٠هـ).
- ابن هشام: (أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري، ت:٢١٣ هـ/ ٨٣٤م): السيرة النبوية، تحقيق: محمد شحاتة إبراهيم، (القاهرة: دار المنار،١٩٩٠ م) ٢ مجلد.
- إبراهيم لوقا: المسيحية في الإسلام (سويسرا، د.ت) ط٤.
- أحمد صدقي الدجاني: تفاعلات حضارية وأفكار للنهوض (القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٩٧م).
- أحمد الطيب: «الأزهر.. وحوار الأديان (٢-٢) «مقال بجريدة الأهرام ٨/ ٥/ ٢٠١٠م».
- بولس باسيلي: المسيح.. من هو؟ في التوراة والقرآن، رسالة سلام... بين المسيحية والإسلام (القاهرة: دار نوبار للطباعة، ١٩٩٩م). ط٤.

- ترتون (أ. س): أهل الذمة في الإسلام، ترجمة: حسن حبشي (القاهرة:الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م).
- جابر عصفور: مقالات غاضبة (القاهرة: دار ميريت، ٢٠٠٨م).
- جابر عصفور: «مخاطر الدولة الدينية «سلسلة مقالات نشرت بالأهرام في ١٥، ٢٢، ٢٩ /١/ ٢٠٠٧، ٥/ ٢/ ٢٠٠٧م.
- زين العابدين الركابي: علاقات الكبار: النبي محمد يقدم أخاه المسيح للبشرية (الرياض:غيناء للنشر، ٢٠٠٦م).
- رجب البنا: الأقباط في مصر والمهجر، حوارات مع البابا شنودة (القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٨م).
- عبد الكريم درويش: حصاد السنين (القاهرة، مطبعة الشرطة ٢٠٠٢).
- شعبان محمد خلف: بلغاريا والحروب الصليبية من بداية الحملة الصليبية الأولى وحتى نهاية الحملة الصليبية الرابعة، رسالة دكتوراه غير منشورة ـ قسم التاريخ ـ كلية الآداب ـ جامعة المنيا، ٢٠٠٨م.
- صبحي وحيدة: في أصول المسألة المصرية (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٠م).
- غسان تويني: يسوع المسيح بالإنجيل والأيقونة (بيروت: منشورات المطبعة الكاثوليكية، دار النهار للنشر، ٢٠٠٠م).
- فخري لبيب (محرر): صراع الحضارات أم حوار الثقافات؟ أوراق ومداخلات المؤتمر الدولي حول الثقافات (القاهرة ١٠ ـ ١٢مارس ١٩٩٧). (القاهرة: مطبوعات التضامن، ١٩٩٧م).
- قاسم عبده قاسم: أهل الذمة في مصر من الفتح الإسلامي حتى نهاية المماليك؛ دراسة وثائقية (القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٣م).
- ليلى تكلا: الأمبودسمان دراسة تحليلية مقارنة لنظام المفوض البرلماني (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧١م).
- ليلى تكلا: المؤسسات الوطنية لحقوق الإنسان (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٤م).
- محمد سيد طنطاوي: «هذا هو الإسلام، حوار هادئ مع قداسة بابا الفاتيكان» مجلة الأزهر (القاهرة: ذي القعدة ١٤٢٧هـ).
- محمد فريد وجدي: المصحف المفسر (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٦م).
- محمود مدحت: مصر القبطية، تقديم: يونان لبيب رزق، مراجعة: سليمان نسيم (القاهرة: مركز الدراسات والمعلومات القانونية لحقوق الإنسان، ١٩٩٨م) ط١.

- نبيل لوقا بباوي: مشاكل الأقباط في مصر وحلولها (القاهرة: ٢٠٠١م).
- نبيل لوقا بباوي: السيد المسيح في الفكرين الإسلامي والمسيحي وكيفية التعايش بينهما لنعيش في سلام في كل الكرة الأرضية (القاهرة: دار السعادة للطباعة، ٢٠٠٦م) ط١.
- نورمان ف. كانتور: التاريخ الوسيط قصة حضارة البداية والنهاية، ترجمة وتعليق: قاسم عبده قاسم (القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠١م) ج ١، ط ٦.
- هاني لبيب: «حول إنجيل برنابا» مرة جديدة: كتاب مزور بالتأكيد! مقال بمجلة روزاليوسف ١٢/ ٣/ ٢٠٠٤م.

ثالثًا: المراجع الأجنبية:

- Javier (Perez de Cuellar) and others:Our Creative Diversity, Report of the world commission on culture and development.
- Jean _ Christop Rufin, chantier sur la lute contre le racism et l'antisemitism (October, 2004).
(France,1995).
- Ken (Wilber): integral spirituality, astartling new role for religion
- Leila (Ibrahim Takla): Our Common Christian _ Islamic Heritage (Alexandria, Egypt, 2006).
- Makram Ebeid «Amin : The Impact of the Copts on civilization, 2009» I.S.B.N. 977 _ 17 _ 7304 _ 6
- Otto F.A (Meinardus): the holy Family in Egypt, illustrations: George Onsy (Cairo, the American university in Cairo press, 1962).

التــراث المسيحي الإسلامي

سواء كنتَ مسيحيًا أو مسلمًا، وسواء كنتِ مسلمة أو مسيحية، فلا تجعل في القلب والفكر والسلوك مكانًا للتعصب والكراهية والرفض.. إن الفروق بين المسيحية والإسلام أقل مما نظن، والاختلاف بينهما لا يبرر العداوة والقتل والتكفير. لقد أوصى الإسلام بأهل الكتاب، والسيد المسيح أوصانا بالصلاة حتى من أجل الذين يسيئون إلينا. والإسلام لا يسيء إلى المسيحية بل يكرمها حتى وإن رأى البعض ممن يدّعون الإسلام غير ذلك، واعتبروا أن الإساءة إلى المسيحيين حلالًا فأطلقوا عليهم صفات غير كريمة.

والسيد المسيح قال: «من ليس علينا فهو معنا». والمسلم الذي يعرف حقيقة عقيدته ليس معاديًا للمسيحية أو المسيحيين حتى ولو ظن بعض المسيحيين ذلك. إن تكفير المسيحيين أو تحليل سفك دمائهم ليس في الإسلام. ونشر العقيدة بالعنف لا مكان له في المسيحية. إن أمورًا كثيرة ومبادئ عدة تجمع بين العقيدتين. إن ما يجمع بينهما أكثر مما يفرق، والتقارب الذي يمكن أن [illegible] بينهما لا يدركه كثيرون من الطرفين. هؤلاء الذين لا يعرفو[illegible] معادية أو تصادمية، تفاقمت نتائجها وجاءت بأضرار بالغ[illegible] بين الضحايا من الجانبين.





دار الشروق
www.shorouk.com